سَفِيرُ الأمن والسّلام

الشّيْخُ الدّاعِيَة العلامة المفكِّر

محمّد عَبْد العَليم الصّديقي الميرتي القادِري

حياتُه وجهوده العلمية والدعوية

تأليف

الدكتور أنوار أحمد خان البغدادي



ناشر
مركز البحوث الإسلامية
لكناؤ، الهند

المقطم للنشر والتوزيع

اﺯ عليكم

سَفِيرُ الأمن والسّلام الشّيْخُ الدّاعِيَة العلامة المفكّر

محمّد عَبْد العَليم الصدّيقي الميرتي القادِريْ

حياته وجهوده العلمية والدعوية

تأليف

الدكتور أنوار أحمد خان البغدادي

ناشِر

دار المقطم للنشر والتوزيع

مركز البحوث الإسلامية لكناؤ، الهند

الطبعة الأولى

١٤٣٦هـ /٢٠١٥م

العلامة محمد عبد العليم الصديقي الميرتي

حياته وجهوده العلمية والدعوية

رقم الإيداع : ٧٦٥٠ تدمك: ٧ ٠٨٣ ٤٧٨ ٩٧٧ ٩٧٨

تأليف

الدكتور أنوار أحمد خان البغدادي

ناشر

٥٠ شارع الشيخ ريحان - عابدين
القاهرة - جمهورية مصر العربية

Tel : (00202) 27958215 - 27946109
Fax : (00202) 25082233
Website : www.dar-almokattam.com
Email:info@dar-almokattam.com
sales@dar-almokattam.com

مركز البحوث الإسلامية
لكناؤ، (الهند)

Islamic Research Centere
Lucknow (India)
Email: anwaralbaghdadi@yahoo.com

المحتويات

الإهداء

أهدِي بحثي هذا إلى أساتذتي الأفاضِل الذين نفخوا في نفسي روح العَزم والثبات، وهذّبوها بالعلم والأخلاق، وبالأخصّ منهم أولئك المحسِنون الذين لهم دورٌ فعّال في تخضيب أناملي بالحبر العَربي اللّامع، سناه كسنا البرق، وعَلى رأسِهم:

العَلّامَة الشّيخ عَبد الله خان العَزيزي - رحمَه الله تعالى - الذي أخلص لي كلّ الإخلاص، وسَعى لي سعياً حثيثاً في إيفادي إلى بغداد الحبيبة، حيث نهلتُ من منهلها العذب الصافي.

والشيخ الأديب فروغ أحمد الأعظمي، الذي قرّبني إلى شجرة الضّاد، وهشّ عليّ بأغصَانها حتى تذوّقتُها.

والشيخ معين الحَقّ العَليمي، الذي وقفَ بجانبي مُعِينا ومُمدّا في طريق العِلم والمعرفة، في بلاد الرّافدين، معقل العروبة والإسلام، العراق العظيم، حيث كنتُ غريبا.

أنوار أحمد خان البغدادي

تقديم

الأستاذ محمد خالد ثابت

بسم الله.. والحمد لله.. والصلاة والسلام على الرحمة المهداة.. سيدنا محمد.. وعلى آلهة وصحبه وأحبابه..

وبعد..

فإنه لم يمر بأمتنا وقت هى أحوج فيه إلى إبراز النماذج الصادقة فى مجال الدعوة إلى الله من هذا الوقت الذى نعيش فيه! لأن الذى أفسد زماننا هو الدعوة إلى الله التى قام بها غير المؤهلين، المدفوعون بالأهواء والأغراض والبدع!..

ولقد حذر العارفون طويلا من التعرض لأمر الدعوة من غيرأهلية أو إذن ..

والإذن لا يعطى للرجل إلا عندما يكمل حاله ويتحرر من آفات النفس.. يعطيه كمّل العارفين الذين تلقوا عن مشايخهم.. وهكذا جيلا بعد جيل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم..

كان القطب الكبير السيد أحمد البدوى يربى الرجال بطنطا.. تخرج على يديه المئات من الربانيين، وكان كلما كمل حال رجل أمره بالذهاب إلى بلد يحدده له ليقوم بمسئولية الدعوة.. وقد ذكر شيخ الإسلام الدكتور عبد الحليم محمود فى كتابه عن القطب البدوى عشرات ممن وجههم إلى مختلف المناطق بمصر.. ومنهم من أرسله إلى الحجاز واليمن والشام وغيرها..

الذى خرج للدعوة بأمر شيخه ومباركته يكون مؤيدا.. ويكون أثره فى الناس ممتدا.. وعلى عكس ذلك تماما من يخرج بنفسه..

شيخنا موضوع هذا الكتاب هو واحد من كبار الدعاة إلى الله بحق فى القرن العشرين.. خرج للدعوة بإذن شيخه ومباركته، بعد أن تمت تربيته، وكمل حاله..

ومن شيخه؟

إنه الإمام أحمد رضا خان البريلوى! إمام أهل السنة فى العصر الحديث، وإمام المحبين لحبيب رب العالمين، وإمام المادحين، وإمام العارفين، وإمام العلماء العاملين، وإمام المجاهدين المرابطين.. وقل فى فضله ما شئت.. فإن صفاته تجل عن الوصف، والله يرزق من يشاء بما يشاء.. والله ذو الفضل العظيم!.

هذا إذن هوالسر فى النجاح الباهر الذى حظى به الشيخ محمد عبد العليم الصديقى الميرتى القادرى.. لقد كان أعجوبة من الأعاجيب.. أحبه شيخه، وأثنى عليه، وأفاض عليه الكثير من فيوضاته!.. أما هو فقد ذاب فى حب شيخه.. ونسب نفسه إليه مُسميا نفسه: "عليم الرضا"..

لقد كان دور الإمام أحمد رضا- الذى أقامه الله فيه- هو أن يمٓيط الشوائب عن طريق المسلمين المتمثلة فى البدع التى انتشرت واشتد عودها.. أمضى عمره كله مدافعا عن الحق حتى يظل الحق عاليا متألقا!

كانت البدعة الوهابية من البدع التى حاربها بلا هوادة.. فحذر من مدرسة "ديوبند" و"ندوة العلماء"، ونبه إلى خطرهما..

ومن رحم مدرسة "ديوبند" خرجت "جماعة التبليغ والدعوة" التى ذاع صيتها فى العالم وانتشرت فى بلدانه.. ولقد قدر الله لى أن أصحب تلك الجماعة عشر سنوات كاملة.. رأيت فيها جموعا هائلة.. وجهودا ضخمة.. وأموالا وأوقاتا كثيرة تنفق.. وغير ذلك من "مظاهر".. لكننى انتهيت إلى أنها تفسد فى الأرض ولا تصلح! .. (وإذا قيل لهم لا تفسدوا فى الأرض قالوا إنما نحن مصلحون)..

إن عمل الدعوة إلى الله، إن شيب بذرة باطل واحدة رفع الله عنه يده.. وأصبح هباء منثورا!. ولقد أخذ الشيخ الميرتى عن شيخه البريلوى إخلاصه وتفانيه فى نصرة الحق.. وغير ذلك من صفات شريفة، جعلت الناس أينما سار ينبهرون بأخلاقه، ويتعلقون بطريقته.. وإن القارىء لهذا الكتاب لواجد من أخباره عجبا!..

جزى الله خيرا الدكتور أنوار أحمد خان مؤلف الكتاب على ما قدم.. وأسأل الله أن يكثر فى الأمة من أمثاله ممن يكتبون عن رجال أمتنا الصادقين.. فإنهم المصابيح المنيرة التى بنورها ينقشع ما أحاط بحياتنا من ظلمات!.

اللهم صل على النور المنير.. سيدنا محمد..

وسلام على المرسلين.. والحمد لله رب العالمين.

محمد خالد ثابت

القاهرة جماد ثان ١٤٣٦هـ - مارس ٢٠١٥م

تقديم

الأستاذ الدّكتور محمّد معراج الحق البغدادي

أستاذ اللغة العربية في دار العلوم العليمية

جمدا شاهي، بستي، الهند

الحمد لله وحده، والصّلاة والسّلام على مَن لا نبيَّ بعده.

في مستهلّ القرن السابع عشر الميلادي توجّه رجال الجاليات من أصحاب التنصير والتبشير من فرنسا نحو بلاد الشام، وقاموا بإنشاء مؤسّسات، ومعاهد تعليمية، وشرعوا في طبع بعض الكتب بعناوين مختلفة، ثمّ سَعت الولايات المتحدة الأمريكية نحو بثّ دعاتها وجالياتها التبشيرية في الدول العربية والإسلامية، ولم تمض – على هذه الظاهرة - إلا أيام قلائل حتى خاضت ألمانيا وبريطانيا غمار الحلبة.

تبنت الجاليات المسيحيّة التبشيرية فرض هيمنتها الثقافية والحضارية على ربوع العالم الإسلامي قاطبة، فالدراسات التحليلية لهذه الجاليات تشير إلى أنّ الكنيسة وحدها لم تكن وراء دعم هذه الجاليات مادياً ومعنوياً فحسب، بل مثّلت الحكومات الأوربية والاستعمارية دوراً قيادياً، وظلت ساهرة على تنفيذ مخطّطات الكنيسة ومشاريعها عبر استخدام الأجهزة والوسائل الحكومية على نطاق واسع.

يتساءل الدكتور محمد إبراهيم في كتابه "الاستشراق رسالة الاستعمار" متعجباً: (إن المحافل الغربية والمجتمعات الأوربية لا تنظر إلى الدين نظرة حفاوةٍ وتقديرٍ جرّاء بعض القيود الاجتماعية والدينية التي

يفرضها الدين عليها، فهي تنافي تماما روح الثقافة الحديثة، وبالرغم من ذلك لا تدّخر الحكومات الأوربية والغربية وسعا في زجّ جالياتها المسيحية ورجال التبشير نحو البلاد الإسلامية والعربية)[1].

فالجاليات التبشيرية التي انهمرت على العالم الإسلامي من الغرب قامت بتأدية وظائفها بغاية من اللباقة والكياسة، فهي لا تسعى إلى عقد اجتماعات ومؤتمرات عملاقة في البلاد، أو لم توجه الدعوة إلى المسلمين بالمجادلة والمناظرة، ولم تدل بتصريحات ونعرات مسعورة تدفع المسلمين إلى إبادتهم وتدميرهم تدميرا شاملا، بل سلكت منهج المؤاخاة والمداراة لهم، وفي بدء الأمر حاولت كلّ ما بوسعها نحو ترسيخ الاعتقاد بأنها محبة للمسلمين ومخلصة لهم، وهذا ما نتج عنه فتح مدارسَ ومكاتبَ حتى في المناطق التي يشكّل فيها المسلمون أغلبية ساحقة، ليتسنى لها غرس بذور الديانة النصرانية في قلوب الناشئين، وتأليف قلوبهم تجاه ديانتها بسهولةٍ بالغةٍ، يقول الأستاذ محمّد رضا عبد الرّشيد في كتابه "المستشرقون ومخطّطاتهم"، ويذكر في هذا الصدد أنّ جهود الجاليات قد تركزت في فتح المدارس على المستويات الابتدائية والمتوسطة دون الدراسات العليا، فقد كانت الجاليات هذه بمعزل عنها، والسّر واضح في تخطيطها كالشمس في رابعة النهار، ألا وهو أن نفوس الناشئين صالحة لتلقي وقبول كل ما يتلقونه من أساتذتهم دون تردّد، وبالتالي يتسنّى لهذه الجاليات الهجوم على المعتقدات الإسلامية التي يدينها هؤلاء الصغار

(١)"الاستشراق رسالة الاستعمار"، للدكتور محمّد إبراهيم، نقلا عن مجلة "الدعوة" الفصلية الصادرة من مومباي، العدد: ١٧، كانون الثاني - آذار، ٢٠٠٩م.

المسلمون فيما بعد بسهولة"[١].

وتحقيقا لتلك الأهداف المسعورة شرعت الجاليات في توظيف النساء كمعلمات في المدارس، علما بأنهن صواحب مهارات وخبرات في مجال سيكولوجية الأطفال واستخدامهم للأهداف المنشودة.

جاء في تاريخ الاستشراق أن رجال التبشير جعلوا إندونيسيا –وهي دولة مسلمة ذات أغلبية ساحقة - مركزا لنشاطاتهم الدعوية، ويذكر في هذا الشأن أنّ كبار المسئولين في الحملة عقدوا مؤتمرا في مدينة "مالابح" الإندونيسية، وتبنت لجنة المؤتمر قرارا مفاده: أنه سيتمّ تنصير المسلمين في جزيرة جاوا الإندونيسية في غضون عشرين سنة قادمة، بالرغم من أنّ المسلمين كانوا يشكّلون في تلك الجزيرة عدد ٦٥ مليون نسمة، وفي المؤتمر نفسه جاء قرار آخر ينصّ بتنصير المسلمين كلّهم في إندونيسيا أثناء خمسين سنة قادمة.

وممّا نتج عن قرارات المؤتمر أنّ المنظمات والحكومات المسيحية لم تألُ جهدا في تحقيق أهدافها في تلك البلاد المسلمة ذات الأغلبية بصورة عشوائية، وهذا مَا نستلهمه من إحصائيات الكنيسة البروتستينية في إندونيسيا لعام ١٩٧٥م: إن إندونيسيا تحتضن في ربوعها ٩٨١٩ كنيسة و٣٨١٩ أسقفا، و٨٥٠٤ موظفا إداريا، بالإضافة إلى امتلاك الكنيسة مطاراتٍ، وخطوطاً جوية، ومطابع، وشركات، ومستشفيات عديدة وغيرها من العقارات والأسهم في الممتلكات.

---

(١) المصدر السابق.

وتحقيقا لأهداف الجاليات المسيحيّة في إندونيسيا وتدعيما لنشاطاتها أخذت الكنيسة في إندونيسيا قرارات من أهمها:

١- اقتناء قطع أرض صالحة لإنشاء كنيسة أو مكتبة، مهما يكن السعر مكلفا – وبناءً على هذا تمّ شراء مبنى كان مستخدما للأغراض الدينية للمسلمين، بتكلفة قدرها ثلاث مئة ألف دولار أمريكي.

٢- إنشاء مراكز ومجمعات تجتذب قلوب الشباب المسلمين بصفة خاصة.

٣- دفع قروض للمزارعين المسلمين لقاء تسجيل أولادهم في المركز.

٤- إنشاء مبان في المدن المعروفة والكبيرة للأغراض الدعوية تحت شعار "الخدمات الإنسانية".

٥- توزيع التموينات كالأرز والملابس وغيرها بين الفقراء والطبقات المنبوذة لتأليف قلوبهم(١).

فالجاليات التبشيرية لم تكثف دورها في نشر أفكارها ومعتقداتها المسيحية تحت إشراف الحكومات الأوربية في بلاد إندونيسيا الإسلامية فحسب، بل حطّت رحالها في الدول الإفريقية والهند، فقد كشف المجلس التبشيري المسيحي في بريطانيا عام ١٩١٠ الميلادي في تصريح له قائلا: إن للمجلس في الهند ٢٠٠٠ (ألفين) مركزا تبشيريا و ١٠٠٠ (ألف) مدرسة، بالإضافة إلى امتلاكه مئات من المؤسسات، والمعاهد، والمنظمات التي تؤدي واجبها بصورة أفضل، والمجلس لديه جامعة

---

(١) ينظر: المصدر السابق: ص: ٩٥.

للدراسات العليا، ويتمّ تسجيل الطلاب المسلمين فيها، لكنهم لا ينصـهرون في بوتقة التبشير كاملا، إلا أن بعضهم يتأثرون بمعتقدات النصرانية .

يقول الأستاذ محمد رضا عبد الرشيد في مقال نشرته مجلة "الدعوة الفصلية" الصادرة من مومباي في عددها ١٧ كانون الثاني- آذار ٢٠٠٩م-: " الحملات التبشيرية ازدادت نشاطاتها على الصعيد العالمي، فلها أكثر من ٥٠٠٠ (خمسة آلاف) منظمة ساهرة على نشر الديانات المسيحية في العالم بإيعاز من الدول الغربية تحت شعارات مغرية ولافتات مغرضة، وليس همها إلا فرض ثقافتها وأيدلوجيتها المشبوهة على شعوب العالم"(١).

فقد اتضح فيما سبق من الشواهد والتصريحات أنّ العالم الإسلامي والعربي بصفة خاصة كان يئنُّ تحت وطأة الحملات التبشيرية منذ القرون، وعندما تضاءلت الشوكة الإسلامية واضمحلت قوتها بزوال الخلافة العثمانية في مستهل القرن الماضي تكالبت القوى الاستعمارية على العالم الإسلامي تكالبَ الأكَلة على القصعة تحقيقا لمطامعها المادية والسياسية، فنشطت المنظمات والمؤسسات، وتخطت خطوات حثيثة في مجال التنصير والتهويد في العالم الإسلامي، وفتحت جبهات عديدة رامية النيل من كرامة الدين الإسلامي، وبثّ السموم في النفوس بانتهاج الدعايات الكاذبة ضد الإسلام وتشويه سمعته الغراء.

وهذا ما حدث ميدانيا في نهاية القرن الثامن عشر حيث كان الاستعمار الغربي مخيّما على معظم القارتين الإفريقية والآسيوية على

---

(١) ينظر: المصدر السابق.

السواء، فوضعت الكوادر التبشيرية مشروع تنصير الشعوب المقهورة والمستعمرة نصب عينها تحت لافتات ونعرات جوفاء من "الديموقراطية"، و"الشعبية"، و"الجمهورية"، و"التحرر من الأغلال التقليدية وجور الأديان والقيم والأعراف المتبعة عليها منذ القدم"، وهذا ما نتج عن فتح بوابات جديدة من مظاهر الترف والخلاعة والمجون في المجتمع، فعمّت السلبيات المرفوضة في المحافل الاجتماعية من الانحلال الخلقي باسم الثقافة والتنوير، وممّا زاد الطين بلّة أنّ العواصف الهوجاء الغربيّة المنحلة قد هبّت بكل قضّها وقضيضها رامية غزو العقل الإنساني، وصهرها في بوتقة يسودها الميوع والإباحية في جميع مجالات الحياة، فالتشكيك في تراث الفرد، وتوجيه النقد ضدّ عباقرة الدين وعظمائه باسم البحث والتحقيق، وفتح أبواب الشبهات والريب ضد الثوابت اليقينية من المعارف والحقائق عن طريق عقد المجالس للبحث والنقاش، وما إلى ذلك من السلبيات المرفوضة، كلها شبّت وترعرعت وأخذت مجامع القلوب إثر الحركات التبشيرية الاستعمارية التي يتلمسها كل رجل واع عن كثب من خلال نظراته حول أوضاع المسلمين في هاتين القارتين، وقد سلّطنا الأضواء في السطور المذكورة أعلاه بما فيها الكفاية بأن تلك الحملات كانت مزودة بأحدث الوسائل والمعدّات، ومدعومة عن الحكومات المسيحية بمعنى الكلمة.

ومما لا يختلف فيه الإنسان أن القيام بأعباء الدعوة الإسلامية ونشر الرسالات السماوية السمحة من أشرف المهمات وأعظمها مكانة، فقد حثّ القرآن الكريم المسلمين عليها فقالَ تعالى: (كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاس تَأْمُرُونَ بِالمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ المنْكَرِ) [آل عمران: ١١٠]، والخوض

في بحار الدّعوة الإسلامية لن يتأتّي إلا بعد المغامرات وركوب الأخطار الجسيمة، فهي في أمسّ حاجة إلى مثابرة مثالية وجهود مضنية مفعمة بحب الله – جل وعلا- ورسوله الكريم – عليه أفضل الصّلاة والتسليم- فقد لاقى الأنبياء والرسل وأولوالعزم من الصحابة والصالحين في تأدية وظائفهم الدعوية هذه أفانين العذاب وصنوف الآلام، وتجرّعوا في مسيرتهم الإصلاحية كؤوس العلقم والحنظل من المشاق والعذاب، كما أن النخبة من أولئك النفوس المطمئنة لم يبالوا بحياتهم بل ضحّوا بها وفازوا بدرجة الشهداء في سبيل إعلاء الرسالة الخالدة، وتركوا في سجلّ التاريخ ذكرا خالدا وأثرا رائعا يعتزُّ به تاريخ الدعوة والعزيمة عبر العصور، فهم كانوا نموذجا فذّا لقوله تعالى: (رَضِيَ الله عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ الله ألا إنَّ حِزْبَ الله هُمُ المُفْلِحُونَ) [المجادلة: ٢٢].

تماشيا مع نواميس الدعوة الأصيلة التي تبنّاها القرآن الكريم، وجعلها منهاج الدعاة ونبراسهم في حقل الدعوة والإرشاد بقوله تعالى: (ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ) [النحل: ١٢٥] دأب العالم الرباني فقيد الدعوة الإسلامية الداعية الكبير العلامة عبد العليم الصديقي الميرتي –١٨٩٢- ١٩٥٤- في مضمار الدعوة، وتبليغ الإسلام على الصعيدين الوطني والدولي، وتحقيقا للأهداف الدعوية السامية ومستلهما من وحي القرآن الكريم، (وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ) [فصلت: ٣٣]. بذل الشيخ جل طاقاته وهو المبارز الوحيد في ساحة الوغى أمام الجاليات التبشيرية ورجال المنظمات المسيحية الذين لديهم سلطة ونفوذ منذ القرن الماضي وقام بتبليغ رسالات الإسلام الخالدة في شعوب القارة الأمريكية

المتحضرة وبين قبائل القارتين الإفريقية والآسيوية الذين لا يزال بعضهم يعيش على الفطرة، فهو جاب الأمصار وقطع الفيافي والقفار من أقصى الدنيا إلى أقصاها ينشر أريج الإسلام ويعطّر القلوب التواقة بمسك الحب الإلهي والهيام بالنبي الكريم وشمائله الطيبة حتى انزوى مئات الآلاف من الحيارى والضالين إلى مرافيء السعادة الحقيقية ودخلوا في رحاب الإسلام، وهكذا رفع الداعية الكبير راية العدل والمساواة والكرامة إلى شعوب العالم قاطبة، وغرس بذور التوحيد والعشق لصاحب القبة الخضراء الصادق الأمين ومحبوب رب العالمين - عليه أفضل الصلاة والتسليم - في قلوب ظامئة، فأخرج الناس من عبادة الجشع المادي وحبّ الجاه والجهل والشرك إلى ظلال التقوى والفلاح والإيمان والعقيدة، وأنقذ نفوسا ضائعة بين الأوهام والخزعبلات من المعتقدات الخرافية التي لا تمتّ إلى الواقعية بصلةٍ، وهذا ما تشكو الجاليات التبشيرية حزنها وبثّها عندما شاهدت جهود الداعية الكبير الشيخ عبد العليم الصديقي متكللة بالنجاح والتوفيق بأمّ عينها، وتلمست الجاليات التبشيرية نهوض المسلمين إلى الإسلام من جديد عن طريق إنشاء مكاتب ومدارس وبناء جوامع ومنظمات للمسلمين في بلاد أوربية وإفريقية، فقد تعكّر صفو الجاليات عندما رأت جموع القبائل الإفريقية والأوربية تدخل في دين الله أفواجا، وما أذهل الغرب هو عاطفة الشيخ الجياشه الدعوية وقوة حججه الدامغة، ومنهج إقناعه للفريق المخالف حتى يذعن للحق ويستسلم للصواب.

الشيخ الداعية محمّد عبد العليم الصديقي القادري من أولئك العباقرة الأفذاذ الذين قلّما يجود التاريخ بمثله هم في شبه القارة الهندية، وكان من الأنسب أن تسجّل مآثره ومكارمه الدعوية ونشاطاته العلمية، ومساهماته

الفكرية البناءة بأحرف من النور لتتمهّد السبل بصورة أفضل للذين يريدون أن يعمّ العفاف والصلاح والدين في المجتمع الإنساني على جميع الأصعدة، ويسعون نحو انتهاج الدروب في مجال الدعوة والإرشاد بصورة أمثل، فالداعية والمفكّر العصامي العبقري الذي صدع بالدعوة الإسلامية بين المحافل الدولية، وجاهد في الله حق جهاده بقلمه ولسانه، فأدّى الأمانة التي كانت ملقاةً على كواهل الأمّة الإسلامية كافةً، وهو الذي واجهَ التحديات التبشيرية ونافس رجال الجاليات المسيحية متوكّلا على حول الله وطوله، مدفوعا بالحماسة الجياشة الإيمانية، وهذا ما يُميّزه عن غيره من رجال الدعوة الإسلامية الآخرين في العالم، يقول الأديب الشهير عبد الماجد الدريا آبادي في هذا الشأن: "من الخطأ أن نحكم على البريلويين (المسلمون من أهل السنة والجماعة في شبه القارة الهندية) على سواء، فإن الشيخ عبد العليم الصديقي منهم (من أهل السنة والجماعة) قدّم خدمات جليلة في مجال الدعوة والإرشاد"(١).

ويقول سيد سليمان الندوي معجبا بشخصيته العبقرية: "الشيخ عبد العليم الصديقي القادري عالم وداعية متحمس .... رغب في الدعوة إلى الله، فانتخب لنفسه جزر الهند الصينية، والمدن الساحلية..... ولا يزال يسافر إلى سنغافورة، وجاوا، والصين، واليابان، وإلى إفريقيا على مدار السنة.... كنت أقرأ عن أعماله الدعوية في الجرائد، ولكنه صادف لي أن التقيت مسلمين أوربيين أسلموا على يده، فتحيرت كثيرا، وقلت: إنه الله الذي يعطي من يشاء من فضله، وإن مساعيه الدعوية تدعو رجال الدين

(١) ينظر: الجريدة الأسبوعية "الصدق الجديد" الصادرة من لكناؤ في ٢٥ نيسان ١٩٥٦م، نقلا عن كتاب "مبلغ الإسلام العلامة الشاه عبد العليم"، ص: ٧.

والمشائخ إلى الاحتذاء به، والمسلمين عامة إلى الشكر والاعتراف بها"[1].

يقول الصحفي بير على محمد الباكستاني عندما زار "فلبين" وشاهد بأم عينيه مساعي الداعية العملاقة متمثلة بين يديه: "عندما تمّ تعييني بصفتي مبعوثاً/ سفيراً لفيلبين فلاحظت أنّ الداعية الشيخ عبد العليم الصديقي -رحمه الله- قدّم خدماتٍ جبّارةً في مجال الدعوة والإرشاد ونهوض الأمّة نهضة دينية لم يسبق لها مثيل، وممّا يبعثني على الاستغراب أنّ المسلمين في باكستان لا نصيب لهم من الحفاوة والتقدير في فيليبين إلا بسبب أن الشيخ الداعية ينتمي إلى تلك الدولة المسلمة ..."[2].

وهناك شخصيات عالمية بارزة وصحف وهيئات لا تعدُّ ولا تحصى تقوم بالثناء العاطِر على ما أدّى الشيخ من مهماتٍ دعوية نبيلة في ظروف حالكة قاسية، وقاومَ الحركات والمنظمات وسعى إلى ردع مكائد الجاليات التبشيرية إلى نحورها، لا يسع المقام هنا إلى ذكرها.

ومما يبعثني على الإطراء أنّ زميلي الفاضل فضيلة الشيخ الدكتور أنوار أحمد خان البغدادي -حفظه الله- قام بجمع وترتيب تلك الأوراق والمستندات المبعثرة والضائعة بين الخمول والخمود، والتي تحكي عن بطولات الشيخ الدعوية وأمجاده ومكارمه الخالدة في دُفتي الكتاب بصورة شاملة جامعةٍ على أساس أن هذا العمل سيكون خير وسيلة لشحن بطاريات

---

(١) ينظر: مجلة "معارف" الصادرة من أعظم جره في آذار١٩٣٨م، ص: ١٦٢ نقلا عن كتاب "مبلغ الإسلام"، ص: ٤٨.

(٢) ينظر: صحيفة "جنك" اليومية الصادرة من كراتشي بتاريخ٢١ من سبتمبر ١٩٨٤م نقلا عن مجلة "الدعوة" الصادرة من مومباي كانون الثاني، آذار ٢٠٠٩م.

الشكر والتقدير، والاعتراف بالجميل بما قدّمه الشيخ الداعية من جهود وأعمال، كما أن هذا الكتاب يعتبر نبراسا للسالكين الحيارى في مجال الدعوة والإرشاد، فبه يهتدون السبل، ويشحّذون الهمم، ويصقلون المواهب، كما يجدون بغيتهم لتحقيق أحلامهم الدعوية وتنشيط مواهبهم الفاترة.

يمتاز هذا الكتاب بأسلوب شيّق متين يغلب عليه الطابع العلمي والأدبي على السّواء، ورغم انتماء الكاتب إلى الهند – دولة عجمية بعيدة عن البيئة التي يمتاز أهل لغة الضاد من فصاحة وتعبير أدبي جميل- لن يتسرّب إلى خلد القارئ الشعور بالملل والسّآمة، أو الرّكاكة في التعبير أثناء دراسته الكتاب، والذي يبعثني على الاعتزاز بهذا الكاتب الشاب المفضال أنّه عاش فترة لا يستهان بها في أجواء بلاد الرافدين معقل العروبة والإسلام في العراق العظيم، مستلهما من ينابيع بغداد العلمية، مرتشِفاً من روافدها العَذبة، فأروى غليله العلميّ، وأشفى عليله الأدبي عند أفضل مناهل العلم في الوطن العربي كاتباً وباحثاً وطالباً، فتعب وسهر، وجدّ فوجد، وأخيرا خرج من المعركة، والظفر حليفه، والنجاح خليله، وأمارات المتانة العلمية وتباشير الجد والمثابرة تعلو محياه والقلم العلمي الثري بالعربية والأردوية ينمّ عن أبعاده الفكرية وأغواره البعيدة.

قد صبّ المؤلف المفضال جام مهاراته المعنيّة في إعداد بحث علمي، حيث سلك في جمع المعلومات والمواد مسلك باحث موضوعي غير منحاز، وهذا ما يُميّزه عن غيره من الكتّاب والمؤلفين والباحثين الذين يسعون نحو إعداد سيرة أو حياة شخصيات بارزة، فقد لا يتجافى الباحث أثناء بحثه عن جمع رطب ويابس من المواد، فهو يذهب – في معظم الأحيان - ضحيّة الإفراط والتفريط في ذكر الوقائع، وهذا ما ينافي وطريقة

البحث العلمي، أمّا المؤلف في كتابه هذا فقد كان موفقا في كشف القناع عن الوقائع والذكريات، حيث كل ما يقوله مزوّد بالبرهان والشواهد العلمية والذي لا يعوزه الأسلوب العلمي، وهذه حقيقة يتلمسها القاريء أثناء تصفحه لهذا الكتاب.

وفي الختام لا يسعني إلا أن أدعو في حق هذا الكاتب المفضال أن يبارك الله في جهوده ومساعيه العلمية، ويجعلها خالصة لوجهه، وأن يمطر الله علينا وعلى كل من ينتمي إلى الأسرة العليمية والنورانية، وعلى المسلمين في العالم شآبيب رحمته، ويجعلنا من الذين يقتفون آثار سنن الداعية الكبير الشيخ عبد العليم الصديقي الميرتي القادري عليه الرحمة والرضوان، آمين، ثم آمين بجاه سيد المرسلين.

كتبه

محمد معراج الحق البغدادي

الباحث بجامعة جواهر لال نهرو، نيو دلهي

تحريرا في ١٤ من ذي قعدة ١٤٣٥هـ

المقدّمَة

اقتضتْ مشيئةُ الله تعالى أن يخلق الظلام ليُوَضِّح أهمية النور، وليغمّه الكفر في متاهات الضلال، فيتجلي شرف الإيمان، و يسود المجتمع البشري الأمن والسعادة، فترفع راية الصدق والصلاح، مترفرفة عاليةً في سماء المجد، ويعمّ العدل والإحْسَان، ويكون الدّين كلّه لله، فإنّ كل ظلام تتبعه الهداية، ولهداية البشر أرسلَ الله تعالى الأنبياء - عليهم الصلاة والسلام - ثمّ تبعهم العلماء الصالحون ورجال الدّين دعاةً وهداةً إلى يوم القيامة في ربوع المعمورة كلّها.

إنّ الإسلام هو الدّين الحنيف الخالد الذي بهرت أنوارُه الساطعة القلوبَ الظامئة المظلمة، ولا تزال أشعتُه الخلّابة تأخذ بمجامع القلوب في كل عصر ومصر، ولن تتضاءل شعبية هذا الدّين وعظمته قيد شعرةٍ مهما تكالبت عليه الحركات الهدّامة والقوى الباطلة الظالمة المتغطرسة؛ لأن الله تعالى هو متِمُّ نوره، ولو كرهَ الكافرون.

ولهذه المهمّة العظيمة قفّى الله تعالى جماعة الأنبياء والرسل بالعلماء الصالحين المخلصين الذين ينوبونهم دعوةً وإرشاداً.

ومن هؤلاء النائبين المخلصين الشيخ الدّاعية العظيم المفكّر الإسلامي الشهير، العلامة الحكيم محمّد عبد العليم الصّديقي المِيرتي القادري، الذي أخلص لله تعالى جهوده، وبذل في سبيله ما كانَ بوسعِه، حتى غدا منارة للدعوة والإرشاد، ورمزا خالدا للحب والسّلام على المستوي العالمي، وسفيراً للإسلام في كلّ مكان، له أعمال جليلة وخدمات عظيمة

لا يمكن أن ينساها التاريخ، بل يذكرها بلسان نديّ بالإعجاب ورطيب بالثناء على مدى القرون والسنوات.

لقد تحلّى الشيخ الميرتي -رحمه الله - بالعلوم العصرية إلى جانب العلوم الدينية ليقوم بأعباء الدعوة والتبليغ، وتسلّح بالأعمال الصالحة، وتزيّن بمكارم الأخلاق والآداب والصفات المباركة من صبرٍ، وعزيمة، وحلم، وتواضع، وحكمة، ومحبة، وتعلّق قلبُه بالله - عز وجل- ورسوله صلى الله عليه وسلم اتصالاً وثيقاً، ليترك كلامه أثراً قوياً في قلوب النّاس، وتحمّل مشاق السفر حول العالم ليدعو الناس إلى الدين الحنيف ولتعلو كلمة الله، وتكبَّدَ المتاعب ليُرشِدِ الناس إلى الجنّة، داعِياً مجاهداً مؤمناً ومخلصاً.

نشأ في بيت التصوّف، وتضلع من العلوم والتكنولوجيا شابّاً، فجمع بينهما ليقدِّمَ الإسلامَ في صورةٍ مقبولةٍ أمام العالَم المتحضّر المثقّف في عصر التقنية الحديث.

والحقيقة التي لا يمكن رفضها، هي أنه رُزق إلى جانب المؤهلات الكسبية والأسباب المادية الموهبة الروحانية لطهارة قلبه وصفاء روحه، فمَلأ الدّنيا نوراً وضياءً، حيث إنّه لم يدخل قرية مظلمة إلا ونوّرها بأنوار الإسلام، ولم يدخل قرية جاهلة إلاّ وغمرها بالعلم والعرفان، ولم يناقش أحدا في قضيةٍ من القضايا العلمية أو الدينية إلا خرج ظافراً يتربّع على قمّة النجاح، قوّةُ إيمانه تُكسِّر الحواجز، وتذلّل العَقبات، وأخلاقه تستقطِب القلوب، وجرأتُه تتحدّى الجبال الشّامخات، وبركاتُه تسع المدن والأرياف، وخدماته وحده تفوق المئات والآلاف.

أسلوبُه العلمي الجميل كان يترك أثرا إيجابيا في أذهان الناس، وقلبه الصافي الورع كان يعكس عليهم صورة الصدق والإيمان، وصورتُه الوضّاءة المشرقة كانت تجذب قلوبهم إليه، فكانوا يتأثرون بأخلاقه، كما كانو يتأثرون بأدلته الدامغة، وحِججه القاطِعة، فكانت قلوبُهم تتفتح للإسلام، كما تتفتح أزاهير الرياض لتباشير الصباح.

وبالتالي تابَ نتيجة لجهوده آلافٌ من المسلمين، وأسلمَ آلافٌ من الكفّار، وهلكت القاديانية، وتذابلت الاشتراكية، وانكسرت الإلحادَية المادية، وعُمِّرت الأرض بالمساجد، وتزيّنت بالمدراس والكلّيات والجامعات، وأصدرت الجرائد والمجلّات، وافتتحت المنظّمات والهيئات لحلّ قضايا الناس وشؤون البلاد، وما إلى ذلك من أمور استفاد بها الخلقُ على حَدٍّ سواء، لا في مهبط رأسه، في الهند فقط، بل في العالم كلّه.

طافَ العالم كلّه داعيا إلى الله، ولم يرجع خاوى الوفاض[١] من أيِّ بلدٍ قصدَه، لم تمنعْه بحارٌ واسعةٌ، ولم تقف في سبيله جبالٌ شامخةٌ، ولم تعرقله موانع طبيعية، ولم تُعِقه ظروف عصيبة، يجوب العالم كلّه، تاركا فيه بصمةً إيمانية تبقى آثارُها إلى يوم القيامة، بل وصلَ بالإسلام في جزر ساحقةٍ ودول نائيةٍ لم يصل إليها الدّعاة المسلمون قبلَه.

نعم، إنه وصل إلى جميع الطبقات كأنه شمس طالعة على ربوع الأرض، تصل أشعته إلى الغني والفقير، والحاكم والمحكوم، والشريف والوضيع، والقصر والكوخ البسيط، حيث خاطبَ أهلَ القصور وأرباب

(١) كناية عن الإفلاس التام.

الجامِعات والكلّيات العصرية، كما خالط الفقراء والمساكين، في القرى والأرياف يدعوهم تحت الأشجار.

نظراً إلى أعماله العظيمة وشخصيته القوية تأثر به عباقرة عصره من أمثال قائد الحركة الباكستانية محمّد علي جناح، ومجاهد المغرب الغازي عبد الكريم، ومفتي فلسطين سيد أمين الحسيني، ومؤسّس جماعة الإخوان الشيخ حسن البنا، والدّاعية الشهير الشيخ أحمد الديدات، وقاضي سريلانكا السيد ايم مرواني، وقاضي كولومبو ايم تي أكبر، والكاتب الأيرلندي الشهير جورج برنارد شو، وغيرهم كثيرون، وكثيرون حول العالم.

فحوى الكلام إنّه قدّمَ للإسلام خدمات عظيمة، بالتصنيف والتأليف والخطب والمحاضرات، وبالعمل والأخلاق، كأنّ وجودَه كلّه أصبح عبارةً عن خدمة الإسلام، فلم يفكّر قلبُه إلاّ فيه، ولم يشتغل لسانُه إلاّ بذكره، ولم تعمل يداه إلاّ له، ولم تتحرّك رجلاه إلاّ لأجله، ولم تبصر عيناه إلاّ لخاطره، بل الإسلام هو كلُّ شيءٍ في خلوتِه وجَلوته، وفي نومه ويقظته، إذ إنّ الإسلام هو الدّين المحبوب عند الله، وحبُّ الله ورضاه مطلوبُ المؤمنين المخلصين من أمثال الشيخ، طيّبَ الله ثراه، وجعلَ الجنّة مثواه.

هذه عجالة نقدّم من خلالها شخصيةً دعويةً يندر نظيرها في قرون متتابعة، وتذكّرنا بالقرون الأولى التي كانت تزخر برجال الدّعوة والإرشاد، الذين نشروا أريج الإسلام في العالم.

وسمّينا هذا البحث عجالة؛ لأنّه أخرجَ إلى الطبع في مدّة يسيرة ما شاء الله سبحانه تعالى، وهو لا يقدّم إلاّ نزراً يسيرا من حياة الشيخ الدّاعية وأعماله العظيمة المترامية الأبعاد التي تتجاوز خمسا وثلاثين دولةً على

وجـه الأرض، وربّمـا أكثـر مـن ذلـك؛ إذ إنّـه لـم تسـجّل وقـائع دعواتـه فـي عصره ولا بعده، ولم تجمَع آثارُه الدّعوية، ولـم تُدرَس أعمالـه الكامِلـة إلـى اليوم، ونرجو في المستقبل أن يقوم باحث بجمع آثاره كاملـةً، كما نرجو أن يكون هذا الكتاب قد سدّ ثغرةً من الثغر، ورسمَ لهم طريقة للبحث مُعِينا على المضي نحو الأمام.

وَزّعنا هذا البحث على فصلين، الفصل الأوّل يحتوي على أربعة مباحث، والفصل الثاني على أحد عشر مبحثاً، وكلّ مبحثٍ يضمّ عناوين فرعية، والعناوين تحكمها طبيعة المادة المطروحة على طاولة البحث، إضافةً إلى الخاتمة التي هي نتيجة البحث وخلاصته.

وأخيراً نسعد بتقديم هذه السّطور عن أعمالِ داعيةٍ من الدّعاة إلى العالم العَربي ليطّلع العالمُ على أعماله ومنهجه في الدّعوة والإرشاد، ويتخذه نبراساً يستهدي به ويستنير دروبه، وليصبح العالم مرفأ الأمن والسّلام بمنهج الكتاب والسنة.

والله من وراء القصد، وما توفيقي إلاّ بالله، وهو الموفّق والمستعان، وصلّى الله تعالى على خير خلقه وعلى آله وصحبه وسلم، آمين يا ربّ العالمين!.

د. أنوار أحمد خان البَغدادي

دار العلوم العليمية، قرية جمدا شاهي، مديرية بستي، الهند

تحريراً في ١٦ ربيع الأوّل ١٤٣٥هـ

١٨ كانون الثاني/ يناير ٢٠١٤م

الفصل الأوّل:
حياته وأسرته

المَبْحَثُ الأوّلُ: حَياتُه

المَبْحَثُ الثاني: شخصيات بارزة في الأسرة العليميّة

المبحث الثالث: نجله الشيخ أحمد نوراني، شيءٌ من حياته وأعماله

المبحث الأوّل

حياة الداعية الشيخ عبد العليم الميرتي

- اسمُه ونسبه وولادته
- أسرتُه الصدّيقية
- نشأته العلمية
- نشأته الرّوحانية
- علومُه وفنونه
- شِعرُه
- أوصافه وخصاله
- مهنتُه وأسبابُ قوته
- زواجُه وأولاده
- انتقالُه إلى رحمة الله

اسمُه ونسبُه وولادته:

هو الدّاعية الكبير، سَفيرُ الأمْن وَالسَّلام، المفكّر الإسْلامي الشّهير، الحكيم الطبيب، الشّاعِر المادِح، التّقيّ النّقي الصّالح، الصُّوفي الوَرِع، العَارف بالله، العلامة الشيخ المبجّل، محمّد عبد العَلِيم ابن الشّيخ الصُّوفي الشّاعر عبد الحكيم الصدِّيقي المِيرتي، يتّصل نَسَبُه بالخليفة الأوّل سيّدنا أبي بكر الصدّيق الأكبر ﷺ[1].

---

(١) ينظر: "تذكرة خلفاء أعلى حضرة"، رتّبه: الشيخ محمّد صادق القصوري، والبروفيسر مجيد الله القادري، ناشر: إدارة تحقيقات إمام أحمد رضا، كراتشي،

وُلِد الشيخ -رحمه الله- ١٥ رمضان المبارك ١٣١٠هـ، المصادِف ٣ إبريل سنة ١٨٩٢م، في حَيّ "مشايخان" ببلدة "مِيْرَتْ"[١] الهنديّة[٢].

أسرته الصدّيقية:

أسرتُه عربيةٌ خالصة، تُعرَف في الهند بالأسرة "الصدّيقيّة"، نسبةً إلى سيّدنا الصدّيق الأكبر - رضي الله تعالى عنه -، والفرد من هذه الأسرة يُعرَف بـ"الصدّيقي"، انحدر رجال من هذه الأسرة إلى الهند واستقرّوا في بلدة "مِيرت" الهندية، وتلقوا منصبَ "قاضي القُضاة" في العهد الإسلامي[٣]، ولكننا لا ندري متى انتقلوا إليها من الجزيرة العَربية، ومَن هم؟ إلا أنّها أسرةٌ علميّة وشريفة، تمتاز بالنوابغ من العلماء الأجلّة، والدّعاة المخلصين، والشعراء الكبار، والسياسيين البارزين.

الباكستان، سنة النشر: ١٤١٣هـ/١٩٩٢م، ص: ١٥٣. وينظر أيضا: مقال الدكتورة فريدة أحمد بعنوان: "تذكرة الأسرة العليمية" في مجموع المقالات عن الشيخ الدّاعية، المسمّى بـ"عظيم مبلّغ إسلام"، الصّادر عن "كراتشي"، في ١٩ رجب المرجب ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م، ص: ٥٥.

(١) بلدة تقع في الشمال الغربي من ولاية "أترابرديش"، وشرقا عن عاصمة الهند دلهي.

(٢) ينظر: "تذكرة أكابر أهل السنة"، تأليف: الأستاذ محمّد عبد الحكيم شرف القادري، ناشر: المكتبة القادرية، بلاهور، الطباعة الثالثة: ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م، ص: ٢٣٦. و"تذكرة علماء أهل السّنة"، تأليف: محمود أحمد القادري، الطبعة الثانية: ١٩٩٢م، سني دار الإشاعة، فيصل آباد، الباكستان، ص: ١٦٦. و"حياة عليم رضا"، تأليف: مرزا إرشاد أحمد العليمي، ناشر: انجمن حزب الفريد، ساهيوال، الباكستان، ص: ١١. و"مبلغ إسلام العلامة محمد عبد العليم"، تأليف: خليل أحمد رانا، تعليق: محمد صديق فاني، سنة النشر: ١٤١٤هـ/١٩٩٤م، ص: ١٣.

(٣) ينظر: مقالُ الأستاذة الدّكتورة فريدة أحمد الصدّيقي بعنوان "تذكرةُ الأسرة العَليميّة"، في مجموع المقالات، المسمّى بـ"عظيم مبلّغ إسلام"، ص:٥٥.

فقد كان أبوه الشيخ عبد الحكيم الصديقي عالما نبيلا وشاعرا صوفيا، يُعرَف بـ"جوش" بين الشّعراء، توفّي عام ١٩٠٤م[١].

وكذلك كان عمُّه الكبير الشيخ إسماعيل الصديقي الميرتي شاعرا مُجيْداً باللّغة الأوردية[٢]، وله مكانة خاصّة بين شعرائها، بل هو رائد أدب الأطفال، قصائده كانت تُدرَس في المدارس الحكوميّة والأهلية.

كان الشيخ الدّاعية -رحمه الله- أصغر إخوانه وأخواته، وهم أربعة عشر نفرا: سبع بنات، وسبعة أولاد ذكور، وهم:

١- الشيخ أحمد مختار الصديقي، شيخ وداعية.

٢- الشيخ نذير أحمد الصديقي الميرتي، المتوفّى في المدينة المنوّرة عام ١٣٥٥هـ، ودفن في البقيع.

٣- السيد بشير أحمد الصديقي، شيخٌ وداعية، توفّي في "دَربَن" من جنوب أفريقيا.

٤- الشيخ صديق أحمد الصديقي، شاعر مُجيد، توفّي في "بَانِيْبَتْ"، الهند.

٥- السيد خليل أحمد الميرتي، شاعر مادِحٌ.

٦- السيد حميد الصديقي، شاعر مادِحٌ.

٧- الشيخ محمد عبد العليم الصدّيقي الميرتي[٣]، كان أصغر أولاد أبيه الذكور والإناث، وأكثرهم شهرةً.

---

(١) ينظر: مقالُ الأستاذة الدّكتورة فريدة أحمد الصدّيقي بعنوان "تذكرةُ الأسرة العَليميّة"، في مجموع المقالات، المسمّى بـ "عظيم مبلّغ إسلام"، ص:٥٥.

(٢) ينظر: المرجع نفسُه، ص:٥٥.

(٣) ينظر: مقال الدكتورة فريدة أحمد بعنوان "تذكرة الأسرة العليمية"، في مجموع المقالات عن الشيخ الميرتي، المسمّى بـ "عظيم مبلغ إسلام"، ص: ٥٥ – ٥٦.

نشأتُه العلميّة:

قبل أن يبلغ الشيخ أشدّه وتتقوّى عضلاتُه، توفّي والدُه الماجد الشيخ الصّوفي العالم النبيل الشاعر الحكيم عبد الحكيم الصدّيقي الميرتي عام ١٣٢٢هـ/ ١٩٠٤م، وهو ما زال في الثاني عشر من عمره غضًّا طريا ونورةً لم تتفتّح بعد، فتكفّلت أمُّه السعيدة بتربيته واعتنت بتعليمه[١]، فأحسَنَتْ وأجادتْ، وقدّمَتْ للأمّة شجرةً مثمِرةً لا تنقطع ثمارُها على مدى القرون.

كان ذكيّاً جدّاً، ختم القرآنَ الكريم وعمرُه أربع سنوات وعشرة أشهُر، وقرأ الكُتبَ البدائية من العربيّة والأورديّة والفارسيّة عند والده الكريم، ثمّ التحق بالجامعة القومية ببلدة "ميرت"، وتخرّج في العلوم الدِّينية في السّادس عشر من عمره[٢]، عام ١٣٢٦هـ[٣].

وكانت أكثرَ استفادته في العلوم الشرعية بأخِيه الأكبر العلاّمة الشّاهْ أحمد مختار الصّدّيقي القادري الرّضوي[٤]، الذي أدّى دور الأبوّة في تربيته وتعليمه، واعتنى به عناية بالغة بعد وفاة أبيه.

ولما كانت الدّعوة الإسلامية قد وقرتْ في سويداء قلبه منذ نعومة

---

(١) ينظر: المرجَعُ نفسُه، ص: ٥٥.

(٢) ينظر: "تذكرة أكابر أهل السّنة"، ص: ٢٣٦. و"تذكرة علماء أهل السنة"، ص: ١٦٦. و"تذكرة خلفاء أعلى حضرة"، ص: ١٥٣.

(٣) ينظر: "تذكرة علماء أهل السنة"، ص: ١٦٦. و"تذكرة خلفاء أعلى حضرة"، ص: ١٥٣.

(٤) ستأتي ترجمته في مبحث مستقل.

أظفاره، فقد اتجه إلى العلوم العصريّة بعد الاغتراف من العلوم الدينيّة، فالتحق بالكلّية الإسلاميّة في "إتاوَة"، وحصل منها على شهادة الثانوية عام ١٩١٣م، ثمّ واصَل دراستَه في العلوم العصريّة، فحصل على شهادة البكالوريوس من كُلية "دُويزْنَل" في "إتاوَة" سنة ١٩١٧م بالدّرجة الممتازة[١].

وكان يختلسُ من أيّام عُطلاتِه في الكلّية؛ ليصرفها إلى الدّراسات الإسلاميّة، فكان يحضر في جناب الإمام أحمد رضا خان القادري، ليغترفَ منه العلومَ الشرعيّة والمعارف الدينيّة، ويكتسب الفيوضَ والبركات[٢].

وبعد تخرُّجِه في الكلّية العَصريّة تتلمذ على الطبيب الشّهير الحكيم احتشام الدِّين، وتعلّم منه فنَّ الطبّ، كما اشتغل بنفسِه بدراسةِ عديدٍ من كتب القانون[٣].

شيوخه وأرباب الفضل عليه:

في طليعة شيوخه وأرباب الفضل عليه والدُه الماجد الشيخ عبد الحكيم الصديقي وأخوه الكبير الموقر الشيخ أحمد مختار الصّديقي، - رحمهما الله تعالى- اللذان كانا عالمين زاهدَين من أهل الفضل والتقوى، لهما أثرٌ واضحٌ في تكوين شخصيته الدّعوية والعلمية.

---

(١) ينظر: "تذكرة أكابر أهل السّنة"، ص: ٢٣٦. و"تذكرة علماء أهل السّنة"، ص: ١٦٦. و"تذكرة خلفاء أعلى حضرة"، ص: ١٥٣.

(٢) ينظر: "تذكرة أكابر أهل السّنة"، ص: ٢٣٦. و"تذكرة خلفاء أعلى حضرة"، ص: ١٥٣.

(٣) ينظر: "تذكرة خلفاء أعلى حضرة"، ص: ١٥٣.

والشّخصيةُ الثالثة التي أثرت في تربية الدّاعية أثراً واضحاً هي شخصية الإمام أحمد رضا خانْ القادري[1]، الذي اقترب إليه فاستفاد منه علماً كثيراً، كما اغترف منه روحانيّاً، فقد أفاض عليه الإمامُ ببركاتِه، وغمره بألطافه، وأجازَه في الطريقة القادريّة وجعله من أعزّ خلفائِه[2].

والشّخصيةُ الأخرى في تربيتِه الرّوحيّة هو الشيخ الصّالح العابد الزاهد نفحةُ الرّسُول صلى الله عليه وسلم في أرض الهند، الشيخُ سَيّد علي

---

(١) هو إمام أهل السنّة، رائد من روّاد الملّة البيضاء، جامع العلوم والفنون، الشيخ الفقيه المحدّث والإمام المجدّد والتقيّ النقي مولانا أحمد رضا خانْ بن محمد نقي علي خانْ الحنفي القادري، وُلد في مدينة "بَرَيلي"، إحدى مُدن الولاية الشمالية الهندية في ١٠ من شوّال المكرّم سنة (١٢٧٢هـ/١٤حزيران ١٨٥٦م) في سلالة معروفة بالفضل والشّرف والعلم والتقوى، تعود في أصولها إلى قبيلة "بَرهَيج" الأفغانية التي كانت تقطنُ في مدينة "قندَهار". تخرَّجَ الإمام في العلوم الإسلامية في ١٤ شعبان سنة ١٢٨٦هـ وهو لم يتجاوز الرابعة عشرة من عمره. وبعد تخرّجه في الدّرس النظامي تصدّر للإفتاء، وبدأ بالتأليف والكتابة إضافة إلى التدريس، واستمرّت حياته بالعطاء إلى أن توفيَ تاركاً لنا مآثر علمية ضخمة في ٢٥ من صفر المظفر سنة ١٣٤٠ هـ /٢٨ تشرين الأول/أكتوبر عام ١٩٢١م بمدينة "بَريلي" وفيها مرقده مشهَد يُزار. كان الإمام مجمعاً فعالاً في الكتابة والتأليف، ومدرسة قائمة بذاتها، تخرّج فيها الفقهاء، والمحدّثون، والدّعاة، والمفكّرون، من أمثال الشيخ حامد رضا خانْ الملقب بـ"حجّة الإسلام"، والعلامة مصطفى رضا خانْ الملقب بـ"مفتي الهند الأعظم"، والمفتي أمجد علي الملقب بـ"صدر الشّريعة"، والشيخ محمد الكَشَوشَوي الملقب بـ"محدّث الهند الأعظم"، والداعية الكبير الشيخ عبد العليم الصّديقي الملقب بـ"مبلّغ الإسلام" وغيرهم كثيرون، وكلٌّ منهم يشكّل مدرسة مستقلة (للتفصيل يرجَع إلى كتاب "حياة أعلى حضرة"، للشيخ ظفر الدين البهاري).

(٢) ينظر: "تذكرة علماء أهل السنة"، ص: ١٦٦.

حسَين الأشرَفي الكَشونْشوي[١]، الذي منحَه بإجازةٍ وخلافة[٢].

وعلاوةً على هؤلاء، استفاد روحانيّاً من الشيخ عبد الباري الفرَنْكِي مَحلّي[٣]، والشيخ أحمد الشّمس المرّاكَشي[٤]، والصّوفي الشّهير

---

(١) هو السيّد المبجّل، العارف بالله، الشيخ الجليل علي حسين الأشرفي الملقب بـ"أعلى حضرة"، وُلد في ٢٢/ ربيع الثاني، ١٢٦٦هـ، درس على شيوخ عصره، وسلك مدارج التصوّف على أخيه الكبير السيد أشرف حسين، كان من كبار مشايخ الهند، راجت به الطريقة الجشتية في أكناف العالم، وكان يُعَدّ أكبر مرجع للخلائق بعد السيد المخدوم جهانكير السمناني، توفي في ١١ رجب سنة ١٣٥٥هـ، ومرقده في قرية "كشوشة" معروف ومزار. (ينظر: "تذكرة علماء أهل السنة"، ص: ١٨٨-١٩٠).

(٢) ينظر: "تذكرة علماء أهل السنة"، ص: ١٦٦.

(٣) هو عبد الباري بن عبد الوهّاب بن عبد الرّزاق الأنصاري، ولد في "الكهنَو" عام ١٢٩٥هـ، أخذ أكثر علومه من الشيخ عبد الباقي الفرنكي المحلي، وغيره سافر إلى الحرمين الشريفين عام ١٣٣٢هـ، وأخذ من علمائهما وشيوخهما الإجازات في العلوم والطريقة، واشتغل بالتدريس والسياسة، انتقل إلى رحمة الله عام ١٣٤٤هـ. له مصنفات عديدة في الفقه وأصوله وعلم الهيئة والآثار والتاريخ، والتصوف، وغير ذلك. (ينظر: نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر، لعبد الحي اللكنوي، طبعة دار ابن حزم، بيروت، الطبعة الأولى: ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م، ٨/١٢٥٩).

(٤) هو أحمد الشريف بن محمّد بن محمّد بن علي السنوسي، الخطّابي، البطل المجاهِد الصّوفي الورع محي سنة الجهاد، من كبار السنوسيين أصحاب الطريقة المعروفة بهم في المغرب، نسبته إلى آل الخطاب من قبيلة "مجاهر"، القاطنة بقرب "مستغانم" بالجزائر، وُلد سنة ١٢٨٤هـ/١٨٦٧م في واحة الجغبوب في ليبيا، تعلّم وتفقّهَ فيها، أقام في التاج بواحة الكفرة ببرقة، وحينما اعتدى الإيطاليون على

الشيخ السَّنوسِي[١] ـ رحمهم الله جميعاً ـ[٢].

وببركات هؤلاء الشّيوخ الأجلّة في عصره، فاز الميرتي بمدارج عالية في التصوّف، حيث أصبح علما لامِعا، لا ينازعه أحد ولا يضاهيه فرد، كأنه غزالي عصره حينما يكتب، وقطبُ وقته حينما يخطب، وفرد زمانه حينما يتركُ في سامعِه أثرا قويا، فهو في الليل عابد ومتهجّد، وفي النهار داع من الطراز الأوّل يذكّرنا بالسّلف الصّالح.

صِلاتُه القويّة الخاصة بشيخه الإمام أحمد رضا:

لا شكَّ أنّ الشيوخ المذكورين لهم دور بوجهٍ مّا في تربية الميرتي العلمية والروحية إلا أنّ الإمام أحمد رضا خان الحنفي القادري له دور

طرابلس الغرب وبرقة في حربهم مع الدّولة العثمانية سنة ١٣٣٩هـ، فقاتلهم وسارت برقة وطرابس تحت لوائه، قصد الآستانة وفاز بمنصب الوزارة، ولكنه حينما تسلطت حركة كمال أتاترك على تركيا أُخرج منها فقصد دمشق، وكان الفرنسيّون فيها فلم يأذنوا له بالإقامة، فرحلَ إلى الحجاز وأقام فيها مدّةً من الزّمن إلى أن توفّي بالمدينة المنوّرة عام ١٣٥١هـ/١٩٣٣م. (ينظر: الأعلام لخير الدّين الزّركلي، طبعة دار العِلم للملايين، بيروت، لبنان، الطبعة السادسة عشرة، كانون الثاني ٢٠٠٥م، ١/١٣٥). ومِن الواضح أنَّ العلّامة الميرتي تشرّف بلقائه أثناء إقامته في الحرمين الشريفين.

(١) لم نعثر على ترجمته، غير كلماتٍ ذكرَها الأستاذُ خليل رانا في هامش كتابه نقلا عن مجلة "ترجمان أهل السنة"، أنه كان رجلا صالحا حافظا للحديث، طويل السّكوت لا يجيب على أحد إلّا في الحديث النبوي الشريف، درسَ عليه الشيخُ ضياء الدين أحمد المدني تفسيرَ البيضاوي. (مبلغ إسلام العلّامة عبد العليم....، ص: ١٦).

(٢) ينظر: "تذكرة خلفاء أعلى حضرة"، ص: ١٥٤.

عظيم في تربية الشيخ الميرتي العلمية والروحية، وإليه يرجع الفضل في صناعة شخصيته الدعوية القوية على المستوى العالمي.

فقد لثمَ الشيخ الميرتي عتبة شيخِه ومرشدِ طريقتِه الإمام أحمد رضا - نوّر الله تعالى مرقده- في صغرِ سنّه من أيام دراسته، فكان يختلف إليه كلما وَجد فرصةً أو فراغاً في أوقاتِه, وبالأخصّ أيّام عطلتِه في الكليّة، ليدرسَ عليه ويكتسب منه الفيوضَ والبركاتِ, وينهلَ من منهله العذب الصّافي، والإمامُ يهتمّ به اهتماماً بالغاً, ويلمّ بشأنِه فيمنحه الإجازةَ والخلافة، ويُرشِده إلى مجال الدّعوة الإرشاد، ويربِّيه تربيةً تجعله داعيةً عالمياً وسفيراً إسلاميّاً.

فقد أدرك الإمامُ بفراستِه الإيمانية أنّ هذا الشّابَّ اليافعَ سيكون له شأنٌ عظيمٌ في المستقبل، وسيؤدِّي دوراً رائداً في قيادة الأمّة، ويخدم الدِّين خدمةً مثاليّة، وحقاً فقد قضى حياتَه كلَّها على إشارةٍ من الإمام البَرَيْلوي في مجال الدّعوة الإرشاد على المستوى العالمي بماله الخاصّ[1]، وقد غلبت عليه هذه الصفةُ حتّى اشتهر في شِبه القارّة بلقب "مبلّغ الإسلام".

هكذا حُظيَ الشيخُ عبد العليم بقربةٍ خاصّةٍ في حضرة الإمام أحمد رضا، حتّى نراه ينسبه إلى نفسِه في غايةٍ من المحبّة والعطف والحنان، فكان يقول: "عليمُ الرّضا"[2].

وفي مَشهدٍ آخَر يذكر الإمامُ أحمد رضا تلميذَه النجيب هذا، ويبشّر

(١) ينظر: "تذكرة خلفاء أعلى حضرة"، ص: ١٥٤.

(٢) ينظر: المرجع نفسُه، ص: ١٥٤.

بغلبته على أعداء الإسلام، فيقول:

عبدِ علیم کے علم کو سُن کر   جہل کی بہل بھگاتے یہ ہیں[١]

البيتُ فيه إشارةٍ إلى الوهابية أنّهم في رعبٍ ودهشةٍ حينما يسمعون علومَ عبد العليم، يفقدون وعيَهم وشعورَهم، ويرتكبون الأخطاء الجاهليّة ويفرون منه.

وكما كان الإمام أحمد رضا يعتني بتلميذه، ويغمره بالحب والحنان، كذلك كان المِيرتي أيضا يُجِلّ شيخَه ويحترمه غاية الاحترام، كما يذكره في موضع من مقدِّمة كتابه "ذكر الحبيب" بكلمات الحبّ والإجلال، فيقول: "أعلى الحضرة، إمام أهل السنّة، مجدِّد المئة الحاضرة، سيّدي وأستاذِي مولانا الشّاهْ أحمد رضا خانْ البَرَيْلوي قُدّس سرُّه القوي"[٢].

بهذه الكلمات يمكننا أن نلاحظَ مَدى إجلالِه واحترامِه لشيخِه الجليل ومربِّيه العظيم, الذي أحدَث فيه انقلاباً، وصعد به إلى منارة العزّ والمجد والشّرف والكمال.

وكذلك ممّا يدلّ على إجلالِه وحبِّه وتعظيمِه قصيدتُه البديعة، التي نظَمها في مدح الإمام حينما رجع من زيارة الحرمَين الشّريفين عام

---

(١) ينظر: "الاستمداد على أجيال الارتداد"، (مجموعة من الأبيات الشّعْريّة) للإمام أحمد رضا خان القادري، شرحه نجله الأصغر مفتي الهند الأعظم الشيخ محمّد مصطفى رضا خان، باسم "كشف ضلال ديوبند"، ناشر: المدرسة القادرية، ممبئي، سنة النشر: ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م، ص: ٦٨.

(٢) ينظر: "ذكر الحبيب صلى الله عليه وسلم " للشيخ الداعية عبد العَليم الصديقي الميرتي، طبع كراتشي، ١٩/٢.

١٩١٩م[1]، فقد سافر إلى "بَرَيْلي" وأنشَدَ في حضرة شيخِه ومرشد طريقتِه قصيدةً بديعةً عبَّر فيها عن خالص حبِّه، حيث قال في مطلعها:

تمہاری شان میں جو کچھ کہوں اُس سے سوا تم ہو

قسیم جام عرفاں اے شہِ احمد رضا تم ہو

"كلّ ما أقوله فيك فأنتَ أرفع منه، أنت الذي تسقي كأسَ العلوم والعرفان يا سيّدي أحمد رضا!".

وقال:

غریق بحر الفت مست جام بادہ وحدت

محب خاص منظور حبیب کبریا تم ہو

يعني: أنت الغريق في بحر حبّ الله، وأنت المرتوى بكأس وحدته، وأنت المحبّ الخاص والمحظوظ لدى حبيب الله.

وقال:

جو مرکز ہے شریعت کا مدار اہل طریقت کا

جو محور ہے حقیقت کا وہ قطب الأوليا تم ہو

أي: "أنت قطب الأولياء، الذي هو مركز الشّريعة، ومدارُ أهل الطريقة، ومحورُ أهل الحقيقة!".

وقال:

عرب میں جاکے ان آنکھوں نے دیکھا جس کی صولت کو

عجم کے واسطے لا ریب وہ قبلہ نما تم ہو

---

(١) ينظر: "تذكرة خلفاء أعلى حضرة"، ص: ١٥٥.

"أنت الذي رأتْ عيونِي عظمتَه في العرب، وأمّا للعجم فلا ريبَ أنّك إمامُ قبلتِهم!".

وقال:

تمہیں پھیلا رہے ہو علم حق اکناف عالم میں

امام اہل سنت نائب غوث الوری تم ہو

أي: "أنت الذي تنشر علم الحقّ في أكناف العالم، أنت إمام أهل السنّة، ونائب سيّدنا الشّيخ الغَوث الأعظم"[١].

والبيت الأخير من القصيدة على النحو الآتي:

علیم خستہ اک ادنی گدا ہے آستانہ کا

کرم فرمانے والے حال پر اس کے شہا تم ہو [٢]

أي: "أنا الفقير عبد العليم سائل على عتبتكم، وأنت الكريم على حالي يا سيّدي أحمد رضا".

وبعدما انتهى من إنشادِ قصيدتِه الطّويلة, قال له الإمام: "لا أدري ما الذي أقدّمه إليك، وأنت تأتيني من تلك الدّيار الشّريفة المقدَّسة، هذه هي عمامتِي ولكنّها لا تليق بقدمَيك، غيرَ أنّه لدَيَّ بردةٌ ثمينةٌ أهدِيها إليك"[٣].

هكذا توطّدت بينهما علاقة قويّة، ونشأت بينهما مودّةٌ قلَّ نظيرُها في

---

(١) "الغوث الأعظم" لقبٌ معروفٌ لسيّدنا الشيخ عبد القادر الجيلاني - نوّر الله تعالى مرقدَه-، وبالأخصّ في الهند والباكستان، وقد لقب به لكثرة كراماته التي شرّفه الله -عَزّ وجَلّ- بها لصفاء قلبه وعلوّ درجاته عند الله تعالى.

(٢) ينظر: "تذكرة أكابر أهل السّنة"، ص: ٢٣٧.

(٣) ينظر: "حياة أعلى حضرة"، ص: ٥١ - ٥٢.

الشّيوخ، فقد قضى حياتَه كلَّها في الدّعوة والإرشاد على إشارةٍ منه، وظلّ متمسكاً بطريقتِه ومَسلكِه طولَ حياتِه، حتّى أوصى بها, وهو يتلقّط أنفاسه الأخيرة في الحرم النّبوي الشّريف، قائلاً: "الحمد لله عشتُ على مذهب أهل السنّة، ومذهب أهل السنّة هو الذي مرقومٌ في كتب أعلى الحضرة -الإمام أحمد رضا-، والحمد لله على مسلكِه قضيتُ حياتِي، وها أنا أرتحل من الدّنيا في أقدام النّبي صلى الله عليه وسلم متمسّكاً به"[1].

كما تحدّثَ عن هذه الوصية نجلُه الشيخ أحمد نُوراني في خطبةٍ ألقاها في دار العلوم الأمجدية، الباكستان، بمناسبة الذكرى السّنوية لرحيل الفقيه العلّامة أمجد علي، المعروف بـ"صدر الشّريعة"، حيث ذكر فيها أنّه لا تزال عنده تلك الوصية الوجيزة التي أملاها أبوه الشيخُ محمّد عبد العليم في أيّامه الأخيرة قبل وفاته في المدينة المنوّرة[2].

علومه وفنونه :

اتضح فيما مضى أنّ الشيخ تضلّع من العلوم العصرية، كما تلقّى العلوم الدينية، ودرس التصوّف والأخلاق عِلميّاً وعَمليّاً، وبحث عن الوسائل والسُّبل التي تُعِينُه في ميدان الدّعوة والإرشاد.

ممّا يُلتَفَتُ إليه النظرُ أنه لم يكتف بالعلوم الدِّينية، ولم يقتصر بالأوراد والوظائف، وكذلك لم يتّجه إلى العلوم المادّية البحتة فحسب، وإنما جمعَ بين الدّين والدّنيا، وبين المادّة والرُّوح، وبين العلم والتصوّف، فهو عالمٌ، وصوفيٌّ، وشيخ، وداعِية، ومصنف، وشاعر، وقائد، ومفكّر، ....

(١) ينظر: "حياة عليم الرضا"، ص: ٧٥.

(٢) ينظر: "عهد روان كي ايك عبقري شخصيت"، (شخصية عبقريّة في العصر الرّاهن)، ص: ١٢٤.

فمن العلوم النقلية التي تجمّل بها: الحديث، والتفسير، والفقه، والتصوّف، والسير، والسلوك، والتاريخ، والنحو، والبلاغة، وغيرها من العلوم الإسلامية المروّجة في المدارس الدينية.

أمّا العُلوم العَصرية التي كان يتسلح بها، فهي كثيرة، منها: علم الفيزياء، والكيمياء، والرياضي، والفلكيات والأرضيات، وعلم التشريح، وغيرها[1]، كما يتجلى ذلك من خلال مؤلفاته ومحادثاته مع المفكّرين والقادة الغربيين وغيرهم، ونرى ذلك واضحا في حواره مع جورج بَرْنَاذشَا، الذي استغرب كثيرا حينما أثبتَ الشيخ الجنّة والنارَ في ضَوء العلم الحديث، ولم يتأت له ذلك إن لم يضطلع من العلم الحديث ومصطلحاته.

أما اللغاتُ التي تَسَلّح بها فهي: اللّغة العَربية والإنجليزية، والأوردية، والفرنسية، والصينية، والاندونيسيّة، وغيرها.

شعره:

إنّ الأسرة التي فتح الشيخُ فيها عينَيه، هي أسرة الشعراء، فقد كان أبوه شاعرا، يلقّب بـ"جوش"، وكذلك كان عمّه الأكبر الشيخ إسماعيل الميرتي من شعراء الأوردية الكبار، وهو يعدّ رائدا لأدب الأطفال في الهند؛ فإن له قصائد مشهورةً يتغنّاها الأطفال في موضوعاتٍ عديدة.

وإلى جانب الأب والعمّ كان إخوانه من روّاد الشعر، وبالأخصّ في الشعر الصُّوفي نظراً إلى حال أسرتِه يُستَبْعَد أن لا يتذوّقَ الشعر، فضلاً عن كونه قد نشأ في حجر الإمام أحمد رضا القادري، الذي كان من أشهر

---

(١) ينظر: مقال الدّكتور محمّد أحمد الصديقي، بعنوان: "مبلغ إسلام، حياته وخدماته"، المنشور في مجموع المقالات المسمّى بـ "عظيم مبلّغ إسلام"، ص: ٢٤.

شعراء الرسول صلى الله عليه وسلم في الهند في العَصر الرّاهن، إلا أن أغراضَه محدودةٌ على منهج شيخه الإمام أحمد رضا، فلم يقرض إلا في حمد الله، ومدح النّبي صلى الله عليه وسلم ، ومدح الصحابة والصالحين، ولم يقلْ بيتا في النسيب، ولا في الهجاء، وَلا في مدح الدنيا والأثرياء، وإنما كلُّ ما قالَه فهو في حبّ الله ورضاه.

ويَبدو أنّ الشّعر قد تدفّقَ على لسانِه في بداية نهضته العلميّة والدّعويّة؛ إذ إنّ القصيدة التي قالَها في مدحِ شيخِه الإمام أحمد رضا حين رجوعِه من زيارة الحرمين الشريفين، كانت عام ١٩١٩م(١)، أي: قبل أن تبدأ رحلته الدعوية حول العالم.

والعاطفة التي كانت تدفعه إلى قول الشعر هي حبُّه القوي لله ورسوله صلى الله عليه وسلم ، ولهذا نراه يُردّد من ذكر الله، وذكر حبيبه النبي المصطفى صلى الله عليه وسلم ، الذي يشتاق لرؤية جماله، ويحنّ إلى دياره ويتمنّى الدفن في جواره، ويوفّي الله أمنياته التي أظهر في الشعر فرزقه الله الموتَ في المدينة المنوّرة وهو في جوار الرّسول صلى الله عليه وسلم.

واللّغة التي استخدمها لإظهار مودّته تجاه الله ورسوله صلى الله عليه وسلم ، هي لغة القرآن الكريم، العربية الحكيمة، ولغة أغلب المسلمين في الهند والباكستان، الأوردية العذبة التي نشأ الشيخ في حليتها.

وأمّا معانِيه فهي مستنبطة من القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف، وسِير الصّالحين.

---

(١) ينظر: "تذكرة خلفاء أعلى حضرة"، ص: ١٥٥.

أوصافه وخصاله :

كان الشيخُ الميرتي – رحمه الله – مليحَ الوجه، بهيٌّ الطلعة، وسيمَ المنظر، ممتليَ الجسم، واسعَ الجبين، ذكيٌّ الفؤاد، لامعَ العينين، فصيحَ اللسان رائعَ البيان، ليس بالطويل البائن، وليس بالقصير الذي تنبو عنه العيون.

وهو إلى ذلك كان لبّاسا، أنيق المنظر، رفيع الانتخاب، سليمَ المذاق، كثير التعطّر، كان يرتدي في أغلب الأحيان لباسا عربيا أنيقا، وهو دشداشة طويلة، وعباءة فضفاضة، فوقها صدرية جميلة، وعلى رأسه عمامة كبيرة كالتاج المهاب منه من تيجان الملوك، مما يترشّح من وجهه وقار وسكينة، مع أنه كثير التواضع، لين العريكة، حسن الحديث، عذب المنطق، الابتسامة لا تفارق ثغرَه، جليسُه لا يملّ ولا ييأس، ومخالِطه لا ينزعج ولا يندم، مجلسه مجلسُ علم ومذاكرة، لا يذم ولا يعاب، بل يدعى إلى التوحيد الخالص.

وكان يختار من اللباس ما يناسب ثقافة البلد الذي يقصده للدعوة والتبليغ، وذلك ليتمكن من مؤانسة أهاليه، ومخالطة سكّانه ومعاشرة أصحابه، كأنه فرد من أسرة ذلك البلد.

وإلى جانب هذه الأوصاف الظاهرة كان باطنُه نقيّا طاهرا صافيا لامعا، كأنه ماء زلال، ولم لا يكون كذلك وقد نشأ في أحضان الأولياء الصالحين من أمثال الإمام أحمد رضا، والشيخ علي حسين الأشرفي الكشوشوي، والشيخ أحمد السنوسي، وغيرهم، الذين صقلوا قلبه وعطروه بنفحات التصوف الرّائعة.

مهنتُه وأسباب قُوتِه:

إنّه لصَحَّ لنا أنْ نقول إنّ مهنة الشيخ الميرتي الحقيقية هي الدّعوة إلى الله؛ إذ إنه لم ينشط في مجالٍ كما نشط في الدعوة، ولم يفكّر إلا فيها، ولم يقم بعملٍ إلّا لأجلها، فكأنه جعل الدّعوة هدفا أساسيا لحياته، واتخذها مهنة له واشتهر بها، ولهذا لم يُلقَّب بالرجل الثري، ولم يُعرف بالتاجر الغني، لكنه اشتهر بلقب "مبلغ الإسلام" بالأخصّ في شبه القارة الهندية من الهند والباكستان وبنغلاديش، حيث تُطلق كلمة "مبلغ الإسلام" فلا تتبادر الأذهان إلّا إليه؛ وذلك لأن الدعوة هي كلُّ شيء في حياته.

ولكن هذا لايعني أنه جعل الدّين سببا لرزقه، وإنما الأمر أنه أخلص نفسه لله تعالى وتوكّل عليه، وانتهج لكسب معاشه سنّة النبي صلى الله عليه وسلم ، فاشتغل بتجارة اللآلي والجواهر بعد فراغِه من الدّراسة، مستوطناً في "سِنْغَافورة"، وتجوّل في الأقاليم الهنديّة يشتغل بالتجارة ويعرض الإسلامَ على الكفّار, فأسلم على يدِه آلافُ الأشخاص، وكان يخطب في المساجد حسبة لله، وكان يعرف عشرَ لُغاتٍ، وكان أحبُّها إليه اللّغة العربية(١).

يقول نجله الشيخ أحمد نوراني في حواره الذي أجرته جريدة "جَنْكْ" الصادرة من كراتشي: (قد تعلّمتُ تجارة الأحجار الكريمة من والدِي المحترم، فقد كان يشتغل بها، كما كان يشتغل بالدعوة والإرشاد، حيث كان يحمل معه دائما أحجارا ثمينة، فكان يبيعُها ويحصل منها فلوسا كثيرة) (٢).

---

(١) ينظر: "علماءُ العرب في شبه القارّة الهندية"، تأليف: يونس الشّيخ إبراهيم السّامرّائي، طبعة بغداد، ص: ٧٩٢- ٧٩٣.

(٢) ينظر: "عهد روان كي ايك عبقري شخصيت"، (شخصية عبقريّة في العصر الرّاهن) للشيخ محمّد أمين النوراني، ناشر: بزم أنوار القرآن، كراتشي، الباكستان، عام ٢٠٠٤م، ص: ٣٣ ـ ٣٤.

وإلى جانب التّجارة كان طبيباً ماهِراً حاذِقاً، كما يدلّ عليه تأليفه بالأورديّة "بَهار شَباب" الذي ألفه للشّبان نصيحة لهم من الوقوع في الأخطاء التي تضرّهم صحيّاً، فهو كتابٌ يعالِج القضايا النفسيّة المهمّة من منظور الطبّ، كما هو يعالج القضايا التربويّة, حيث تدلّ محتوياتُ الكتاب أنّه كان طبيباً ماهِراً.

من هنا يتضح أنّ الشيخ الداعية لم يجعل الدعوة ذريعة للكسب والمعاش، وإنما اشتغل بها بماله الخاص، ولم يشتغل بتجارة اللآلي والجواهر، ولم يعمل طبيبا إلا ليؤدّي مسئولية الدعوة التي جعلها رهينةً في رقبته، إذن الدّعوة هي مهنته الحقيقيّة، وكل شيء في حَياته يدورُ حولها.

زواجُه وأولادُه:

تمّ زواجُه من السيدة أمة الرؤوف بنت القاضي إحسان الحقّ الصدّيقي، الذي يتّصل نسبُه بسيّدنا الصّديق الأكبر -رضي الله تعالى عنه- في الرابع والثلاثين مرتبة، وقد ولدت السيدة أمة الرؤوف في بلدة "مظفر نَغَر"، "أتَرْبَرْدِيشْ" الهند، عام ١٨٩٨م، وتوقّيت في "كراتشي" الباكستان، عام ٢٠٠١م عن عمرٍ يُناهِز مئة وثلاث سنوات[١].

وكانت امرأة حديديّة، لا تضعف قواها، ولا تهن عزائمها، بل كانت لها مواقف صلبة، وذلك يتضح من خلال تجمّلها بالصبر حينما اعتقل ابنه،

---

(١) ينظر: "عهد روان كي ايك عبقري شخصيت"، (شخصية عبقريّة في العصر الرّاهن)، ص: ٢٣. و٢٦.

الشيخ أحمد نوراني، وأوذي في سبيل الله عام ١٩٧٧م، حيث أصدرت بيانا صحفيا، وقالت فيه: "إنني أريد أن أقول لجميع المواسين للشيخ نوراني أن لا يتأسّفوا، بل عليهم أن يشكروا الله على أنه عز وجل شرّف قائدَهم بقول الحق وتحمّل المشاق... أنا أفتخر على ابني الذي حافظ على ناموس أبيه العظيم العلاّمة عبد العليم الصديقي رحمه الله"[١].

وُلِدَ لهما سبعةُ أولادٍ، أربعةٌ منهم ذُكور، وثلاث إناث، وأمّا الأولاد الذكور فهم:

١- شاه محمد جيلاني، شيخ وداعية توفّي في "لندن"، عاصمة بريطانيا عام ١٩٩٩م، ودُفِن فيها.

٢- أحمد نوراني، شيخٌ وداعية، له سمعة عالميّة، توفّي عام ٢٠٠٣م.

٣- حامد ربّاني، مقيمٌ في المدينة المنوّرة.

٤- حمّاد سُبحاني، مقيمٌ في المدينة المنوّرة[٢].

وَأمّا الإناثُ فهن:

١- أمة الصّبوح، صبيحَة خاتون، توفّيت في ٢ أيلول/ سبتمبر، عام ٢٠٠٠م، وهي زوجة الدكتور محمد فضل الرّحمان الأنصاري، المتوفّى سنة ١٩٧٤م.

---

(١) ينظر: مقدمة الدّكتور محمد مسعود أحمد في كتاب "مبلغ إسلام"، ص: ١٠ - ١١.

(٢) ينظر: "عهد روان كي ايك عبقري شخصيت"، (شخصية عبقرية في العصر الراهن) ص: ٢٩.

٢- الدّكتورة عزيزة إقبال، زوجة إقبال أحمد بيغ.

٣- الدّكتورة فريدة أحمد، زوجة محمد أحمد الصّديقي[١].

انتقاله إلى رحمة الله:

وبالتالي ظلّ هذا الدّاعية الكبير يتجوّل داعياً إلى الله في رُبوع العالَم شرقاً وغرباً نحو أربعين سنةً، لا يذوق طعم الراحة في البيت، كأنّه بلا دارٍ وديار، يوماً يعبر المحيطات والبحار، ويوما يقيسُ الفيافي والقفار، بل أصبح العالم كلّه موطناً ومسكناً له، ولكن شوقه إلى مهبط الفخر والكرامة، مدينة الرّسول صلى الله عليه وسلم الحبيبة كان يفري كبده فرْياً، ويحدوه إليها حدوا[٢]، فكان يتضرّع إلى الله أن يجعل المدينة المنوّرة مسكناً له إلى أبد الأبد، كما نرى حنينه الصارخ في أحد أبياته الشعرية، حيث قال:

علیم خستہ تنگ آگیا ہے دردِ ہجران سے
الٰہی کب وہ دن آئے کہ مہمان محمّد ہو[٣]

(أي: اللّهم قد ضاقتْ بي الأرض خنقاً من ألم الهجر والفراق، فمتى يأتي ذلك اليوم الذي أكون فيه ضيفاً لدى محمّد صلى الله عليه وسلم).

وقد قبل اللهُ دعاءه بأنْ ألقى عصا ترحالِه في آخر المطاف في بلد الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم ، المدينة المنوّرة واستقرّ فيها، وكان قد اشترى فيها أرضاً للسكن، وذلك يوم الخميس ٢٠ صفر المظفَّر

(١) ينظر: مقال الدكتورة فريدة أحمد، في "عظيم مبلّغ إسْلام"، ص: ٥٩ ـ ٦١.

(٢) أي: يسوقه سَوقا.

(٣) ينظر: "حياة عليم الرضا"، ص: ٦٩.

١٣٦٦هـ/ ١٣ يَنـاير ١٩٤٧م، وظـلّ يشـتغل فيهـا طبيبـاً إلـى جانـب الـدّعوة والإرشـاد[١]، حتّـى تـوفّيَ فيهـا فـي ٢٣ ذي الحجّـة عـام ١٣٧٣هـ/٢٢ آب/ أغسطس ١٩٥٤م، ودُفن بـالبقيع[٢] تحت أقدام أمّ المؤمنين سيّدتنا عائشـة الصّـديقة -رضـي الله تعـالى عنهـا-[٣]، وصـلّى عليـه الشـيخُ المعمَّـر ضياء الـدّين أحمد المـدني[٤]، وجمٌّ غفيرٌ من النّـاس القـادمِين إلـى المدينـة المنوّرة من كلّ فجّ عَميق؛ إذ إنّه صادَف أيّام الحجّ السعِيدة.

يُصوّر أحدُ تلامذته الشيخ محمّد علي المراد[٥]، قائلاً: "توفّي سيّدي المجيز مولانا السيّد محمّد عبد العليم الصّديقي بعد ظهر يوم الأحد ٢٣ ذي الحجّة سنة ١٣٧٣هـ بجوار باب السّلام في المدينـة المنوّرة، وقد بلـغ من العمر ٦٣ عاماً وأربعة أشـهُر إلاّ عشرة أيّام، وقد كنتُ فـي المدينـة المنوّرة، وعُدتـه مسـاء الجمعـة مرّةً، ومسـاء السبت مرتَين وبلغنـي وفاتـه بعد صلاة العصر من يوم الأحد، وقد كنتُ في المسجد النّبوي فذهبتُ إلى

(١) ينظر: "تذكرة علماء أهل السنة"، ص: ١٦٦.

(٢) ينظر: "تذكرة علماء أهل السنة"، ص: ١٦٦. و"حياة عليم الرضا"، ص: ٧٤. و"علماء العرب في شبه القارة الهندية"، ص: ٧٩٢- ٧٩٣. و"تذكرة خلفاء أعلى حضرة"، ص: ١٦٤.

(٣) ينظر: "حياةُ عليم الرضا"، ص: ٧٤.

(٤) ينظر: "تذكرة علماء أهل السنة"، ص: ١٦٦.

(٥) هو الشيخ الصالح العالم النبيل الشيخ محمّد علي المراد الحَموي، وُلد في حماة سوريا، ربيع الأول ١٣٣٦هـ/ ١٨ شباط ١٩١٨م، تعلم في سوريا والأزهر الشريف، توفّي في ٢٦ صفر المظفر ١٤٢١هـ يوم الأربعاء، في الساعة الحادية عشرة صباحا في المدينة المنورة، (مجلة "معارف رضا"، الصادرة من كراتشي، ص: ٢٢٩ – ٢٣٨).

البيت القاطن فيه فحضرتُ غُسله وتكفينه وقبّلت يدَه، ثم حُمل إلى المسجد وصُلّيَ عليه قبل المغرب بساعةٍ، ثمّ مُرّ به أمامَ الرّسول -عليه الصلاة والسلام- ثمّ أمامَ أبي بكر وعمر -رضي الله عنهما- ثمّ أخرج من باب جبريل إلى البقيع، ودُفن في قبر أخِيه بجوار قبر الشيخ عبد القادر الشّلبي الطرابلسي فوقَ رؤوس زوجات رسول الله صلى الله عليه وسلم بقبر، ثمّ لقنتُه -رحمه الله-، وكانت قراءة القرآن في الأيام الثلاثة عند مولانا الشيخ ضياء الدّين أحمد القادري حفظه الله تعالى. الفقير إليه تعالى محمد علي المراد"[1].

* * *

(١) ينظر: مقال الأستاذ خليل أحمد رانا بعنوان: "الإمام أحمد رضا عند علماء الشام" في مجلة "معارف رضا"، الصادرة من إدارة تحقيقات إمام أحمد رضا، كراتشي، الباكستان، العدد الثالث، المجلد الخامس والعشرون، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م، ص: ٢٣٥ ـ ٢٣٦.

المبحثُ الثاني

شخصيات بارزة في الأسرة العلِيميّة

- نبذة عن أخيه الكبير الشيخ أحمد مختار الصديقي
- نبذة عن صهره الدكتور فضل الرّحمن الأنصاري
- نبذة عن بنته الصغيرة الدكتورة فريدة أحمد

قلنا في المبحث السّابق إنّ أسرته تمتاز بالرجال البارزين في مجال العلم والمعرفة والشعر والأدب، فإن أباه وجدّه وعمّه وإخوانه وأولاده وبناته وأصهاره كلهم رجال مثقفون، فيهم عالم وشاعر، وداعية...

نخصّ هذ المبحث لدراسة الشخصيات البارزة من الأسرة العلِيميّة، أي أسرة الشيخ الدّاعية محمد عبد العليم الصّديقي الميرتي، تلك الأسرة الطيبة التي قدّمت للأمّة الإسلامية خدمات مثالية، في مجال الدعوة والإرشاد، ومجال العلم والمعرفة، ومجال الخدمات الإنسانية، وغيرها، يقول الدّكتور محمّد مسعود المجدّدي: "أسرتُه كلها كانت قدوةً، فإنّ نجله، وصهره، وزوجته، وبنته كلُهم كانوا متحمّسين لخدمة الإسلام، وقد قدّموا أعمالا لم يقدّمْها غيرُهم"(١).

والشخصيات البارزة في هذه الأسرة عديدة، نخصّ منها أخاه الأكبر الشيخ مختار أحمد الصديقي، وصهره الشيخ الدكتور فضل الرّحمن

---

(١) ينظر: مقدمة الدّكتور محمد مسعود أحمد في كتاب "مبلغ إسلام العلّامة عبد العَليم الصدّيقي"، ص: ١١.

الأنصاري، وبنته الصّغيرة الدكتورة فريدة أحمد.

أمّا نجله الشيخ أحمد نوراني الصديقي، فنخصُّ له مبحثاً مستقلا لأعماله الجليلة وحياته المتشعّبة المترامية الأبعاد.

نبذة عن أخيه الكبير الشيخ مختار أحمد الصديقي:

هو الشيخ الدّاعية أحمد مختار ابن الشيخ عبد الحكيم المِيرَتِي، وُلِد في بلدة "مِيرَتْ" من ولاية "أتَرْبَرْدِيش"، الهند في ٧ محرّم الحرام سنة ١٢٩٤ هـ[١].

دخل المدرسة الابتدائية وعمره خمس سنوات، حفظ القرآن الكريم، وقرأ الكتبَ العربية والفارسيّة على أبيه الشيخ عبد الحكيم الصِّديقي، ثمّ التحق بالمدرسة الإسلامية بـ"إنْدَرْ كوت" من بلدة "مِيرَتْ"، وتخرّج عام ١٣١٠هـ، وحصل على شهادة الفراغ في العلوم الإسلامية، وهو في السّادسة عشرة من عمره آنذاك، ثمّ قصد بلدَ الله الحرام، حيث أخذ الحديثَ النّبوي الشّريف من شيخ الدّلائل المحدِّث عبد الحقّ الإلهْ آبادي عام ١٣٢١هـ[٢]، ثمّ مكث سنة في المدينة المنوّرة، يقرأ الحديثَ على الشيخ

---

(١) ينظر: مقال الدكتورة فريدة أحمد بعنوان: "تذكرة الأسرة العليمية" في مجموع المقالات عن الشيخ الميرتي، المسمّى بـ"عظيم مبلغ إسلام"، ص: ٥٦. و"تذكرة علماء أهل السنة"، ص: ٣٢. و"تذكرة خلفاء أعلى حضرة"، ص: ١٣٠.

(٢) هو الشيخ عبد الحق بن شاه محمّد بن يار محمّد الحنفي، الإله آبادي، وُلد ونشأ بأرض الهند في قرية "نيوان" من ضواحي "إله آباد"، هاجر إلى مكّة المكرّمة في ١٢٨٣هـ، ومكث فيها خمسين سنة يدرّس ويفيد إلى أن توفّاه الله عام ١٣٣٣هـ، ودفن بالمعلاة عند الشيخ رحمة الله الكيرانوي. ولقب بـ "شيخ الدلائل"، من أعماله: "نهاية الأمل في مسائل الحجّ البدل"، وتعليقات على الدرّ المختار، و"الإكليل على مدارك التنزيل" للنسفي، في سبعة مجلّدات. (ينظر: نزهة الخواطر، لعبد الحي اللكنوي، ١٢٦٢/٨).

رضوان وغيره من المشايخ رحمهم الله تعالى أجمعين[1].

بعد ارتواء غليلِ العِلم تعيَّن مدرِّساً للغة الفارسيّة في المدرسة الوطنيّة ببلدة "مِيرَتْ"، ثمّ تعيّن رئيساً لقسم العلوم الإسلامية في الكليّة الإسلاميّة ببلدة "إتاوَهْ"، ثمّ انتقل عميداً في المدرسة الإسلاميّة في "بُهُوفَال"[2].

نشطَ في مجال الدّعوة والإرشاد داخلَ الهند وخارجَها، وبذل في سبيلِهما قُصارى جهدِه، فقد سافر إلى "بُورْما" حيث أسّس مدرسة إسلامية، وسافرَ إلى "دَرْبَنْ" عاصمة جنوب إفريقيا، حيث أسّس دارَ الأيتام عام ١٩٣٥م، ولفت أنظارَهم إلى تعليم البنات، وأصدَر جريدةً باللغة الغُجراتية في إفريقيا باسم "الإسلام"، عام ١٩٠٨م[3].

ونتيجة لجهوده الجبّارةِ في سبيل الدّعوة أسلم على يده كثيرٌ من الهندوس والمسيحيين، كما تابَ على يده كثيرٌ من المسلمين، واقتلعوا عن ارتكاب الذنوب والمعاصي، ورجعوا إلى اتّباع الدِّين الحنيف[4].

ساهَم في سياسة الهند، وشارَك في حركة الخلافة، وجاهَد ضدَّ الإنكليز بنفسِه ومالِه، فحُبس عام ١٩٢٢م[5].

---

(١) ينظر: مقالُ الدكتورة فريدة أحمد بعنوان: "تذكرة الأسرة العليمية" في مجموع المقالات عن الشيخ الميرتي المسمّى بـ"عظيم مبلغ إسلام"، ص: ٥٦. و"تذكرة علماء أهل السنة"، ص: ٣٢. و"تذكرة خلفاء أعلى حضرة"، ص: ١٣٠.

(٢) ينظر: "تنكرة علماء أهل السنة"، ص:٣٣. و"تنكرة خلفاء أعلى حضرة"، ص:١٣٠.

(٣) ينظر: "تنكرة علماء أهل السنة"، ص:٣٣. و"تنكرة خلفاء أعلى حضرة"، ص:١٣٠.

(٤) ينظر: "تنكرة علماء أهل السنة"، ص:٣٣. و"تنكرة خلفاء أعلى حضرة"، ص:١٣٠.

(٥) ينظر: "تذكرة علماء أهل السنة"، ص:٣٣. و"تذكرة خلفاء أعلى حضرة"، ص:١٣٠-١٣١.

بعثه مسلمُو "لاهور" عام ١٩٢٤م رئيساً للوفد إلى السعودية العربيّة لإيقاف الحركات الإرهابية من تدمير آثار الصّالحين، وهدم مقابر الصّحابة رضوان الله عليهم أجمعين[١].

انتقل إلى رحمة الله تعالى في ١٢ جمادى الأولى ١٣٥٧هـ/١٠ تمّوز ١٩٣٨م، وعمرُه آنذاك ثلاث وستّون سنةً[٢].

كانت له صلةٌ قويّةٌ بالإمام أحمد رضا فقد بايَعه، وحصل على إجازةٍ وخلافةٍ بعدما عبر مرحلة تزكية الباطن، ومدراج السُّلوك[٣].

فاز بمكانةٍ خاصّةٍ في تلامذة الإمام أحمد رضا وخلفائِه، كما نرى الإمامَ يذكره بعنايةٍ خاصّةٍ في قصيدتِه الدُّعائية الخالدة قائلاً:

مجبور احمد مختار إن كو　　　کرتا ہے مر جاتے یہ ہیں[٤]

أي: أنّ أحمد مختار يغلب على أعداء الدين، فيجبرهم ويميتهم.

أمّا هو فكان يحبُّه ويُجِلّه غاية الإجلال، وكان يختلف إليه بين فترةٍ وفترة من "إتاوَه"، ويستفيد هو بنفسه، ويجلب أخاه الصغيرَ العلاّمة الدّاعية عبد العَليم الصِّديقي؛ ليستفيدَ به، ويصبح عَلماً لامِعاً في الشخصيات العالَمية ذات الأثر البالغ في المجتمع الإنساني.

---

(١) ينظر: "تذكرة علماء أهل السنة"، ص:٣٣. و"تذكرة خلفاء أعلى حضرة"، ص: ١٣١.

(٢) ينظر: "تذكرة علماء أهل السنة"، ص:٣٤. و"تذكرة خلفاء أعلى حضرة"، ص: ١٣١.

(٣) ينظر: "تذكرة علماء أهل السنة"، ص: ٣٣.

(٤) ينظر: "الاستمداد على أجيال الارتداد"، (مجموعة من الأبيات الشّعْريّة) للإمام أحمد رضا خان القادري، شرحه نجله الأصغر مفتي الهند الأعظم الشيخ محمّد مصطفى رضا خان، باسم "كشف ضلال ديوبند"، ناشر: المدرسة القادرية، ممبئي، سنة النشر: ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م، ص: ٦٨. و"تذكرة خلفاء أعلى حضرة"، ص: ٥.

صهرُه وخليفتُه الدّكتور محمّد فضل الرحمن:

هـو تلميـذُ الشـيخ النجيـب، وخليفتُـه الدّاعيـة الشـهير، وزوج بنتـه الكبيـرة، أمـة الصـبوح المتوفـاة عـام ٢٠٠٠م، ورُزقـا بطفلٍ وأربـع بنـات، وهم: مصطفى فاضل، وعائشة، وفوزية، وسعدية، وندى(١).

تشرّفَ الدكتورُ بصحبة الشيخ الميرتي أكثر من ٢١ سنة (٢)، ورافقه في معظم أسفاره، وشاهدَ أعمالَـه عن كثبٍ، وراقبَ مهمّاتـه الدّعويـة بدقـةٍ، ولاحظَ شخصيتَّه المغناطيسيّة على مهلٍ، فكـان مـن الطبيعـي أن يتـأثر بـه وينـتهج منهجـه ويخطـو علـى خطواتـه، ويتبـع آثـاره فـي مجـال الـدعوة والإرشـاد، وينشـط فـي هـذا المضـمار، فيتـرك لنـا أعمـالا عظيمـة وآثـارا مباركة، منها:

أسّس "المركز الإسلامي" في كراتشي.

أصدرَ مجلة إسلامية THE MANARET باللّغة الإنجليزية التي كانت تعنـي بشؤون الدّعوة عناية بالغة.

ألفَ كُتباً قيّمة في شرح الإسلام وتفهيم أسسـه، وبـالأخصّ كتابَـه القيّم باللغـة الإنجليزيـة (QURANIC FOUMDATION AND STRUCTURE OF MUSLIM THE SOCIETY)، طبعت في كراتشي عام ١٩٧٣م في مجلّدَين.

وهو من الكتب المهمّة لتفهيم الإسلام وعرض مبادئه المثالية بأسلوب متألق رشيق، يقول البروفيسر الدّكتور محمّد مسعود أحمد المجدِّدي: "إن

---

(١) ينظر: مقال الدكتورة فريدة أحمد، في المجلة الخاصّة، "عظيم مبلّغ إسلام"، ص: ٦٠.

(٢) ينظر: مقال الدكتور فضل الرحمن الأنصاري، في المجلة الخاصّة، "عظيم مبلّغ إسلام"، ص: ٦٣.

الشيخ فضل الرّحمن قد قدّمَ أعمالاً كثيرةً، إلاّ أنّ عمله الذي أنجزه في الربيع الأخير من عمره، هو كتابه المذكور، فهو عمل يندر نظيره"[١].

ويقول الدّكتور اشتياق حسين القريشي: "إنّ هذا الكتاب نموذج خير من المساعي التي بذلت في سبيل تفهيم الإسلام"[٢].

هذه وغيرها من الأعمال الدّعوية التي قدّمها صهرُ الشيخ الميرتي وخليفته الدكتور محمّد فضل الرحمن، إخلاصاً لوجه الله، وكانت وفاته في كراتشي ١٩٧٤م، رحمه الله تعالى رحمةً واسعةً.

ابنته الدكتورة فريدة أحمد:

هي أصغرُ أولاد الشيخ، وُلِدَتْ في "مِيرت" الهند، ٢٨ حزيران عام ١٩٣٥م[٣]، وحينما أُخبِرَ أبوه الشيخ الدّاعية عن ولادتِها كان في الحرم المكّي الشّريف، حيث دعا لها بالخير والبركة[٤].

تمّ زواجُها من البروفيسر محمّد أحمد الصّديقي في ١٢ نيسان عام ١٩٦٢م، ورُزقا بولدَين وبنت واحدة، وهم: الدّكتور محمّد طلحة الصّديقي، ومحمّد جنَيد الصّديقي، والسيّدة سميّة الصّديقي[٥]

---

(١) ينظر: مقدمة الدكتور محمد مسعود في كتاب "مبلغ إسلام" للأستاذ خليل أحمد رانا، ص: ٩.

(٢) ينظر: المرجع نفسه، ص: ٩.

(٣) ينظر: مقال الدكتور محمّد يونس القادري، المنشور في مجموع المقالات عن الشيخ الميرتي، المسمى بـ "عظيم مبلّغ إسْلام"، ص: ١٢٢.

(٤) ينظر: المرجع نفسُه، ص: ١٢٢.

(٤) ينظر: مقالُ الدكتورة فريدة أحمد، في "عظيم مبلّغ إسْلام"، ص: ٥٩ ــ ٦١.

وكـان الشـيخُ -رحمـه الله- يـدعو لهـا دائمـاً أن يجعلهـا اللهُ داعيـة بـين النِّساء[1]، وقد قبل اللهُ دعاءَه وأصبح لتلك البنت شأنٌ عظيم، حيث إنّها لعبت دَورا مهمّاً في مجال الدّعوة بين النِّساء.

يقـول الـدكتور محمـد مسـعود أحمـد: "إنّ الـدّكتورة فريـدة مـا زالـت تشـتغل بالـدّعوة إلـى الإسـلام منـذ سنوات، وإنّهـا لأدّتْ خدماتٍ عظيمـة فـي مجال الـدّين محجَّبـة، مـا لـم تستطع أن تؤدّيهـا الأخريـات سـافراتٍ، يقـال إنّ المرأة لا تستطيع أن تصنع شخصيتَّها وهي بالحجاب، ولكن الدكتورة أثبتت عملياً أنّ المحجّبات يستطعن أن يقدنَ الأخريات ويصنعنَ ذواتهن"[2].

تبـدأ رحلتُهـا الدّعويـة بعد وفـاة أبيهـا عـام ١٩٥٤م، حيـث إنّهـا ألقت خطبتَّها الأولـى بـين النِّسـاء، فكانـت مؤثّرةً جدّاً، ممّـا جعلـت النّسوة يبكينَ، ومنـذ ذلـك الحـين ترسّـختْ ثقتُهـا بنفسِـها، وشـبّتْ فيهـا روحُهـا الدّعويـة، ونشـطتْ فـي سـبيلها علـى المستوى العـالمي، فقـد أسّسـت منظّمـة إسـلامية للنّسوة عام ١٩٥٩م في الباكستان، وفتحت لهـا فروعـاً كثيـرة فـي العـالم مـن أمريكا، وكندا، وفرنسا، وألمانيا، وهولندا، وموريشس، وكينيا[3].

تهتمُّ هذه المراكز بالـدّعوة إلـى الله، وتعليم القرآن الكريم، وتجويده، وتعليم المسائل الشرعية، والاحتفال بالمناسبات الإسلامية، وإحياء الليـالي المباركــة، ونشــر الــدروس الخلقيــة المســتفادة مــن سِــيَر الصــحابيات والصالحات على مدى التاريخ الإسلامي، وما إلى ذلك من أمور.

---

(١) ينظر: مقال الدكتور محمّد يونس القادري، في "عظيم مبلّغ إسلام"، ص: ١٢٤.

(١) ينظر: مقدمة الدّكتور محمد مسعود أحمد في كتاب "مبلغ إسلام ..."، ص: ١١.

(٣) ينظر: مقال الدكتور محمّد يونس القادري، في "عظيم مبلّغ إسلام"، ص: ١٢٥.

كانت الدكتورة من روّاد الفكر الإسلامي في العصر الحاضر، من أهمّ أهدافها المنشودة القيام بنشر الدين وتعميم الثقافة، وفتح مراكز التعليم والتربية، وبالأخص تعليم البنات وتثقيفهن، ولهذا فقد اقترحت تأسيس جامعةٍ خاصّةٍ للبنات في كلّ ولايةٍ من ولايات الباكستان أثناء حملتها الانتخابية عام ١٩٧٠م[1].

ولا شكَّ أن خطوتَها هذه كانت خطوةً مثالية منفردةً، قلّما يفكّر فيها المثقفون، مع أنّها خطوةٌ مفيدةٌ تفتح أمام الطالبات أجواء الهدوء والطمأنينة، وتسلمُ المجتمعات الإنسانيّة من فساد الاختلاط، الذي قد يؤدّي إلى تدهور الأعراف الخلقية، والأوضاع الأمنيّة.

وَقد نَجحت الدّكتورة فيما سعَتْ إليه عام ١٩٩٠م، حيث تمّ بناء جامعةٍ خاصّةٍ للبنات في كراتشي، وهي "الجامعة الإسلامية للبنات"، التي تضمّ منهجا مثاليا، يعنى بالعلوم الإسلامية، إلى جانب العلوم العصرية، وهي جَامعةٌ دوليّةٌ تستقبل الطالبات من أمريكا وكندا والدول الغربية والإفريقية، وتتخرّجُ فيها مئات من المسلمات، اللاتي يشتغلن بخدمة الإسلام[2].

إلى جانب التعليم والتربية خاضت ميدان السياسة؛ وذلك للحصول على حقوق المرأة التي شرّفها الله تعالى بها، وفي هذا السبيل نراهَا تسعى سعيا حثيثاً وتُطالِب الحكومة، بالآتي:

١. على الحكومة أن تنفذّ القوانين الإسلامية على العائلة المسلمة، والقوانين العائلية المعروفة في الباكستان باطلة.

---

(١) ينظر: مقال الدكتور محمّد يونس القادري، في "عظيم مبلّغ إسلام"، ص: ١٢٧.
(٢) ينظر: مقال الدكتور محمّد يونس القادري، في "عظيم مبلّغ إسلام"، ص: ١٢٧.

٢. إقامة محاكم خاصّة للمرأة.
٣. تأسيسُ جامعةٍ خاصّةٍ للمرأة.
٤. تأسيسُ كلّيات الطب الخاصة للمرأة.
٥. فتح مستشفيات خاصة للمرأة.
٦. إتاحة امتيازات خاصة للمرأة في انتخاب أعضاء البرلمان.
٧. تخصيص ثلث المقاعد التشريعية للمرأة.
٨. إتاحة الفرصة للمرأة في أعمال الحكومة والاستفادة من اقتصادها، ومشاركتها في المعامل والمصانع.
٩. إتاحة الحقوق السياسية للمرأة للحفاظ على شخصيتها.
١٠. المرأة الباكستانية لن تقبل قانوناً يصادم الشريعة.
١١. إخراج المرأة عن قيد الاستغلال؛ إذ إنها ليست سلعة تجارية.
١٢. القضاء على لعنة الجهاز العروسي الذي تفرضها بعض المجتمعات على أهاليها.
١٣. إعدام المغتصبين شنقا.
١٤. الإجراءات المتشدّدة ضدّ الأشخاص الذين يشجّعون على الإباحة والخلاعة والمجون(١).

هذه أبرَز مطالباتها عن حقوق المرأة، التي نشرها الإعلام الباكستاني، واهتمّت بها الجرائد والصُحف والمجلات، وهناك مطالباتٌ أخرى عامّة نشرها الإعلام الباكستاني، وهي أساسٌ لفلاح الأمّة المسلمة على المستوى العالمي والإقليمي، من أهمها:

١. نفاذ القوانين الإسلامية في الباكستان.

---

(١) ينظر: مقال الدكتور محمّد يونس القادري، في "عظيم مبلّغ إسلام"، ص:١٢٨-١٣٠.

٢. القضاءُ على عدم المساواة في مواقع الكسب والعمل.
٣. القضاءُ على العصبيات اللسانية والعنصرية والإقليمية.
٤. فتحُ قناةٍ حرّةٍ مشتركة للدول الإسلامية للدفاع عن الإسلام، والرد على الدعايات الكاذبة.
٥. تحسين العلاقات مع الدول الإسلامية، وتطويرها [1].

ومن أعمالها الخيريّة المتنوعة: تقديم المعونات الطبّية إلى الفقراء والمحتاجين، وتجهيز البنات الفقيرات، ومساندة السجينات، ورعاية العمى واليتامى والمساكين، على مدار السّنة عموماً، وفي رمضان المبارك خصوصاً، وذلك ببرامج مستقلة هادفة[2].

إلى جانب الأعمال الدّعوية والسياسيّة والاجتماعية والخيريّة كانت كاتبة قديرة، لها عدّة مؤلّفات، منها:

١. القضايا الفقهيّة للمرأة.

٢. الكتب المنهجيّة باللغة الإنجليزية والأوردية.

٣. أحاديث الأربعين, وغيرها من كتب[3].

والحقّ أنّها كانت مثلاً فذاً للمرأة المسلمة المحجّبة، وابنة عظيمة لأب عظيمٍ تفتخر به الأزمان، لها مآثر خالدة لا تمحى آثارها إلى أبد الدهور، وقد انطفأت هذه النجمة اللامعة على آفاق العلم والمعرفة في سماء المجد والعظمة، فقد انتقلت إلى رحمة الله تعالى في ٢٨ رمضان المبارك سنة

---

(١) ينظر: مقال الدكتور محمّد يونس القادري، في "عظيم مبلّغ إسلام"، ص: ١٣٠-١٣١.
(٢) ينظر: المرجع نفسُه، ص: ١٣١.
(٣) ينظر: المرجع السابق، ص: ١٣١ – ١٣٢.

١٤٣٤هـ/ ٧ آب/ أغسطس عام ٢٠١٣م. (بـرّدَ الله ثراهـا، وجعلَ الجنّـة مثواها).

خلاصةُ القول إنّ أسرة الشيخ الميرتي كانت أسرةً طيّبة زكية مثاليّة في مجال الدّعوة والفكر، باركَ الله تعالى فيها، وجَعلها قدوةً صالحةً لغيرها من الأسر في المستقبل، كما كانت في الماضي.

* * *

المبحثُ الثالث

نبذةٌ عن نجله وخليفته الشيخ أحمد نُورَاني

- مولدُه ونشأته
- أعمالُه وخدماتُه
- مواقفُه السياسيّة الباسلة
- وفاته ومدفنه

مَولدُه ونشأتُه:

هو الثالث بين إخوانه وأخواته، وُلِد في "مِيرَتْ" الهند، في ١٧ رمضان المبارك ١٣٤٤هـ/ ٣١ آذار عام ١٩٢٦م(١).

ختم القرآن الكريم حفظاً وإتقاناً وهو لم يتجاوز ثماني سنوات من عمره، ثمّ كمّل الثانوية في الكلّية الوطنية العربية، وأتمّ دراسة البكالوريوس من كلية "إلهْ آباد"، ثمّ توجّه إلى العلوم الدّينية فالتحق بالمدرسة الإسلامية الوطنيّة، في بلدة "مِيرتْ" الهند، ودرسَ عند الشيخ العلامة سيّد غلام جيلاني الميرتي، وتخرّج عنده عام ١٩٤٠م(٢).

ذهب به أبوه الشيخ الدّاعية محمد عبد العليم الصّديقي إلى المدينة

---

(١) ينظر: "عهد روان كي ايك عبقري شخصيت"، (شخصية عبقرية في العصر الراهن) ص: ١٢.

(٢) ينظر: المرجَع نفسُه، ص: ٢٧.

المنـوّرة حيـث تلقـى قـراءةَ القـرآن وتجويـده مـن المقـرئ الشـهير الشـيخ حسن الشّاعر نحو سنة واحدة[١].

أتقن اللّغات العالميـة مـن الإنكليزيـة والفرنسية والفارسية وغيرها حذواً لأبيه؛ ليكونَ هو الممثّل لحركة الدعوة التي رسمَ أبوه دروبَها، وسقى جذورَها بالجهد والإخلاص، وزيّن عريكتَها نحو أربعين سنةً بشخصيته الفذّة المغناطيسية.

فعلى منوال أبيه تعلّم اللغات العالمية العديدة، فقد قيل: إنّه كان يجيد سبع عشرة لغةً، تعلّمَ جميعَها في بلدة "مِيرت" على إشارة من أبيه سِوى الفرنسية التي تعلّمها في كراتشي[٢].

بـايعَ علـى يـد أبيـه وحصـل منـه علـى إجـازةٍ وخلافـة، فـي الطريقـة القادريــة، والجشـتية، والسُّـهَرْوَرْدِيّة، والنّقشـبندية، والشّـاذلية وغيرهـا، وكانـت لـه إجـازة مـن الشيخ ضـياء الدّين المدني، والشيخ فضـل الرّحمن المدني، وغيرهما من شيوخ العرب[٣].

زار الحـرمَين الشّـريفين لأوّل مـرّة مـع أبيـه فـي الحـادي عشـر مـن عمره، ثمّ توالت زيارته للعمرة مراراً، وأمّا للحجّ فيُقدّر ست عشرة مرّةً[٤].

كـان مواظبـا علـى الأذكـار والأوراد فضـلاً عـن حرصـه الشـديد علـى

---

(١) ينظر: المرجَع السابق، ص: ٢٧.

(٢) ينظر: "عهد روان كي ايك عبقري شخصيت"، (شخصية عبقرية في العصر الراهن) ص: ٢٧.

(٣) ينظر: المرجع نفسُه، ص: ٢٨.

(٤) ينظر: المرجع السابق، ص: ٢٨.

الفرائض والواجبات، يهتمّ بحلقة الذكر كلّ ليلة الخميس في بيته في كراتشي، ومن عادته الميمونة أنّه كان يحضر فيها إن تواجَد في كراتشي، وكان يستقبل مريدِيه على بابه، ويحضر لهم طعاماً حسب استطاعته، وإن لم يتواجد في كراتشي فكان يهتمّ بحلقة الذكر مريدُه عبد الهادي(١).

زوّجه صديقُ أبيه، الشيخ ضياء الدّين المدني بحفِيدتِه بنت الشيخ فضل الرّحمن المدني في المسجد النّبوي الشّريف في ٢٤ ذي الحجّة عام ١٣٨٣هـ/ ١٩ مايو ١٩٦٣م(٢)، ورُزق منها بطفلَين الشيخ أنس النّوراني، والشّيخ أويس النّوراني، وبنتين الأخت إيناس، وإيمان -بارك الله تعالى في أعمارهم-, والشيخ أنس النّوراني أكبرهم، وُلِد في المدينة المنورة عام ١٩٦٦م، ودرس في ليبيا والعراق، وهو عالم فاضل، يشتغل بخدمة الدّين على منوال أبيه وجدّه، بارك الله فيه وفي أعماله(٣).

أعماله وخدماته:

كان مِرآة صادقة لأبيه الشيخ الدّاعية بأوصافه، وخصاله وأعماله، تولى مسئولية الدّعوة والإرشاد في العالم كلّه.

إكمالاً لمهمّة أبيه الداعية قام بتأسيس منظمة إسلامية عالمية WORLD ISLAMIC MISSION (الدّعوة الإسلامية العالمية)، وهي المنظمة التي تعني بشؤون الدعوة والإرشاد على مستوى العالم، وذلك بأن اجتمع

---

(١) ينظر: "عهد روان كي ايك عبقري شخصيت"، (شخصية عبقرية في العصر الراهن) ص: ٢٨.

(٢) ينظر: المرجع نفسُه، ص: ١٤١.

(٣) ينظر: المرجع السابق، ص: ٣٠.

الخِيرةُ من علماء أهل السّنة والجماعة من الهند والباكستان وبنغلاديش، وغيرها من الدول، في دار الأرقم بمكّة المكرّمة، فبراير عام ١٩٧٢م أثناء موسم الحج، واتفقوا بعد البحث والمناقشة على إنشاء منظمةٍ إسلاميةٍ عالمية تقوم دفاعا عن الإسلام وصاحبه عليه الصلاة والسّلام.

وقد حالفهم التوفيق فانعقدت أوّل جلسة لهذه المنظمة في برادفورد، بريطانيا عام ١٩٧٤م، وانتخب الشاه أحمد نوراني أول رئيس لهذه المنظّمة، والشيخ سيد معروف حسين نوشاهي[١] نائبا له، كما انتخب العلامة أرشد القادري[٢] أمينا عامّا.

ومنذ تلك اللحظة تواصلت هذه المنظّمة الدعوية مسيرتها الدينية، وفتحت لها مراكز عديدة في أكثر من خمسين دولةً.

ومن أعماله أنّه وَقفَ ضدّ القاديانية، وجاء بقرارٍ حاسمٍ في البرلمان الباكستاني ينصُّ على أنّ القاديانية ملّة كافرة خارجة عن

---

(١) لم نقف عليه.

(٢) هو الأديب الأريب رئيس القلم العلامة أرشد القادري بن الشيخ عبد اللطيف بن الشيخ عظيم الله، ولد في قرية "سيده فور" من محافظة "بليا"، ولاية "أوترا براديش" الشمال الشرقي من الهند، أخذ من علوم أبيه وجده، ثم التحق بالجامعة الأشرفية بمباركفور، وتخرّج على أيدي الشيخ العلامة عبد العزيز، المعروف بحافظ الملة في الهند سنة ١٩٤٤م. وبعد التخرج اتجه العلامة إلى التدريس، ولكنه سرعان ما تحوّل من هذه الوظيفة داعيا إسلاميا، يخطب ويكتب في الدفاع عن الإسلام وملته البيضاء متجولا في أرجاء الهند وخارجها بدون تعب وملل حتى استطاع زرع الإيمان والإخلاص في القلوب الميتة من جديد. بقي على خدمة الإسلام بأحسن وجه حتى وافاه الله عام ٢٠٠٣م.

الإسلام، وقد اتّفق أعضاء البرلمان على هذا القرار بجهوده المباركة في ٧ أيلول/سبتمبر عام ١٩٧٤م[١].

وقد كان هذا القرار ثغراً مهمّا في تاريخ الباكستان، له أهمية عظيمة؛ إذ إنّ هذا القرار هو الذي أجهز على روح القاديانية، وأذاقها شرّ هزيمة على أرض الباكستان الإسلامية، وهو قرارٌ إسلامي يُعَدُّ فتحاً مبيناً على أعداء الله ورسوله صلى الله عليه وسلم.

يذكر الدكتور محمد أحمد الصّديقي: إنّه تاب إلى الله خمسون ألفاً من القاديانيين، في الباكستان وخارجها نتيجةً لهذا القرار[٢].

ومن أعماله أنّه قادَ حركةً لتنفيذ نظام المصطفى صلى الله عليه وسلم في الباكستان التي أسّست على الإسلام، ولقد سعى في ذلك سعياً حثيثاً، وحاول جمع القادة السياسيين والجماعات الإسلاميّة تحت رايةٍ واحدةٍ عام ١٩٧٧م، ضدّ الظلم والعدوان والدكتاتورية، فنجح في جمع شمل القادة الإسلاميين، وتعرّض للضرب والشتم وزُجَّ به في السّجن، لكنّه صبر وشكر في جميع الأحوال، ووقف حجراً صلداً في وجوه الطغاة[٣].

في عام ١٩٩٩م قام بَرويز مشرّف بانقلابٍ عسكريٍّ، وطرد

(١) ينظر: مقال الدكتور محمّد أحمد الصديقي المنشور في مجموع المقالات عن الشيخ الميرتي، المسمّى بـ "عظيم مبلغ إسلام"، ص: ١١٠. ومجلة "نداء أهل السنة"، لاهور، المجلّد الرابع ٢٠٠٤م، ص: ٨.

(٢) ينظر: مقال الدكتور محمّد أحمد الصديقي المنشور في مجموع المقالات عن الشيخ الميرتي، المسمّى بـ "عظيم مبلغ إسلام"، ص: ١١٠.

(٣) ينظر: "عهد روان كي ايك عبقري شخصيت"، (شخصية عبقرية في العصر الراهن) ص: ٢٢١.

نواز شريف من الباكستان، وتكالبت القوات اللادينية على الباكستان، ممّا دعت الحاجةُ إلى الاتحاد من جديد، فتواصل الشيخ نُورَاني مساعيه لاتحاد الجماعات الإسلامية على رصيفٍ واحد، وقد نجح في تشكيل جبهةٍ سياسيةٍ قويةٍ للوقوف ضدّ القوى اللادينية باسم "متحدة مجلس عمل" وانتخب رئيساً لها، وظلّ على منصب الرّئاسة طول حياته[١].

وقد أحرزت هذه الجبهة السياسية في الباكستان نجاحاً باهراً، وسجّلت أهدافاً تاريخية، إلاّ أنّها ضعفت الآن وفقدت سيطرتها في الانتخابات التي أجريت حالياً خلافاً للانتخابات السابقة، والسبب واضحٌ هو أنّ الشخص الذي كان يستطيع أن يجمعَ الجماعات الإسلامية على رصيفٍ واحد، وكان ينفخ فيهم روحَ العزّة والغيرة وروحَ العمل والنشاط، قد غادَرهم إلى الأبد...

وكان يستطيع الشيخ نُوراني أن يفعلَ كلَّ ذلك؛ لأنّه كان يمتلك جرأةً إيمانية، وقلباً صافيا، وروحاً نضاليا، وهمةً عالية، وشعوراً مرهفا، وعاطفةً صادقة، لا يفكّر إلّا في خدمة الأمّة، ولا يعمل إلاّ لرضا الله ورسوله صلى الله عليه وسلم ، ولهذا كان يُنجز ما لا ينجزه الآخرون.

لم يجد وقتا كافيا للتصنيف والتأليف لمشاغله السياسية والإدارية والدّعوية، مع ذلك ألّف عدةَ كتب، منها: "أيّام السجن" كتبَه في السجن، مسجّلاً أحداثَه ووقائعه.

---

(١) ينظر: "عهد روان كي ايك عبقري شخصيت"، (شخصية عبقرية في العصر الراهن) ص: ٢٤٣ – ٢٤٤.

مواقفه السياسية الباسلة:

كان الشيخ أحمد نُوراني رجلا مؤمنا مجاهدا لا يخاف في الله لومة لائم، ولا يتراجع عن قول الحقّ، يؤثِر الصراحة على المداهنة والتملق، له مواقف باسلة مع رؤساء الدّولة وأرباب السُّلطة، منهم مَن يهيج ويموج لقولِه الحقّ فيصبّ عليه نكاله، ما يُزلزل الصُّم الصّلاب، ولكنّه يثبت صامداً، لم يضعف ولم يهن ولم يتردّد، يقول الشيخ عبد الحكيم شرف القادري: (إنّ الشيخ أحمد نوراني (رئيس جمعية العلماء لباكستان) لم ينتهج خططَ أبيه العلّامة الصديقي فحسب، بل تقدّمَ بها نحو الأمَام، وكان الشيخ نوراني رجلا مجاهدا جريئا متصدٍّعا بالحقّ، وقد اعترف بجرأتِه كلٌّ من المخالفين له والمتّفقين معه على السّواء، والشيخ يركّز هذه الأيام جلّ جهوده على تنفيذ نظام النبي المصطفى صلى الله عليه وسلم ، نصرَه الله نصرا مبينا؛ فإن بقاء الدين والدولة وضمانهما وسلامتهما وعزتهما ليست إلا في تنفيذ القوانين الإسلامية عمليا) [١].

ولمواقفه الباسلة مشاهد كثيرة، فقد لمحَ النّاس فيه جرأة جدِّه سيّدنا الصّديق الأكبر -رضي الله تعالى – مراراً، منها على سبيل المثال:

سافر إلى رُوسيا عام ١٩٥٨م، وكان من بروتوكولات الزائر السياسي أن يقدّمَ باقةً من الزهور على قبر لينن، ولكنّه أبى أن يفعل هذا الفعل الشّنيع[٢]؛ إذ إنّ فيه تعظيما لصاحب القبر، وصاحبُ القبر لا يستحقّ ذلك.

---

(١) ينظر: "تذكرة أكابر أهل السّنة"، ص: ٢٤٢.

(٢) ينظر: مقدمة الدّكتور محمّد مسعود أحمد في كتاب "مبلغ إسلام ..."، ص: ١٠.

سـافرَ إلـى عاصـمة بـنغلاديش، "داكـا" عـام ١٩٧١م، والتقـى بقائـد القـوات المسلّحة الباكسـتانية الـرئيس يحـى خـانْ، الـذي كـان جالسـاً وعلـى طاولته خمر، فوبّخَه الشيخُ قائلاً: "إنّ الدولة تكاد تتكسّر، وأنت غارقٌ في شرب الخمر، عليك أن تكفَّ عن ذلك فوراً، ولا يمكننا أن نكلمك إلاّ أن تقتلع منه". فارتعد الرئيس ونفّذ ما قاله الشيخ نُورَاني[1].

وموقفه البطولي الآخَر الذي لا يزال يذكره النّاس هو وقوفُه ضدّ رئيس وزراء باكستان ذو الفقار علي بوتو، الذي وَبّخه الشّيخُ نوراني في البرلمان الباكستاني قائلاً: "إنّ بوتو يعدُّ نفسَه قائِداً للبرلمان ويجعل نفسَه رئيساً لوزراء باكستان، وهو لا يستحقّ أن يكونَ نائباً لمراسلٍ، لأنّه زانٍ وشارب خمر، والباكستان أساسُه الإسلام"[2].

وجَزاءً لمواقفه السياسيّة الباسلة زُجَّ به في السّجن عام ١٩٧٧م[3]، فكان رجلا مجاهدا غيّورا، لم تزلزله عاصفةٌ هوجاء من المصائب والآلام، بل تحمّلها صابراً وشاكِراً.

حينما نجح في الحصول على قرارٍ حاسمٍ ضدّ القاديانية في البرلمان الباكستاني في ٧ أيلول/سبتمبر عام ١٩٧٤م، تقدّم إليه القاديانيون بالأموال والسّلطة حينا، وبالسبّ والشتم والأذى حيناً آخَر، ولكنه صمد في وجوههم حازماً باسلاً رضاءً لله تعالى وحبيبه صلى الله عليه وسلم.

هذه وغيرها من المواقف الكثيرة التي أثبتت جرأتَه المؤمنة المثاليّة في عصر شحَّ فيه الرّجال الصّادقون.

---

(١) ينظر: مجلة "نداء أهل السنة"، ص: ٧ ـ ٨.

(٢) ينظر: المرجع نفسُه، ص: ٨.

(٣) ينظر: مقدمة الدّكتور محمد مسعود أحمد في كتاب "مبلغ إسلام"، ص: ١٠.

وفاته ومدفنه:

توفي هذا الرّجل المجاهد الغيّور يومَ الخميس ١٦ شوّال المكرم ١٤٢٤هـ/ ١١ كانون الأول/ ديسمبر ٢٠٠٣م، في "إسلام آباد" الباكستان، عن عمرٍ يناهز ٧٨ سنة[١]، أمَّ صلاة جنازته نجله الأكبر الشيخ أنس النّوراني، في منتزه "نِشتَر" بكراتشي، ودُفِنَ يوم الجمعة مساءً، في مقبرة الشّاه عبد الله الغازي -رحمه الله- في أقدام أمّه السّعيدة[٢].

ويُذكَر أن منتزهَ "نِشتَر" وسيع جدّاً يكاد لا يمتلىء بطنه بالنّاس، ولكنه اكتظّت هذه المرّة بالمعزِّيْن والمصلّين عليه، حيث لم يبق فيه مكان من إبرةٍ، كأنه جنازةُ الإمام أحمد بن حنبل في هذا القرن[٣].

له أعمال جليلة لا تسعها هذه الأسطر القليلة، بل يحتاج إلى سجل مستقل، ليستوعبَ خدماته وأعماله.

* * *

(١) ينظر: "عهد روان كي ايك عبقري شخصيت"، (شخصية عبقرية في العصر الراهن) ص: ٢٧٣. وينظر: الافتتاحية في مجلة "نداء أهل السنة"، لاهور، المجلد الرابع ٢٠٠٤م، ص: ٦.

(٢) ينظر: "عهد روان كي ايك عبقري شخصيت"، (شخصية عبقرية في العصر الراهن) ص: ٢٧٦.

(٣) ينظر: المرجع نفسُه، ص: ٢٧٦.

الفصل الثاني
جهوده العلمية والدعوية

المبْحثُ الأوّل

الدّعْوة، وأهميتها، ومنهجها

- الدّعُوة لغةً واصطلاحا
- الدعوة بالحكمة
- أهمية الدّعوة إلى الله
- عدّة الداعي
- أخلاق الداعي

الدّعوة لغةً واصطلاحاً:

جاء في المصباح المنير: دَعوتُ اللهَ أدعوه دعاءً: ابتهلتُ إليه بالسّؤال، ورغبتُ فيما عنده من الخير، ودعوتُ زيداً: ناديتُه وطلبتُ إقبالَه، ودَعَى المؤذّنُ الناسَ إلى الصّلاة، فهو داعي الله[١].

أمّا الدّعوة اصطلاحاً: فهي الأسلوب الحكيم الأمثل الذي يستقطب القلوب إلى نور الهداية والمعرفة بإذعان تامّ اعتماداً على الإقناع والإفهام، دون التشديد والإكراه.

ويقول الدكتور زياد محمود العاني: هي الأسلوب الأمثل والأفضل الواجب اتباعه في أيّ أمر من أمور الدّعوة، وما يتعلّق بها، بعيداً عن ردود

---

(١) ينظر: المصباح المنير، مادة: "دعا"، وأساس البلاغة، مادة: "دعا".

الفعل الخالية من التعقل والانفعالات الناتجة، والخطوات غير المدروسة المجهولة النتائج[١].

والدّعوة إلى الله تعني الدّعوة إلى السعادة الدنيوية والأخروية والوصول إلى ذروة المجد والكمال؛ إذ إنه ليس الكمال سِوى الوصول إلى الملك الحيّ القادر الغَالب الحكيم، الذي خلق الأرض والسّماوات، لا إلهَ إلّا هو، ولا عظمة إلا له، ولا سعادةَ إلا به، ولا غاية إلّا إليه، فمَن تمسّك به وبدِينه فقد نجا، ومَن تولّى عنه فقد غوى، اللّهُمّ اجعلنا من عبادك الصّالحين، يا ربّنا ربّ العرش الكّريم!.

الدّعوة بالحكمة:

والدّعوة النّاجحة هي الدّعوة بالحكمة والموعظة الحَسنة، كما قال الله تعالى مخاطِباً نبيَّه صلى الله عليه وسلم: (ادْعُ إلى سبيلِ ربِّك بالحِكْمَة والموعِظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسَن) [النحل: ١٢٥].

يعرّف الدكتور زياد محمود العاني الدّعوة بالحكمة قائلاً: إنها العلم الذي به تُعرَف كافة المحاولات الفنّية المتعددة الرّامية إلى تبليغ النّاس الإسلامَ بما حوى من عقيدة وشريعة وأخلاق، شرط اجتناب الحماقات، وتذليل العقبات، بوضع الأشياء في موضعها، وإعطاء كلّ أمرٍ ما يناسبه[٢].

والدّعوة بالحكمة تعتمد على وسائل الإقناع الفكري المنطقي الحكيم بالحجج والبراهين المثبتة للحقائق، وتكون الحكمة باتخاذ الأساليب الملائمة

---

(١) "أساليب الدّعوة والتربية في السّنة النبوية"، تأليف: الدكتور زياد محمود العاني، شركة الرشد للطباعة والنشر، بغداد، العراق، ٢٠٠١م، ص: ١٣.
(٢) ينظر: "أساليب الدعوة والتربية في السنة النبويّة"، ص: ١٢.

للحالة الفكريّة والنّفسية التي عليها المستهدفون بالدّعوة[1].

إذنْ لا بدّ للدّاعي أن يتحلّى بالحكمة التي تُرشِده إلى مراعاة الظروف والبيئات، ومراعاة الحالات النفسية والفكرية، وبعد النظر في عواقب الأمور، والترجيح بين المصالح والمفاسِد، وما إلى ذلك من أمور.

أهمية الدّعوة إلى الله:

وأهمية الدّعوة إلى الله تتجلى في أنّها مهمّة الأنبياء، ومهمّة سيّدنا النّبي صلى الله عليه وسلم، ومهمّة المؤمنين المفلحين.

ومن المعروف أنّ الأنبياء -عليهم السلام- هم خير خلق الله وأفضلهم؛ وذلك لأنّهم يدعون إلى الله تعالى، كما أكّد القرآن الكريم ذلك قائِلاً: (وَمَنْ أحْسَنُ قَوْلاً مِمَّنْ دَعَا إلى اللهِ وَعَمِلَ صَالِحاً وَقَالَ إنَّنِيْ مِنَ المُسْلِمِيْنَ) [فصّلت: ٣٣].

وجعل الدّعوة سببا للفلاح والنجاح في الدارين، كما قال تعالى: (وَلْتَكُن مِّنكُم أمّةٌ يَدْعُونَ إلى الخَيرِ وَيَأمُرُونَ بالمعْرُوفِ ويَنهَوْنَ عَن المنكَر وأوْلئكَ هُمُ المفلِحُون) [آل عمران: ١٠٤].

كما جعل القرآن الدّعوة سببا لخيرية الأمة المحمدية؛ إذ قال تعالى: (كنتم خير أمّة أخرجت للنّاس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكَر) [آل عمران: ١١٠].

وقال النّبي الدّاعي إلى الله، السّراج المنير - صلواتُ الله تعالى عليه وآله وصحبه أجمعين – موضّحاً أهمية الدعوة: (فواللهِ! لأن يهدي الله بك

---

(١) "أسس الحضارة الإسلامية ووسائلها"، لعبد الرحمن حسن حَبنكة الميداني، الطبعة الأولى، ص: ٣٥٢.

رجلاً واحداً خيرٌ لك من حمر النعم) [1].

ففي ضوء هذه النصوص الشّريفة تتضح أهمية الدعوة بأنّها أفضل الأعمال، وهي مهمّة الأنبياء والرُّسل الكرام والعلماء العظام، وهي سبب الفلاح في الدارَين.

عدة الدّاعي:

إنّه لا بدّ للدّاعي إلى الله من عدّة قوّية لا غناءَ عنها، يقول الدكتور عبد الكريم زيدان: "يحتاج الدّاعي إلى الله في أداء مهمّته ووظيفته، التي هي في الأصل وظيفة رُسل الله، إلى عدّة قوية من الفهم الدقيق والإيمان العميق والاتصال الوثيق بالله تعالى، هذه هي مقومات عدة الداعي وأركانها وإذا فقدها لم يغن عنها شيء آخر"[2].

وفيما يأتي نسلّط الضوء على هذه المقوّمات بالإيجاز:

أوّلاً: الفهمُ الدّقيق للحياة الدنيوية وغايتها الأخروية، وذلك يقوم على التدبّر في معاني القرآن الكريم والحديث النّبوي الشّريف، كما ينبغي أن يفهم الدّاعي مركزه بين النّاس[3].

ثانياً: الإيمان العميق بالله تعالى، بأن ينظرَ إلى الإسلام أنّه هو الحقّ الخالص، كالبديهة وكالواحد زائد واحد يساوي اثنين، ومَن ثَمّ لا تقبل هذه

---

(١) رواه الإمام البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب غزوة خيبر، ٢/ ٦٠٥ - ٦٠٦ (طبع مجلس البركات، الهند).

(٢) "أصول الدعوة"، تأليف: الدكتور عَبدُ الكريم زيدان، الطبعة التاسعة: ١٤٢١هـ/ ٢٠٠١م، مؤسّسة الرسالة، بيروت، ص: ٣٢٥.

(٣) ينظر: "أصول الدعوة"، ص: ٣٢٦ ـ ٣٣٢.

البديهة أيّ نقاشٍ أو جدال أو شكٍّ أو مراجعة أو إعادة نظر[١].

ومن ثمرات الإيمان العميق: محبّة العبد لربّه، جهاد النفس الدّائم، تقوى الله والرّجاء منه، الحبّ لله والبغض في الله، عدم المبالاة للومة لائم، والتصدّي للمِحَن الشاقة، والمثابرة على الشدائد، والصبر على المصائب والأزمات، والغلبة على الكفار، وما إلى ذلك من أمور.

ثالثاً: الاتصال الوثيق[٢] بأن يكونَ الداعي متعلقاً بالله تعالى اتصالاً وثيقاً، ومتوكّلا عليه اتكالاً لا تزلزلـه عاصفة هوجاء، ولا تعيقه جبال شامخة، ولا تصدّه بحار واسعة، ولا تمنعه من المضي في سبيل الدّعوة موانع طبيعية ولا تُعَرقلُه عداوة الأعداء، بل تتذلل جميعُ العَقبات بفضل جهاده وصبره وأخلاقه المثالية التي يستلهمُها من سيرة النّبي صلى الله عليه وسلم العطرة الطاهرة، فيواجِه ظروفاً لا يمكن لغيره أن يواجِهَها، ويتصدّى لحالاتٍ يصعب على غيره أن يتثبت لها ويصمد في وجهها.

اخلاق الدّاعي:

ينبغي للدّاعي أن يتحلى بالأخلاق العالية من حسن التعامل مع الناس، والابتسامة في وجوههم، إضافة إلى الصدق، والصبر، والرحمة، والتواضع، وغير ذلك من صفات حسنة تجذب القلوب وتأسر الأفئدة، وتقرّب الأذهان، وفيما يأتي نسلط ضوءاً على صفات منها:

أولاً: الصّدق: وهو ضروري لكل مسلم فضلا عن الدّاعي إلى الله الذي يدعو النّاس إلى طريق الحقّ واليقين، ويظهر أثر صدقه في وجهه

(١) ينظر: المرجع نفسُه، ص: ٣٣٣ – ٣٤٢.

(٢) ينظر: المرجع السّابق، ص: ٣٤٣ – ٣٤٥.

وصوته، وهو يخلق أثراً واضحا في جمهوره، ويحمل ذلك على قبول قوله واحترامه، إلاّ إذا كان عمى القلب قد بلغ منه مبلغاً عظيماً.

ثانياً: الصبر: يقول الدكتور عبد الكريم زيدان: "وإذا كان الصبر ضروريا لأيّ إنسانٍ، لا سيّما للمسلم، فإنّ الصبر للداعي المسلم أشد ضرورةً له من غيره؛ لأنه يعمل في ميدانَين، ميدان نفسه يجاهدها ويحملها على الطاعة ويمنعها من المعصية، وميدان خارج نفسه وهو ميدان الدّعوة إلى الله ومخاطبة النّاس في موضوعها، فيحتاج إلى قدر كبير من الصبر في المجالين مجال النفس ومجال الدّعوة حتى يستطيعَ تجاوز العقبات وتحمّل الأذى فإنْ فقد الصبرَ قعد أو انسحبَ من الميدان وحقّ عليه الحساب وفاته الثواب"[(١)].

ثالثاً: الرّحمة: إن الداعي لا بدّ أن يكون ذا قلبٍ ينبض بالرّحمة والشفقة على النّاس وإرادة الخير لهم والنصح لهم، ومن شفقتهم عليهم دعوتهم إلى الإسلام؛ لأنّ في هذه الدّعوة نجاتهم من النار وفوزهم برضوان الله تعالى[(٢)].

رابعاً: التواضع: وهو من أخلاق المسلم فإن الداعي الأوّل نبيُّنا الأفضل صلى الله عليه وسلم ، قد حثّ على التواضع، وهو ضروري للداعي، فهو أحوَج من غيره إلى التواضع؛ لأنّه يخالط النّاس ويدعوهم إلى الحقّ وإلى الأخلاق، فإن كان عارياً من التواضع تصبح دعوتُه غير مؤثّرة.

هذه وغيرها من صفات الصبر والشجاعة والأخلاق الفاضلة تؤهّل المسلم أن يتصدر للدعوة إلى الله تعالى.

---

(١) ينظر: "أصول الدعوة"، ص: ٣٥٠.

(٢) ينظر: المرجَع نفسُه، ص: ٣٥٦.

المبحث الثاني

صِفات الشيخ الميرتي ومنهجُه في الدّعوة

- إيمانه الوثيق بالله تعالى وتوكّله عليه
- إخلاصه وصفاء قلبه
- أخلاقه الدّعوية ومنهجه في الدّعوة
- تمكّنه من اللّغات العالمية
- براعته في الإلقاء والخطابة

لو أنعمنا النظر في أعمال الشيخ عبد العَليم الصّديقي, لوجدناها تدور حولَ قطب الدّعوة والإرشاد؛ فإنّ مُعظَم أعماله تخدم هذا الجانب، حيث إنّه لم يحرص على العلوم العصريّة إلى جانب العلوم الدينيّة، ولم يتعلّم اللُّغات الأجنبيّة إلى جانب اللُّغات الهنديّة، ولم يُبدِع في الخطابة وإلقاء المحاضَرات إلى جانبِ التصنيف والتأليف، إلاّ لينهضَ بأعباء الدّعوة التي ألقى اللهُ مسئوليّتَها في رقبة العلماء.

فإن شيخنا الصوفي العلامة الفذّ عبد العليم الميرتي -رحمه الله- كان متصفاً بالصّفات الأساسية للدّاعي من الإيمان بالله، والاتصال الوثيق به، والتوكّل عليه، والتحلي بالأخلاق الفاضلة من الجرأة والشجاعة والصبر والتواضع وغير ذلك، والتحمّل على المكاره الشاقة، والمثابرة على الشدائد، وغيرها من صفاتٍ، ولولاها لما تمكّن من حمل الرّسالة الإسلامية

الخالدة في العالم كله، لم تمنعه بحار واسعة ولا جبال شامخة، ولم تعرقله موانع طبيعية، ولم تُعِقه ظروف عصيبة، بل نراه يجوب العالمَ كله ويبلغ الإسلام في جزر ساحقة ودول نائية لم يصل إليها الدّعاة المسلمون قبله.

وإليكم صفاته الدعوية ومؤهلاته وعُدّته وأسبابه التي اتخذها ذريعة لإبلاغ رسالة الإسلام الخالدة، وهي:

إيمانه الوثيق بالله وتوكله عليه:

حينما نلقي نظرةً على حياة الشيخ الدّاعية، نجده مؤمنا بالله العظيم إيمانا قويا ومتصلا به اتصالا وثيقا، ومتوكّلا عليه توكّلا لا تُزعْزعه الأعاصير، ولا تقتلعه الآفات والحوادث.

نرى مثالا لعزمه وبسالته أن الهند تنقسم وكثير من المسلمين يسافرون إلى الباكستان، والشيخ يصل معهم إلى كراتشي، ولكنه لا يقبل بيتا مهجورا لأحد الهنادكة، بل يفضّل شقة صغيرةً بالاكتراء، ولم يبن مسكنا له فيها.

نراه في مواقف أخرى أنّ المريدين الأثرياء يقدّمون إليه الهدايا والتحف فلا يقبلها منهم في أغلب الأحيان، أو إنْ قبلها من أحد فنراه يتسارع في تقديمها إلى الهيئات الخيرية، مع احتياجه إليه، وذلك لا يمكن إلا لرجل يتوكّل على الله الذي يرزق من يشاء بغير حساب.

ويمكننا أنْ نلاحظ قوة إيمانه بالله وتوكّله عليه في قصة يرويها تلميذُه وصهرُه النجيب الشيخ الدكتور محمد فضل الرحمن الأنصاري عن إحدى أسفاره إلى جزيرة "فلبائن" عام ١٩٤٩م، قائلا: "كان من المقرّر أن يقوم الشيخ الميرتي بإلقاء خطبة في مدينة "كوتاباتو" أمام الجماهير في ميدان فسيح بعد الظهر، إلا أنه تغير الجوّ وتكثفت السّحب، وكاد المطر ينزل،

فدخلتُ على الشيخ الميرتي في حجرته، وأخبرته عن الأحوال الجويّة، فاستطرد قائلا وبكل اطمئنان: "ابني نحن جئنا لنبلّغ رسالة الله، وكلّ شيء تابع له تعالى سواء كان سحابا أم مطرا، فإن كانت إرادة الله أن نقومَ بتبليغ رسالته فسيتغير الجوّ وينكشف السحاب".

يواصل الدكتور قائلا: بعد صلاة المغرب وصلنا إلى مكان الاحتفال حيث كان حاكم فلبائن ورئيس القضاة موجودين بدأ الشيخ الميرتي خطبته، وبدأت السماء تمطر والناس كادوا ينفضون عن الاحتفال إلا أن الشيخ توقف قليلا وقال: أصدقائي الأعزاء! عليكم مكانَكم سيتوقف المطر، فلا تقلقوا، ولا تمطر إلا بعد انتهاء الاحتفال بعشر دقائق يمكنكم أن تغادروا إلى بيوتكم وتصلوها بأمان.

يقول الناقل الدكتور محمد فضل الرحمن الأنصاري إنه لم تمطر السماء إلا بعد الاحتفال، كما قال الشيخ الميرتي(١).

هذه نماذج من إيمانه بالله -عز وجل- ومثال لعزيمته وتوكّله على الله تعالى على طراز السّلَف الصّالحين من الصحابة والتابعين رضي الله عنهم.

إخلاصُه لوجه الله، وصفاء قلبه :

إنّ الإخلاص جزءٌ مهمٌّ للإيمان، كلما زاد الإخلاص زاد الإيمان بالله، فإنه يبعث النفس على أن يخلص العبد لله الذي آمن به، فلا يعمل إلا لرضاه، ولا يرفع قدما إلا في حبِّه، وينبغي أن لا تساوي الدّنيا عنده غرفة ماءٍ.

---

(١) ينظر: "سلطنتِ مصطفى كا سفير" (سفيرُ سلطنةِ المصطفى صلى الله عليه وسلم) تأليف: الشيخ نسيم أشرف الحبيبي (المفتي في "دَربَن"، جنوب إفريقيا) ناشر: المجمع النوراني، دار العلوم العليميّة، جمدا شاهي، بستي، الهند، سنة النشر: ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م، ص: ٧٢.

في السّطور الآنفة قلنا: إن الشيخ كان يمتلك إيمانا عميقا، والإيمان العميق يبعث النفس على الحب والإخلاص، من هذا المنظور نرى في الشيخ رحمه الله رمزا فريدا للإخلاص، فإنه أدّى مسؤليتَّه الدّعوية على المستوى العالمي، ولكنه لم يُرد منها مالا ولا شهرةً، وَلا ثناءً، وإنما كلّ ما أراده هو رضى الله تعالى فحسب، ولهذا حينما قدّم إليه بعضُ أتباعِه في "جنوب إفريقيا" ٢٥٠ بوند فقبلها، ولكنه أهداها فورا إلى جمعية خيرية، ولم يدّخر لنفسهِ شيئا، تكتب مجلة MUSLIM DIGEST الصّادرة من "دَربن"، عاصمة "جنوب إفريقيا" أنّ الشيخ لم يدّخِر لنفسه هدية أثناء إقامته في "جنوب إفريقيا" ستة أشهُر، وقبل المغاردة قدّم إليه أحدٌ من التجّار في "دَربَن" ٢٥٠ بوند، ولكنّه أعادها إليه قائِلا: هذه للصندوق الخيري(١).

يقول الدكتور اشتياق حسين القريشي: "التقيتُ به مرّتين، مرةً كان يشتكي من داء في عينه، مع ذلك رأيتُه لا تنقطع جهودُه الدّعوية، بل كان متواصلا بها ومشغولا فيها"(٢).

فلا شكَّ أن هذا هو إخلاصه وإيمانه العميق بالله فلم يمنعه داء في عينيه من التواصل بالدعوة، بل اشتغل بها في مرضه.

ولمثل هذه المواقف شواهد كثيرة، بل الحقيقة أنه قدَّم حياتَه كلّها خدمة للإسلام، وقام بالدعوة والإرشاد بِمَالِه الخاصّ، يقول الأستاذ عبدُ الحكيم شرف القادري: "بايَع الشيخُ عبدُ العليم- على يد الإمام أحمد رضا القادري،

---

(١) ينظر: "سلطنت مصطفى كا سفير"، ص: ٦٦. نقلا عن مجلة "مسلم دائجست"، الصّادرة من "دربن"، يناير، ١٩٥٣م.

(٢) ينظر: الجريدة الأسبوعية "الأفق" الصّادرة من كراتشي، في ١٩ ــ ٢٥ آذار، عام ١٩٧٨م، نقلا عن كتاب "مبلّغ الإسلام العلّامة عبد العليم"، ص: ٦٦.

وتشرّف بالإجازة والخلافة، وعلى إيماء منه نهض بأعباء الدعوة في العالم، وضحّى لها حياتّه كلّها، وأبلغ رسالة الإسلام في كلّ بقعةٍ من العالم بأموالِه الخاصة"[١].

وقد تأتّى له ذلك لأنّه اشتغل بالتجارة والطبابة، وجعل هدفَه الأساس الدّعوة إلى الله، فلم يجمع مالاً ليبنيَ به دنياه، وإنما كان ينتظر ليجتمع عنده نصيبٌ من المال ليسافر به إلى دولةٍ من دول العالم التي بحاجةٍ إلى نورٍ ووئامٍ، ليقومَ فيها بنشر الإسلام الذي يضمن الأمن والسلام.

ونظراً إلى أعمالِه المخلصة أثنى النّاس عليه ودعوا له مخلصين، وقدّمتْ إلى جنابه الكريم، شهادةُ ثناءٍ واعترافٍ بالخدمات، أمام حشد من الناس في مدينة "ممبئي"، تنشر جريدة "الفقيه" الأسبوعية ما كانت تحتوي تلك الشهادة من وصف وبيان، وذلك على النحو التالي:

"إنّ القيام بهذه الخدمات المباركة بماله الخاص نموذج فريد لهمّة الشيخ العالية، وحينما قرأنا في جريدة "السياسة"، وجريدة "زَمِيْنْدَارْ"، والجرائد والمجلّات الأخرى من الأوردية والغُجراتية أنكم قُمتم بسفرٍ طويل حول العالم بعيدا عن الشهرة وطلب المال، كادت قلوبنا تطير من بين أضلعنا غبطةً وسرورا، ودعونا لكم مخلصين، وَفقكم الله للمزيد ونصرَكم بالتوفيق"[٢].

هكذا إذا أخلصَ العبدُ لربّه، وصدقتْ عَاطفتُه أتاه النصر المبين حبوا، وأيّده التوفيق الرّبّاني، وحالفتْه الأقدار، وتذلّلت له العقباتُ، وسخّرت له

---

(١) ينظر: "تذكرة أكابر أهل السنة"، ص: ٢٣٦.

(٢) ينظر: جَريدة "الفقيه" الأسبوعية، الصّادرة من "أمرتسَر"، في ٢٨ تشرين الأول/أكتوبر، عام ١٩٢٩م.

الصّعُوبات، والإسلامُ يطرقُ قلوبا متحجّرة، والجزرُ المظلمة تتحوّل إلى بقعةٍ من النور، وتنتقل الصحراء السوداء من بؤرة الظلم والعدوان إلى مرفأ الأمن والسلام، وتمتلىء بالبهجة والسرور.

أخلاقُه الدّعوية ومَنهجُه في الدّعوة:

انتهجَ الشيخُ الميرتي في الدعوة والإرشاد منهجا قرآنيا بالحكمة التامّة والموعظة الحسنة، والأسلوب العلمي الجزل، فخاطب الأمراء والقادة الكبار، والزعماء الساسة الدوليين دون تردّدٍ وخوف، لا تفتر قواه، ولا تخور عزائمه، ولا ينفعل ولا يثور دون النظر في عواقب الأمور، بل يتثبت في ساحة الدعوة بسلاح الصبر والمثابرة والقوّة والشجاعة والكرم والعطاء، وبالتواضع والحكمة، ولا يرى إلا الهدف المنشود، دون أن يتورّط في توافه الأمور فيفقد ما يتوخّاه من تأثيرٍ في القلوب، مراعِيا في كلّ ذلك الأحوال والظروف التي ينبغي للدّاعي الحكيم أن يراعِيها بحذرٍ تامٍّ فينظر في أحوال المخاطبين وظروفهم والقدر الذي يبينه لهم في كل مرّةٍ حتى لا يثقلَ عليهم ولا يشق بالتكاليف قبل استعداد النفوس لها، كما يختار الطريقة التي يخاطبهم بها وينوّعها حسب مقتضيات الحال فلا يستبدّ به الحماس والغيرة فيتجاوز الحكمة في هذا كله وفي سواه.

كما يصرِّح الشّيخ في مستهلّ كتابه "مِرْزائي حقيقت كا إظهار" قائلاً: "إنّني لأدعو النّاس إلى الإسلام بغايةٍ من المحبّة عملا بالحكمة التي أرشدَنا إليها القرآن الحكيم، والنجاح يرافقني فيما أقوم به بمنّه تعالى وفضله، وإنّني لا أهاجم أحد، ولا أجرح مشاعرَ أحد، والدّليل العملي على ما قلتُه هي تلك المحاضرات التي ألقيتُها في طُول الجزيرة "موريشس" وعِرضها، وقد شارك فيها الكافرون إلى جانب المسلمين، وأعجبَ الجميع

إعجابا شديدا بما فيهم الكفّار... وأيضا يظهر جليا أن حوالي خمسين رجلا قد تشرّفوا بالإسلام متأثرين بتلك المحاضرات"[١].

وتلك المحاضرات والخطب هي التي كانت تخلو من الأساليب البَغيضة الكريهة، بل كانت تعتمد على الحبِّ المتبادل والاحترام الإنساني.

يتحدّث العلامة عبد الله خانْ العزيزي عن أسلوب دعوته قائلا: "إنّنا إذا قمنا باستعراضٍ دقيقٍ لجهوده الجبّارة في هذا الميدان واطّلعنا على أساليب دعوته التي اختارها فقيد الدّعوة والإصلاح -رحمه الله- يجلو لنا أنه قام بوضع خططٍ واستراتيجية دقيقة بصدد نشر الإسلام وأعرافه الفذّة خلال رحلاته الدّعوية، وهي أنه لم ينتهج استراتيجية إثارة العواطف وجرح مشاعر الآخرين بقصد الاستفزاز والمجادلة نظرا إلى أنّهم لا يمتّون إلى عقليّته أو وجْهة نظره بصلةٍ، بل ظلَّ يبذل جُلَّ جهدِه في ترويج تعاليم الإسلام ونشر أفكاره ومعتقداته ونظرته في الحياة والاقتصاد والمجتمع بأسلوبٍ رشيقٍ متينٍ وبغايةٍ من اللباقة والكياسَة"[٢].

والحوار الذي جرى بين الشيخ الميرتي والمفكّر الغربي الشهير جورجْ بَرنَادْشَا، خير دليل على أسلوب الشيخ الحكيم البنّاء؛ فإنّ "بَرنَادْشَا" حينما أظهرَ إساءَته إلى الإسلام نرى الشيخ الداعية لا يَنفجرُ غضبا، ولا يثور ردّا عليه، بلْ يتملّك الصبرَ والأناة والحكمة، ويخاطبه بغايةٍ من الليونة والمرُونة ممّا يترك أثراً إيجابيا قويّا في برنادشا، مما يضطرّ إلى الاعتراف بالحقائق الثابتة، ويتحوّل سوءُ ظنّه عن الإسلام إلى ظنّ حسن

---

(١) ينظر: "مرزائي حقيقت كا إظهار"، طبع دلهي، ص: ٥.

(٢) مجلة "العَليم"، الصادرة عن دار العلوم العليمية، مديرية بستي، الهند، العدد الثاني، ٢٠٠٧م.

بفضل الأسلوب الحكيم الذي انتهجَه الشيخ معه، وذلك على النحو التالي:

قال جورج بَرْنادْشَا: أنا آسِف على أنّني لم أستطع الحضورَ في محاضَرتِكم، التي ألقيتُمُوها البارحَة بعنوان: "فلسفة الأمن"، مع اشتياقِي إلى سماعِكم، وإن كان الأنسَب لكم أن تُلقُوا المحاضَرة بعنوان: "فلسفة الحرب"؛ إذ إنّ الإسلام لم ينتشر إلاّ بالسَّيف.

أجاب الشيخ عبد العليم الصّديقي بهدوءٍ تامٍّ، قائلا: هذا خطأٌ شائعٌ عن الإسلام، وقد ألقيتُ ضوءاً على هذا الجانب الليلة البارحة، وأنا أستغرب كثيراً أنّ الكذبَ الفاضِح الذي تمّ الكشفُ عنه، يجري على لسان عالمٍ كبيرٍ مثلك!.

على هذا النحو البليغ يجري الحوار الحكيم الذي استطاع أن يستقطِب قلبَ مفكّرٍ إلى الاعتراف بالإسلام، والاعتراف بما يحمل هذا الدين من رسالات الأمن والسلام.

ونموذجا آخر من دعوتِه بالحكمة نراه في "اليابان" يُبدِعُ منهجا مثاليّا لتقريب أذهان اليابانيين العِلميين إلى الإسْلام بمهارةٍ تامّة؛ وذلك حينما زار اليابان عام ١٩٣٦م، فاختار لمحاضرته عنوانا مشوّقا لليابانيين حسب أذواقهم وطبيعتهم العلمية وظروفهم الثقافية، وهو "مساهمات المسلمين في إيجادات التقنية والعلوم".

وأذهشَ الجميع في مستهلِّ خطبته قائلا: "لم أقفْ هنا داعيةً للإسلام ولا وكيلا له، بل مجرّد باحث يحاول تقديم الصّورة الحقيقية عن مساهمات المسلمين في الإيجادات، والإجابة المقنعة على سوال هل استطاعَ المسلمُونَ أن يقدّموا للعالم شيئا في العُلوم والتكنولوجيا عبر التاريخ الإسلامي الطويل"؟

والسِّرُّ في تقديم الشيخ نفسَه باحثا دون ترجمانٍ للإسلام هو تقريب الطبقة المثقفة من اليابانيين بالأسلوب الحكيم الذي اتخذه الشيخ منهجا لدعوته، ولا شكّ أنّه من أنجح الوسائل؛ إذ إنه لو وقفَ الشيخ أمامهم ترجمانا للإسلام لما توجّه الناس إليه ولما أصغوا له مهما بذل من جهود، ولكنه وقف باحثا مُنصِفا ليقدّم لهم الحقائق العلمية هادفا منها تقريبهم إلى الإسلام والمسلمين ومن ثمّ دعوتهم إلى الله ورسوله صلى الله عليه وسلم، لأنه كان يدرك جيّدا أن للإسلام قوة مغناطيسية يجذبهم إليه بأنظمته الدقيقة وقوانينه العادلة، وصفحاته المشرقة، وإنما الحاجة هي لفت انتباههم وتقريبهم إليه بأيّ طريقٍ كان، والهدف هو الأساس للدّاعي، كما لا يخفى على من له مساسٌ بهذا الجانب.

تمكُّنه من اللّغات العالمية:

مِن ضروريات الدّاعي تسلّحه بلُغات الأقوام, التي يريد أن يقومَ فيها بمهمّة الدّعوة، ولهذا نرى الشيخَ الدّاعية يتسلّح باللُّغات العالميّة العديدة من الإنكليزيّة، والعربيّة، والفارسيّة، واليابانيّة، والصينية، والفرنسية، والاندونيسية، فضلاً عن الأوردية وغيرها، وكان يُتقِنها؛ ليتمكّن من إبلاغ الرّسالات الإسلاميّة الخالدة في أكناف العالم.

يقول الشيخ محمد أطهر النّعيمي -المدرِّس في الجامعة النعيمية بمديرية "مراذآباد" الهند-: كان الشيخ يُتقن الإنكليزية والعربية والفارسية فضلا عن الأوردية، ومرةً جاء إلى كراتشي، وخطب في احتفالٍ أقيم بمناسبة قدومه إليها، خطبة باللغة الفارسية كأنّه من الناطقين بها[1].

---

(١) ينظر: مقال الشيخ أطهَر النعيمي، المنشور في مجموع المقالات عن الشيخ الميرتي، المسمّى بـ "عظيم مبلغ إسلام"، ص: ١٤٥.

وقد سنّ لنفسه أنه كان يقصد قطرا من أقطار العالم، قد يحتاج إلى من يُخرجه من متاهات الضلال، إلى مرفأ الفلاح والنجاة، فيخالط النّاس، ويحاول أن يتعلم لغتهم ليستطيعَ إبلاغ الرّسالة الإلهية، كما فعل في "إندونيسيا" حيث تعلّمَ أوّلاً لغتَها، ثمّ قام فيها بخدمات دعوية عظيمة، قد لا تقوم بها هيئة بأكملها.

ولهذا كلما كثرتْ أسفارُه حول العَالم، كثرتْ عنده لُغات عالمية، إلاّ أنّ اللّغة الإنجليزيّة تأتي بالمرتبة الأُولى؛ لأنّها تحتلُّ الصّدارة بين اللّغات العالميّة شعبيةً، ومساحتُها الجغرافية تسع العالمَ كلّه، وأهميتها البالغة لا تخفى على عاقل، وبالأخصّ على الدّاعي إلى الله، الذي يريد أن يبلّغ رسالة الإسلام في الدّنيا كلها، فلا مناصَ له منها، ولهذا نرى الشيخ الدّاعية يُجيدها كأنّه صاحب لغةٍ وُلِد في مَعقلها، يقول الدّكتور البروفيسر مَسعود أحمد المجدِّدي: "كانَ الشيخ الميرتي مُسَيطِرا على اللّغة الإنجليزية إلى جانب اللّغات الأخرى إلى درجةٍ مدهِشةٍ، كان الشيخ محمد علي جَوهر أيضا يُتقِنُها، إلا أنّه لم يستعملها لأهدافٍ مباركةٍ كما استعملها الشيخ الميرتي"(١).

وممّا يشهد على إتقانه هذه اللّغة كتبُه في هذه اللغة، وهي التي تبلغ العشرات، وخطبُه التي تتجاوز المئات، ومكالماتُه التي تزيد على آلاف وآلاف، فضلا عن المجلات والجرائد التي أصدرها في العالم، فإنّ جميع هذه الأعمال تَدلُّنا على أنه كان مسيطرا على هذه اللّغة العالمية.

يكتب الشيخ مطيع الرضا القادري في رسالةٍ بعثها من "راولبندي" إلى محمّد صديق فاني في ٨ يوليو عام ١٩٧٨م، يذكر فيها أنّ الداعية

(١) ينظر: "مبلغ الإسلام عبد العليم.."، للأستاذ رانا، ص: ٨.

الشيخ محمد عبد العليم الصديقي جاء إلى "جَندوسي" مديرية "مرادآباد" الهند، عام ١٩٣٩م أو ١٩٤٠م للمشاركة في حفلة المولد، حيث أرادَ الموظَفون المسلمون في "مركز تدريب القطار" لشركة إنكليزية "إيستْ إنديا" أن يشارك الشيخ في احتفال المولد النّبوي الشريف، بمركز التدريب، وطلبوا منه أن يلقيَ خطبةً بالإنكليزية؛ لأنّه يحضر فيها كثير من الإنكليز المثقفين، فقبل الشيخ دعوتَهم وذهب إلى مركز التدريب، وخاطبهم بالإنجليزية نحو ساعةٍ كاملة، مما أدهش الإنكليز، وقالوا إنّه لو لم يرَ أحد وجهه ولباسه لظنّ أنه إنكليزي صاحب المستوى الرّفيع، ثمّ بدأ الإنكليز يحادثونه إلى وقتٍ طويل[1].

ومما لا شكّ فيه أنّ إتقانه اللغة الإنجليزية قد فسح له مجالا واسعا للقيام بالدعوة في العالم، فلولاها لما تمكن من تسخير القلوب الغربية والإفريقية، ولهذا يتحتم علينا أن نعتنيَ باللّغات العالميّة للأهداف الدّعوية الخالصة على المستوى العالمي، بعيدا عن المطامع الدنيوية، التي يهدف إليها كثير من طلّاب اللغات.

براعتُه في الإلقاء والخطابة:

كان للشيخ براعةٌ عجيبةٌ في فنّ الإلقاء والخطابة؛ فإنّه لم يخطب قوماً إلاّ سحرَهم، ولم يوجّه إلى أمّةٍ خطاباً إلاّ ملك قلوبَهم، وأسر أفئدتَهم، فكأنّ به مغناطيسيّةً تجذب النّاس.

وكان قادراً على إلقاء الخُطب في عدة لُغاتٍ، منها الأورديّة والإنكليزيّة والفارسيّة خاصّة، وكان يخاطِب جميعَ الطبقات من النّاس:

(١) ينظر: الهامش من كتاب "مبلغ الإسلام عبد العليم.."، للأستاذ رانا، ص: ١٩.

الرؤساء, والوزراء، والدكاترة, والفلاسفة، والعامّة من النّاس، فكان يتأثر الرئيسُ والوزير، كما كان يتأثّر به الفقيرُ والوضيع.

يقول الدّكتور البروفيسر مَجيدُ الله القادري: (كان الدّاعيةُ الإسلامي حضرة الشيخ عبد العليم الصّديقي خطيباً ساحراً، كان يخطب بالإنكليزيّة والفارسيّة إلى جانب الأورديّة بسَلاسَةٍ، وكان يعبِّر عن أفكاره بأسلوبٍ مؤثِّرٍ، يتأثّرُ به أصحابُ اللّغة نفسِها، وخاطب كلَّ طبقةٍ من النّاس)[١].

ويقول الأستاذُ محمّد عبد الحكيم شرف القادري: (كان حضرةُ الشيخ محمد عبد العَلِيم الصّديقي خطيباً مفوّهاً، وأديباً بارعاً، ومفكّراً عظيماً، وحينما كان يخطب عن أحقية الإسلام بصوته الجهوري الرّنّان بالدّلائل والبراهين كان الجمهورُ يسمعُه بإصْغاءٍ تامٍّ، كأنّ على رؤوسِهم الطير، وكان يُسلِم على يده العلماءُ الكِبار والفلاسفة الطبيعيّون، وكان يخاطب كلَّ قومٍ من الدّنيا في لغته بلباقةٍ، يُخيَّل إلى السامع أنه من أبنائها)[٢].

والعناصرُ التي كانت تجعل خُطبَه مقبولة في كلّ طبقةٍ من النّاس، هي شخصيتُه المغناطيسيّة القويّة، وصوتُه الجهوري الرّنّان، وبراهينُه النقليّة والعقليّة الدّامغة، كما يكتب البروفيسر إين إيج بَرلاسْ من طوكيُو, معلقاً على إحدى خطباتِه المطبوعة بالإنكليزيّة: "كلُّ شخصٍ يستطيع أن يسمعَ الصديقيَّ من المنصّة ويتلذّذ به، ولِمَ لا؛ فإنّ شخصيتَه المغناطيسيّة من جانب، وصوتُه الجميل من جانبٍ آخَر، وخطاباتُه القويّة المبرهَنة من جانبٍ ثالث"[٣]

---

(١) ينظر: "تذكرة أكابر أهل السنة"، ص: ٢٣٨.

(٢) ينظر: "تذكرة أكابر أهل السنة"، ص: ٢٣٨.

(٣) ينظر: "تذكرة خلفاء أعلى حضرة"، ص: ١٥٧.

على هذا النحو كان الشيخ متمكنا من الوسائل المادية والروحانية من نفقات السفر، واللغات العالمية، والصوت الجهوري الجميل، والبراهين القاطعة، إلى جانب الأخلاق، والتوفيق الرباني ...وما إلى ذلك من خصال وصفات جعلته داعِيا إلى الله على المستوى العالمي، يندر نظيره في القرون، فليكثر الله أمثاله.

* * *

المَبْحَثُ الثالث

خدماته في مجال الدّعوة والإرشاد

- أسفاره الدّعوية حول العالم
- نتيجة جهوده الدعوية في أرجاء العالم المعمورة

أسفارُه الدّعويّة حول العالم:

كانت روحُ الدّعوة جيّاشةً فيه منذ نُعومة أظفاره، فقد بدأ أسفارَه إلى العالم للدعوة والإرشاد، وهو طالب في الكلية، كما يُذكَر أنّه سافر إلى "بُورْما" في أيّام الدراسة سنة ١٩١٤م، وخطَب النّاس ودَعَاهُم إلى الإسلام، وأسّس "المؤتمر التعليمي لمسلمِي "بُورْما" (BORMA MUSLIM EDUCATIONAL CONFRENCE)[١].

ثمّ سافرَ إلى "بورما" مرّةً ثانيةً في عام ١٩١٥م على دعوة من "المؤتمر التعليمي لمسلمي بورما"، للمشاركة في ندوته السنوية، وعند حضوره الميمون فوّضت إليه رئاسةُ المؤتمر التعليمي، والخطبة التي ألقاها رئيسا أمام هذا المؤتمر قد دوّت صيتَه في آفاق "بورما" وتجلّت موهبتُه الخطابية على النّاس، واشتهرت شخصيتُه العلميّة الفذّة بينهم[٢].

---

(١) ينظر: مجلة "المنار" (The Manaret) باللغة الإنجليزية، الصادرة من كراتشي، عام ١٩٧٣م، ص: ٢٤. نقلا عن كتاب "مبلغ إسلام"، للأستاذ خليل رانا، ص: ٢٢. وينظر أيضا: "حياة عليم الرضا"، ص: ٢٠- ٢١، و٢٦.

(٢) ينظر: "مبلغ إسلام"، للأستاذ خليل رانا، ص: ٢٢.

وفي عام ١٩١٩م اتّجه إلى مكّة المكرّمة حاجّاً، وأقام فيها عدة شهور يُلقي دروساً من الكتاب الحكيم، ثمّ قصد المدينة المنوّرة زائراً، حيث التقى بالشّريف حسين الذي طلب منه أن يكتبَ عن الحكومات العربية من وجهة نظر الإسلام، فكتب ما طلبَه الشّريف، إلاّ أنّه انتقد سياسة الشّريف حسين أيضا، فاستشاط غضبا ولم يُرضه ذلك التقرير الذي أمرَه بإعداده، بل أراد بالشيخ سوءاً، لكنّه اطلع على نوايا الشريف فغادر الحرمين الشريفين جزاءً لمصارحته وإعلانه الحقّ [١].

وعام ١٩٢٣م سافر إلى "سِيلان"، وخطب في مختلف المدُن والقُرى، كما سعى لتوحيد صفوف المسلمين، وقام بتعمير "المسجد الحنفي" في "كُولمبُو"، وأثناء جهودِهِ الرّامية إلى نشر الدّعوة الإسلامية تأثّرَ وزيرٌ مسيحِيٌّ السيّد أيف كَنْغَنْ بيري، وأسلم على يدِهِ[٢].

وفي عام ١٩٢٤م أُرسِل مبعوثا لحكومة "مكّة المكرّمة" للمشاركة في المؤتمر الإسلامي في القدس للبحث في الأزمات السياسية التي كانت تعاني منها الدّول الإسلامية بحذافيرها[٣].

عام ١٩٢٧م سافر إلى "أندُونوسيا"، وتصدّى لأفكار طاغور[٤] الإلحاديّة بخطابه الإيمانيّ، وكان طاغور هندوسِيا متعصّبا في الحقيقة،

---

(١) ينظر: "حياة عليم رضا"،ص: ٢١.

(٢) ينظر: "حياة عليم رضا"، ص: ٢٢. و"مبلغ إسلام ..." للأستاذ خليل رانا، ص: ٢٤ ـ ٢٥.

(٣) ينظر: "حياة عليم رضا"، ص: ٢٢.

(٤) هو أديب هندي من كولكته، الهند، كان متعصبا للقومية الهندوسية، إلا أنه كان يتصنّع الإلحاد خارج الهند، يُعَدُّ من الشخصيات الهنديّة البارزة، ويجعله المتعصبون شاعرَ الهند الوطني، غيرَ أن مكانة الشاعر الإسلامي الدكتور إقبال أحمد تعلوه كثيرا في الهند المتحدة.

ولكنه كان يدّعي الإلحاد ويتصنّع العلمانية في بادىء النظر مخادِعا في ذلك خدعة السياسيّ البارع الماكِر الذي يتصرّف في الأمور بالتمويه والتلفيق، وقد حاوَل إفسادَ المسلمين في "أندونوسيا", فتصدّى له الشيخُ وردّ كيدَه، ونبّه المسلمين على أفكاره المسمومة، وأسّس "الجمعيّة المحمديّة"؛ لينشرَ منها الأفكارَ الإسلاميّة الصّافية، ويردّ على الحركات التبشيريّة المسيحيّة والقاديانيّة[1].

وفي العام نفسِه قصد "ماليزيا" و"تايلندا"، ونفخ فيهما روح النشاط الإسلامي بخطباته بالأردية والعربية والإنكليزية[2].

وفي كانون الأول/ ديسمبر عام ١٩٢٨م سافر إلى جزيرة "مُورِيشِسْ (MAURITIUS)[3] على دَعوةٍ من الرّجل المسلم الثري عبد الرزّاق, الذي التقى بالشيخ في "كولمبو" عاصمة "سريلانكا"[4]، فتأثّر كثيراً بشخصيّتِه العلميّة القويّة، وأسلوب دعوته، ومساعيه الجميلة، ممّا طمحت نفسه إلى أن يزورَ جزيرة "موريشس" لتستفيد الجزيرةُ بقدومه الميمون، لبّى الشيخُ دعوتَه، ووَصل إلى الجزيرة فوجد فيها القاديانيّة ناشبة أظفارها في جسدِها الناعِم،

---

(١) ينظر: "حياة عليم رضا"، ص:٢٢. و"مبلغ إسلام" للأستاذ خليل رانا، ص:٢٧.

(٢) ينظر: "حياة عليم رضا"، ص: ٢٥.

(٣) جزيرة صغيرة تقع في شرق إفريقيا في المحيط الهندي، على بعد ٢٠٠٠ كم من الشواطي الجنوبية الشرقية للقارة الإفريقية, عاصمتها "بورلويس" ولغتها الرسمية: الإنكليزية والفرنسية وكريولية، كانت مستعمرة لبريطانيا، ثمّ استقلت عنها عام ١٩٦٨م.

(٤) "سِريلانكا" أو "سِري لانكا"، وكانت تُعرَف قبل ١٩٧٢م بـ"سيلان"، وهي جزيرةٌ كبيرةٌ في المحيط الهندي جنوب الهند، وهي دولة جزرية في جنوب آسيا، تبعد حوالي ٣١ كيلو مترا من السّاحِل الجنوبي للهند، عاصمتها "كولمبو".

فأنقذها بخطبه الجياشة بالإيمان، حتّى قضى على القاديانيّة, فأسلم على يدِه عددٌ كبيرٌ من القاديانيِّين وغيرهم(١).

وفي السفر نفسِه خطب خطبةً في قصر الشيخ المحمودي بعنوان: "وحدانيةُ الله"، وهي الخطبة التي سمعها المسلمون وغيرُهم، وأسلم كثيرٌ من الهندوس والمسيحيِّين، وكان قد حضرها الأمراءُ أيضاً, منهم الفرد كيلي وروزهل وغيرهما(٢).

وفي عام ١٩٢٩م سافر إلى "إينونْ"، حيث أسلم على يده عَامِلُ "فرنسا" السيِّدُ مِرْداتْ(٣).

وعام ١٩٣١م و١٩٣٢م سافر إلى "سِيلان" و"أندونوسيا" و"مالِيزيا" وجزيرة "مُوريشِس" و"ريونيون"(٤) و"مدغشقر"(٥).

وفي عام ١٩٣١- ١٩٣٢م سافر إلى "سِيلان" حيث قادَ حركة "اللافتة الخضَراء"، وسافر أيضاً إلى "سنْغَافورَة" حيث أصدرَ مجلّة باللُّغة الإنجليزيّة باسم "رئيل إسلام" (REAL ISLAM MAGAZINE)(٦).

وعام ١٩٣٣م سافر إلى "سِيلان" وأسّس "المدرسة العربيّة

---

(١) ينظر: "حياة عليم رضا"، ص: ٢٥ ـ ٢٦.

(٢) ينظر: "حياة عليم رضا"، ص: ٢٦.

(٣) ينظر: "حياة عليم رضا"، ص: ٢٥.

(٤) جزيرة فرنسية تقع في المحيط الهندي، على بعد ٦٥ كم من "مدغقشر" شرقا، وعلى بعد ٢٠٠ كم من جزيرة "موريشِس", أغلب سكانها المهاجرون من الهند والباكستان.

(٥) ينظر: "حياة عليم رضا"، ص: ٢٦. و"مدغشقر" دولة جزرية في المحيط الهندي قبالة الساحل الجنوبي الشرقي لإفريقيا، ولغتها الرسمية فرنسية وملغاشية.

(٦) ينظر: "حياة عليم رضا"، ص: ٢٦.

الغفوريّـة" (AL- GHAFOORIA ARABIC SCHOOL)، وفتح فروعا عديدة لجمعية الدعوة الإسلامية في سِيلان، وأيضا سافر إلى بلاد الحرمين الطيبين، حيث ساهَم في تأسيس دار للأيتام في المدينة المنوّرة(١).

وعام ١٩٣٤ ـ ١٩٣٥م سافر إلى سِيلان, وجنوب إفريقيا, وإفريقيا الشّرقية, و"زنجبار"(٢).

وعام ١٩٣٥م سافر إلى "جنوب إفريقيا" وألقى عدةَ محاضراتٍ في جامعة (With Waters Rand)(٣).

ثمّ قصد إلى "زنجبار" ومنها إلى "دار السّلام"، ثمّ إلى "مَمباسَه"، حيث التقى بالمفكّر الغربي الشّهير البروفيسر الدّكتور جورج بَرنَادْشَا (George Bernard Shaw)(٤) في ١٧ إبريل ١٩٣٥، وجرتْ بينهما مكالمة تاريخيّة باللّغة الإنجليزيّة حولَ "أحقيّة الإسلام" ممّا اضطرّ بَرْنَادْشَا بتسليم الحقائق عن الإسلام، التي كان يجهلها(٥).

وعام ١٩٣٦م سافر إلى دُول جنوب شَرق آسيا، فأقام مدّةً في الهند, و"الهند الفرنسيّة" و"الهند الصينيّة" و"الغرب الصينيّة" و"هُونْغ كُونْغ",

(١) ينظر: "حياة عليم رضا"، ص:٢٧. و"مبلغ إسلام" للأستاذ خليل رانا، ص:٣٤.

(٢) ينظر: "حياة عليم رضا"، ص: ٢٧. و"زنجبار" اسم يُطلق على مجموعة من الجزر الواقعة في المحيط الهندي التابعة لتنزانيا في شرق إفريقيا، تتمتّع بسُلطةٍ ذاتيةٍ واسعةٍ.

(٣) ينظر: "حياة عليم رضا"، ص: ٢٩.

(٤) هو مؤلف وأديب أيرلندي شهير، ولد في "دبلن"، ثمّ انتقل إلى "لندن" في العشرينات من عمره، يُعدّ كاتبا قديرا في اللغة الإنجليزية، وكان أوّل نجاحاته بالنقد الموسيقي والأدبي، لكنه انتقل إلى المسرح فألف أكثر من ستين مسرحية، مات في ١٩٥٠م.

(٥) ينظر: "حياة عليم رضا"، ص: ٢٩.

و"شِنكائي" و"بَيجنغ"[1].

وفي السّنة نفسها قصد "اليابان" وخطب في كثيرٍ من المؤتمرات والمجالس بعناوين مختلفة، منها خطبتُه الشّهيرة بعنوان: "مكانة المرأةِ في الإسلام"، ومن "اليابان" وصل إلى " مصر " حيث نزل ضَيفاً لدَى مؤسِّس "إخوان المسلمين" الرجل الغيور حَسَن البَنّا[2]، ومعه قام بجولةٍ في مصر كلّها, يخطب الاجتماعاتِ ويشارك في البرامج الدينيّة[3].

ثمّ غادَر إلى "الشّام" و"العراق" و"لُبنان"، ثمّ إلى "تُركيا"، ومنها إلى أوربّا، وأثناء إقامته في "إيطاليا" دعا بَابَا رَوم إلى المشارَكة في حركة الدّفاع ضدّ اللادينيّة[4].

ومن "إيطاليا" توجّه إلى "أسبانيا"، ومنها إلى "ألمانيا", ثمّ إلى "هولندا"، فـ"أمريكا الشّمالية"، ومنها إلى "الولايات المتحدة الأمريكيّة".

وأثناءَ أقامتِه في إحدى مُدن الولايات المتحدة "شَكَاغُو" أسلم على يدِه ثمانيةُ أشخاص، وخطب يوماً في إحدى قاعةِ مدينة "نِيُويَارْكْ" بعنوان: "الإسلام حقٌّ" وما أن انتهت الجلسةُ حتّى أسلم ١٩٢ أمريكيّاً، بينهم العالم الشّهير السيّد جُورْجْ إينتَنْ بيوف وزوجتُه، وفي واشِنْطَن ألقى عدةَ خطبٍ

(١) ينظر: المرجع نفسه، ص: ٢٨.

(٢) هو الشيخ الجليل، والقائد الإسلامي العظيم حَسن البَنّا من الطريقة الشّاذلية، اشتهر بالوهّابي لأغراض سياسية، والأمر أنّه من أهل السنّة والجماعة، أراد تأسيسَ جماعةٍ تنفّذ ما قال الله ورسوله ﷺ، وترفض الإلحاد، إلا أنّها بعد حِقبةٍ من الزمن بدأت تزلُّ أقدامُها عن مسارها الصحيح المعتدل في بعض الأحايين.

(٣) ينظر: "حياة عليم رضا"، ص: ٢٨.

(٤) ينظر: المرجَع نفسُه، ص: ٢٨.

في المؤسَّسات التعليميّة المختلفة, مما أسلم ستٌ وثلاثون بروفيسراً مع أهالِيهم، كما أسلَم طالبٌ في "جامعة مشيغان" الأمريكيّة[١]، وأصدَر مجلة إسلاميّة تحت إشرافِه باسم: "العالم الإسلامي وأمريكا" (THE ISLAMIC WORLD AND U. S. A) والتي لا تزال تصدر إلى مدةٍ طويلة[٢].

سافر إلى "كَندَا" وألقى عدةَ خطبٍ ومحاضراتٍ في كليّاتِها وجامعاتِها عن الإسلام، وأقام مدّةً في "مونتريال"[٣].

وفي عام ١٩٣٧م سافرَ إلى المملكة السّعودية العربية، والتقى بالملك ابن سعود في مكّة المعظمة، وباحث معه في القضايا التي كان مسلمو أوربا الجدد يشتكون منها أثناء الحج والزيارة[٤].

وبين عامَي ١٩٣٨م – ١٩٣٩م سافر إلى "سِيلان" و"موريشس" و"رينون" و"إفريقيا الشرقية" وقام في هذه الدول بخدمات عظيمة في مجال الدعوة والإرشاد[٥].

في عام ١٩٤٥م سافر إلى بلاد الحجاز، حيث التقى بزعماء العالم المسلمين، وناقش معهم في قضايا المسلمين, وفي السّنة نفسها رجع إلى الهند، والتقى بـ"جواهر لعل نِهْرُو" ورفع أمامه صوت الاحتجاج ضدّ القمعية التعسفية التي قام بها المتطرّفون الهندوس مِن قتل المسلمين،

---

(١) (UNIVERSITY OF MICHIGAN) جامعة أمريكية تأسّست عام ١٨١٧م.

(٢) ينظر: "حياة عليم رضا"، ص: ٢٨ – ٢٩.

(٣) ينظر: المرجَع نفسُه، ص: ٢٩.

(٤) ينظر: "حياة عليم رضا"، ص: ٤٦.

(٥)ينظر: المرجَع نفسُه، ص: ٤٦.

ونهب أموالهم، وإحراق بيوتهم، وما إلى ذلك من المساوي التي تعرّضَ لها مسلمو الهند، كما خاطبَ في عِدّة مدن هندية من "ممبئي" و"مدراس"، وشجّعهم على مقارعة الظروف بالصبر والإيمان[١].

وبين عامَي ١٩٤٦م - ١٩٤٧م انضمّ في الحركة النضالية التي طالبت بشدّة تأسيسَ دولةٍ إسلاميةٍ جديدةٍ على خارطة العَالم باسم "الباكستان"، في هذا الصدد شارك في "المؤتمر السُنّي لعموم الهند" الذي انعقد في مدينة "بَنارَس" الهندية عام ١٩٤٦م، ودعا فيه إلى ضرورة تأسيس الباكستان، كما دافع عن نظريته هذه داخل الهند وخارجَها، وعرضها على زعماء العالم ليُلفِت انتباههم إلى هذا الجانب، وقد كلّل الله تعالى جهوده وجهود غيره من الناشطين بالنّجاح، وأنشأت جمهورية الباكستان الإسلامية، وانتقل الشيخ من الهند إلى مدينة "كراتشي"، وصلّى بالنّاس أوّل صلاة العيد بعد التأسيس، وخلفه القائد السياسي الكبير محمّد علي جِناح، وغيره من الزعماء والقادة، وقد أصرَّ الشيخ في خطبة العيد هذه على ضرورة نفاذ الشريعة الإسلامية في الباكستان[٢].

بين عامَي ١٩٤٨ ـ ١٩٤٩م سافر إلى "سِيلان"، و"إندونيسيا" و"ماليزيا"، و"موريشس".

وفي عام ١٩٥٠م نهض الداعية من بساط الدّولة الجديدة جمهورية الباكستان الإسلامية، ليُوصِل نور الإسلام في كلِّ بقعةٍ من العَالم، فقد أخذ جولة نادرة حول العالم، من بورما وماليزيا، وإندونيسيا، وتائيلندا،

---

(١) ينظر: "حياة عليم رضا"، ص: ٤٨.

(٢) ينظر: المرجع نفسه، ص: ٤٨ ـ ٥١.

وفيتنام، والصين، وفلبائن، وسريلانكا، وموريشس، مدغقشر، وبرتغال، وإفريقيا الشرقية، وكينيا، وتنزانيا، ويوغندا، وبلجيم، وكانغو، وبلاد الحجاز، مصر، وسوريا, وفلسطين، والعراق، وفرنسا، وبريطانيا، وجزر غرب الهند، وغانا، وإمريكا، وكندا، وغيرها من دول العالم(١).

ولا شكَّ أنّ جولته الدّعوية هذه كانت جولة مثالية قلما تجد لها نظيرا في التاريخ الجديد، وقد أثمرت جهوده الدّعوية في هذه الدول بأن أسلم الآلاف من الكفّار(٢).

في هذه الجولة قام الشيخ بإلقاء محاضرات قيّمة مفيدة أسلمَ بها عددٌ لا يحصى من الكفّار، وهي التي سجّلت، وبعض منها طبعت ونشرت في العالم باللغة الإنجليزية وغيرها من اللّغات العالمية والمحليّة، فقد ألقى محاضرةً تاريخيةً في "واشِنطن" عام ١٩٥٠م باللّغة الإنجليزية بعنوان: (Soulution Of Mans Problems) (السبل إلى حل الأزمات الإنسانية)، كما نشرت محاضرة من إذاعة "زنجبار" الإفريقية في نيسان عام ١٩٥٢م، بعنوان: (How To Face Communism)، (كيف يمكن أن نواجه الاشتراكية؟)(٣).

وفي عام ١٩٥٢م قصد إلى جنوب إفريقيا، حيث أقام فيها ستة أشهُر(٤)، وأنجز في عاصمتها ومدنها الرئيسة أعمالاً دعوية عظيمة.

ويبدو أنّ سفره هذا كان من أواخر أسفاره الدعوية، كما يتّضح ذلك

(١) ينظر: "حياة عليم الرضا"، ص: ٥٤.
(٢) ينظر: المرجع نفسه، ص: ٥٤.
(٣) ينظر: "حياة عليم الرضا"، ص: ٥٤.
(٤) ينظر: "سلطنت مصطفى كا سفير"، ص: ٥٧ و ٦٥.

من خلال كلمته التي ألقاها في الحفلة الوداعية ١١ يناير عام ١٩٥٣م في "دَربَن" قبل مغادرته البلاد، وهي التي يقول فيها: "اعتقد أنّه حان أجلي، فإني رجل كبير السن، فقد أنجزت عملي، وأرجو منكم أن تدعوا لي أن يُوصِلَني ربّي إلى المدينة المنوّرة قبل أن أموتَ، ويا ليتني! لو أدفن فيها"(١).

وقد وَفى الله تعالى ما تمنّاه، فقد مكّنَه من الإقامة في المدينة المنوّرة بعد حياةٍ حافلة على مدى أربعين سنةً، حيث تنفسّ أنفاسه الأخيرة وارتحل من الدّنيا الفانية إلى الحياة الباقية في ٢٣ ذي الحجّة عام ١٣٧٣هـ/٢٢/ آب/ أغسطس عام ١٩٥٤م، ودُفِنَ في جنّة البقيع، رحمَه الله رحمةً وَاسِعةً.

نتيجة جهوده الدعوية في أرجاء العالم المعمورة:

لو نظرنا في جهوده الدّعوية الرّامية في أرجاء العالم المعمُورة وجدناها مباركة مشكورةً، تُذكّرنا بالرّعيل الأول من أولي العزم الذين كانوا لا يرجعون من جهادِهم إلاّ بالظفر المبين، ولا يقدمون على معمورةٍ إلّا ويجعلونها خاضعةً لله ورسوله صلى الله عليه وسلم.

كذا الحال لشيخنا الداعية العظيم والمفكر الجليل نائب رسول الله صلى الله عليه وسلم على هذه الأرض سيّدي محمّد عبد العليم الصّديقي الميرتي القادري، الذي إن دخل قرية مظلمة نوّرها بأنوار الإسلام، وإنْ دخل قريةً جاهلة ملأها بأنوار العلم والعرفان، بركاته تسع المدن والأرياف، وخدماته وحده تفوق المئات والآلاف.

وبالتالي تابَ آلافٌ من المسلمين، وأسلمَ آلافٌ من الكفّار، وهلكت القاديانيةُ، وتذابلت الاشتراكية، وانكسرت الإلحادية المادّية، وعُمِّرت

(١) ينظر: المرجع نفسه، ص: ٦٦ - ٦٧.

الأرض بالمساجد، وتزيّنت بالمدراس والكليات والجامعات، وأصدرت الجرائد والمجلات، وافتتحت المنظمات والهيئات لحل قضايا النّاس وشئون البلاد،... وما إلى ذلك من أمور استفاد بها الخلقُ على حَدٍّ سواء.

يقول صهره الدّكتور فضل الرّحمن الأنصاري، الذي كان من المقرّبين إليه، فقد صحبه في أسفاره الدّعوية حول العالم أكثر من ٢١ سنة، ورآه عن كثب ولاحظ أعماله على مهل، واستوعب أعماله الدعوية بدقة، فهو يقول: (إنّ مواعظه الحسنة قد نضّرَ إيمان مئات الآلاف من البشر، وآلاف منهم تابوا، ومئات من الكفّار أسلموا، فيهم عالم أمريكي الدكتور جورجْ إينتونوف، وقد اقتبست الهيئات الدينية المتعددة في عديد من الدول نورا من إرشاداته وتوجيهاته، لتتمكّن من التقدّم بأعماله الدّعوية، وكاتب هذه الحروف قد تشرّف بصحبته أثناء أسفاره العالميّة، كما سعدتُ بتولي المسئوليات السكرتيرية في أيّامه الأخيرة نحو ٢١ سنة، ولهذا يمكن لي أن أقولَ على وجه البصيرة: إنّ أعماله الدّعوية المترامية على أربعين سنة لهو عمل عظيم)[١].

اختلف المترجمون للشيخ الدّاعِية في بيان عدد الذين أسلموا على يدَيه، فيقول قائلٌ منهم: إنّهم خمسة وأربعون ألفا، ومنهم مَن يقول: إنهم أكثر من خمسين ألفا[٢]، ويقول بعضهم إنّهم ستّون ألفا، ومنهم مَن يقدّر سبعين ألفا، والحقيقة أنّه ليست هنالك إحصائية دقيقة توضّح العدد الصّحيح بالدّقة المتناهية، وإنّما أسلمَ عددٌ كبيرٌ في دول العالم المختلفة، قد يقدّر سبعون ألفا.

---

(١) ينظر: مقدّمته على كتاب الشيخ الداعية "ذكر الحبيب"، مطبوعة المركز الإسلامي، كراتشي، ص: ٧.

(٢) ينظر: "تذكرة أكابر أهل السّنة"، ص: ٢٣٨.

والجديرُ بالذِّكر أنّ الذين تشرّفوا بالإسلام على يدَيه، ليسُوا من الطبقة الدّنيا والسُّفلى فقط، وإنّما هُم من جميع الطبقات، الفقيرة والغنية والمنبوذة والعليّة، والإسلام هو الذي سوّى بينهم كأسنان المشط، ووحّدهم على سُفرةٍ واحدةٍ، فكما أسلَم على يدَيه فقراء "فلبائن"، والجزر الإفريقية وغيرها، كذلك أسلَم الأغنياء والأمراء، والوزراء، والعلماء، وأربابُ النفوذ والسُّلطة، أشهرُهم:

١- عامِل فرَنسَا في "موريشِس"، السيّد مروات (GOVERNOR MERWATE TEFERNCH STATESMAN).

٢- ملكةُ "بورنيو"[١] غليدِي بالمارْ، (HER HIGHNESS PRINCESS GLADYS PALMER KHAIRUNNISA OF SARAWARK STAATEBORNEO).

٣- امرأةٌ من "ترينيداد" (TRINIDAD) السيدة فاطمة دُوناوًا (MURIFL DONAWA FATIMA)[٢].

٤- والعالم الأمريكي الشهير الدكتور صادق جورج إنْثونُوفْ[٣]، وغيرهم كثيرون.

* * *

---

(١) "بورينو" ثالث أكبر جزيرة في العالم، وأكبر جزيرة في آسيا، تقع شرقي "سنغافورة"، وهي مقسّمة سياسيًا بين أندونيسيا وماليزيا وبُروناي.

(٢) ينظر: "تذكرة أكابر أهل السّنة"، ص: ٢٣٨. و"تذكرة خلفاء أعلى حضرة"، ص: ١٥٨.

(٣) ينظر: مقدمة كتاب "ذكر الحبيب" للشيخ الدّاعية محمد عبد العليم، مطبوعة المنظمة الإسلامية العالمية، كراتشي، الباكستان، الطبعة الثانية عام ٢٠٠٧، ص: ٦.

المبحث الرّابع

جهوده الدّعوية ملأت الدّنيا نوراً وضياءً

- جهوده تفتّحت دول من إفريقيا زهرةً إسلاميةً
- جنوب إفريقيا
- جزيرة مورِيشِس
- موزمبيق
- بمساعيه أضاءَ الإسلام أقطارا من جنوب آسيا:
- إندونيسيا
- سنغافورة
- سِرِيلانكا
- فلبائن
- الهند الصينية
- اليابان

فيما مضى تكلّمنا عن أسفاره الدّعوية حول العالم حسب المراحل الزمنية، أما الآن فنحاول أن نسلّط الضوءَ على خدماته الدّعوية العظيمة في أقطار من العالم، حيث إنّه لم يرجع خاوي الوفاض[1] من أيّ بلدٍ قصده، بل ترك فيه بصمةً إيمانيةً لا يمكن أن تمحى آثارُها إلى يوم القيامة، فقد كانت هناك دولٌ لم تصل إليها كلمةُ الإسلام قبل وصول هذا الدّاعية العملاق، وكان أهالي تلك الدول

---

(١) كناية عن الإفلاس التام.

يعيشون حياة بدائية لم تتعرف على الثقافة ولم تتحضر بينما وصل الإنسان المتحضّر إلى القمر، كانت هذه الحالة إذ وصل الشيخ الداعية فأخرج أهاليها من بحر الظلمات إلى النّور.

بجهوده تفتّحت دولٌ من "إفريقيا" زهرةً إسلاميةً:

ممّا لا شَكَّ فيه أنّ قارة "إفريقيا" غنية بالموارد الطبيعية من ثروات معدنية ونباتية وحيوانية وغيرها، ولكنّها مع ذلك وللأسف تُعَدّ أفقر القارّات؛ وذلك لأنّها تعاني من أمراض سياسية كثيرة، أغلبُها تَفِد إليها من أوربّا الطامعة في ثرواتها، ممّا تحدث في أغلب الأحيان الفوضوية القانونية، ويَعَمُّها الظلم والفساد، وتسودها الاضطرابات العرقيّة والتمييزات العنصرية، التي تكاد تُنقِض ظهرَها، وتؤخرها سنواتٍ.

وَصل الشيخ غضون الثلاثينيات من القرن السابق في دولٍ عديدة من هذه القارّة التي كانت مضطربة سياسياً واجتماعياً وعقيدةً، فبذل فيها جهوده الدعوية والإصلاحية الحثيثة المباركة، فدخل الناس في دِين الله أفواجا، وتفتّحت تلك الدول زهرةً إسلاميّة تبهر الناظرين.

ومن تلك الدّول التي قصدها الشيخ القادري: جزيرة موريشِس، وجنوب إفريقيا، وزنجبار، وموزمبيق، وكينيا وغيرها, وفي السطور التالية سندرس خدماته بالتفصيل في بعضٍ منها.

"جنوب إفريقيا":

هي دولةٌ سَاحليّة تقعُ في شرق "إفريقيا" ولَقد مَرّتْ بظروفٍ حرجة سياسيا واجتماعيا، إلى حقبةٍ طويلةٍ من الزّمن؛ فقد طَالَ عليها كابوسُ

الاستعمار، والتمييزات العُنْصرية رَبضتْ عَليها، والإنسانية تمزّقتْ إربا إربا، وأقدارُها رَاحَتْ ضَحِيةً لهوى الإنسان الطامِع في ثروات الآخرين، ولم يكن المسلمونَ فيها إلا قليلا، وكان أغلبهم من أصول هنديةٍ، ولم تكن المدراس والمراكز الإسلامية فيها إلاّ قليلا نادرا.

في مثل هذا الوقت العصيب دعاه تلميذُه الرّشيد السيّد محمّد المكّي الذي نزل إليها من "مِيرت" الهند، وكان متحمّساً بشئون الدّعوة والتبليغ، ففتح مكتبةً باسم MACCKI PUBLICATION واشترى مطبعاً، لنشر المطبوعات الإسلامية، ودعا شيخَه لافتتاحها[1].

على دعوةٍ من تلميذه وصل الشيخ إلى جنوب إفريقيا عام ١٩٣٤م، وكانت جولته هذه قصيرة المدى، ولكنّها كثيرة الفوائد، فإنه ألقى محاضرات عديدة، وأشارَ على تلميذِه محمّد مكّي بنشر مجلّة إسلامية وطبع كتبٍ دينية[2]، وغير ذلك من أعمال، فكأنّه نصب بهذا حجرَ الإسلام فيها، ونفخ فيهم روح الأمل والحياة، ثمّ غادرها إلى دول أخرى إنجازاً لمهمّته الدّعوية.

وبعد سنةٍ من هذه الجولة القصيرة وصل إليها ثانية عام ١٩٣٥م، وألقى عِدّةَ محاضراتٍ في جامعةِ (With Waters Rand)[3]، وقام بأعمالٍ دعويةٍ أخرى، ثمّ لم يتوجّه إليها إلاّ في عام ١٩٥٢م كما ذكر الشيخ نسيم أشرف الحبيبي، قائلاً: "إنّه وصل إلى "جنوب إفريقيا" عام ١٩٥٢م بعد جولته العالمية"[4].

---

(١) ينظر: "سلطنت مصطفى كا سفير"، ص: ٤٢.

(٢) ينظر: المرجَع نفسُه، ص: ٤٢.

(٣) ينظر: "حياة عليم رضا"، ص: ٢٩.

(٤) ينظر: "سلطنت مصطفى كا سفير"، ص: ٥٧.

ولم أجد أحداً من المترجمين له مَن يذكر أنّه سافَر إليها بعد ١٩٣٥م وقبل ١٩٥٢م، وربّما سافرَ ولكنّه لم يسجّل؛ إذ إنّه لم يصِل إلينا من أحوال أسفاره العالمية إلاّ نزرا يسيرا.

وقد أقامَ الشيخ هذه المرّة ستّة أشهُر، ووسّع مجالَ دعوته إلى مدنها الرئيسة، من "دَربَن" و"كيب تاؤن" و"بورت الزابث" و"اليدِي اسمث" وغيرها من المدن والقُرى، وأثناء إقامته أنجز أعمالاً عظيمة، منها:

١. قام بتأسيس "المركز العالمي لخدمة الإسلام" (INTERNATIONAL ISLAMIC SERVICE CENTER) في "دَربَن"[١].

٢. أصدرَ مجلّة إنجليزية شهيرة (THE MUSLIM DIGEST) وفوّض إدارتها إلى الكاتب الإنجليزي تلميذه الرّشيد محمد مكّي، الذي أدّى مسئوليتَّه هذه نحو سبعين سنة، إلاّ أنّ المجلّة توقفت بوفاته[٢].

٣. فاوَض وزارة التعليم والتربية لحكومة "جنوب إفريقيا" على تدريس الموادّ الإسلامية في مدارسها الرّسمية، وقد نجح في إقناع الحكومة بمشروعه هذا، فقد قامت الحكومة بتنفيذ المنهج الدّراسي الإسلامي الذي أعدّه الشيخ وقدّمَه إلى الحكومة[٣].

٤. وقد استفاد مسلمُو "جنوب إفريقيا" كثيرا بهذا القرار المفيد النافع.

٥. ساهمَ في الجهاد ضدّ النظام العِرقي والعنصري، وكبح الظلم والعدوان، وإقامة العدل والإنصاف، ورفع رأس الإنسانية، ومما

(١) ينظر: "حياة عليم الرضا"، ص: ٢٧.

(٢) ينظر: "حياة عليم الرضا"، ص: ٢٧. و"سلطنت مصطفى كا سفير"، ص: ٥٩.

(٣) ينظر: "سلطنت مصطفى كا سفير"، ص: ٥٩.

يدلّ على ذلك خطبُه الجريئة في أرجاء "جنوب إفرقيا" منها خطبتُه المثالية التي ألقاها في "دَربَن" بعنوان: "مكانة الإنسانية"[١] حيث رفض فيها التمييزات العنصرية بجميع أشكالها رفضا باتّا، ووضّح أن التفريق بين الأسود والأبيض، وبين الغنيّ والفقير خلافٌ للإسلام والإنسانية.

٦. دعا المسلمين الهنود من التجّار الذين كان العُمّال السُّود يتوظّفون لدَيهم إلى الإحسان بهم، والتعامل معهم بالمساواة، كما حثّهم على تلقينِهم بتعليمات الإسلام ومبادئه، من الطهارة، والعبادة وغير ذلك.

وبالتالي قدّمَ الشيخ لهذه الدولة الساحلية خدمات جليلة الشأن على مستويات عديدة من المجتمع والسياسة والدِّين، وألقى فيها بذورا أولى للحرية واحترام الإنسانية، وقرعتْ خطباتُه أسماع النّاس، فأسلمَ كثير من المسيحيين وغيرهم، وأحسنَ الآخرون من النّاس ظنَّهم عن الإسلام، واقتربوا منه، وإن لم يعتنقوه، يقول الأستاذ إرشاد أحمد العليمي: "إنّ خطبات الشيخ في "جنوب إفريقيا" قد خلقت وعياً إسلامياً في أرجائِها كلّها، مما اعتنق الإسلامَ كثيرٌ من الأوربيين"[٢].

بعد قضاء الشهور الستّة الحافلة بالحيوية والنشاط، والخيرات والبركات انطلقَ الشيخ في ٢٣ يناير عام ١٩٥٣م إلى وطنه، وقبل أن يغادرها انعقدت تكريماً له وحفاوةً به حفلة وداعيّة في ١١ يناير عام ١٩٥٣م، في قاعة "ايولون" التي خاطبَ فيها قائلاً: "عليكم أنْ تستيقظوا

---

(١) ينظر: المرجَع نفسُه، ص: ٥٦.

(٢) ينظر: "حياة عليم الرضا"، ص: ٢٧.

صباحا مبكرين، واغتسلوا والبسوا ملابس نظيفة، ثمّ اذكروا اللهَ، وادعوه أن يهديَكم الصّراط المستقيم"[١].

ونصح المسلمين أن يواظبوا على الصّلوات الخمس وقال: "كلّ زعيم وطني يقول لقومه: تقدّموا إلى الأمَام وتقدّموا ولا تنظروا إلى الخلف، وأنا أقولُ لجميع السّامعين لي أن ينظروا إلى الخلف، ويتقدّموا إلى الله، وعليكم بالدّين القديم، واتباع السّلَف، سيقبّل النجاح أقدامَكم"[٢].

ثمّ قال: "بلّغوا هذه الدنيا المضطربة، وبلّغوها مرّةً بعد مرّةٍ، أنّه بذكر الله تطمئن القلوب"[٣].

وقال: "أعتقد أنّه حانَ أجلي، فإنّي رجل كبير السّن، فقد أنجزتُ عملِي، وأرجو منكم أن تدعوا لي أن يُوصِلَني ربّي إلى المدينة المنوّرة قبل أن أموت، ويا ليتني! لو أدفَن فيها"[٤].

وقعت هذه الكلمات صاعقةً على قلوب المحبّين له، فقد قالوا "آمين!" وانفجروا باكِين[٥].

جزيرة موريشِس(MAURITIUS):

هي جزيرة صغيرةٌ تقعُ في شرق إفريقيا في المحيط الهندي، تتشكّل أغلبية سكانها من المهاجرين الهنود وغيرهم، وكانت قد ترنّحت تحت وطأة الاستعمار البريطاني حتّى استقلّت عام ١٩٦٨م, ومن حُسن

(١) ينظر: "سلطنت مصطفى كا سفير"، ص: ٦٦.
(٢) ينظر: المصدر نفسه، ص: ٦٦.
(٣) ينظر: "سلطنت مصطفى كا سفير"، ص: ٦٦.
(٤) ينظر: المصدر السّابق، ص: ٦٦ - ٦٧.
(٥) ينظر: المصدر السّابق، ص: ٦٧.

حظّها أنّها تشرّفت بقدوم الشيخ محمّد عبد العليم القادري الميرتي، الذي قدّم لهذه المنطقة خدماتٍ مثاليّة ممّا اخضرّت الجزيرة وسَادَها الأمن والوئام، كما نرى رئيس الوزراء لجزيرة "موريشِس" السيّد رام غلام يعترف بجهود الشّيخ الميرتي، التي بذلها في بلاده، في إحدى خطاباته بمناسبة حفلة المولد النّبوي الشّريف قائلاً: "هذه منطقة آمنة وهادِئة ويرجع فضل أمنِها وهدوئِها إلى الشيخ عبد العَليم الصّدّيقي الذي لقن مواطنِي هذه المنطقة دروسَ الصبر والأمن والسّلام بمساعِيه الدّعوية وتعليماته الأمنية"[1].

وَصل الشيخ الميرتي إلى هذه الجزيرة في كانون الأوّل/ ديسمبر عام ١٩٢٨م، داعيا إلى الله ونائبا لرسول الله صلى الله عليه وسلم، ومنذ تلك اللحظة تواصلت جهوده وخدماته في هذه الجزيرة على مستويات عديدة، فقد أنقذها من القاديانية التي كانت قد أنشبت أظفارها في جسدها الناعم، وألقى في أرجائها المختلفة محاضرات علميّة قيّمة، ودعا النّاس فيها إلى التمسّك بالله الواحد، وشرح لهم الدّين الحنيف، ودَافع عن عقيدة التوحيد الخالصة، ونظّم الهيئات الدينية، ووضع أحجار الأسُس للمساجد ومراكز التعليم والتثقيف، وغير ذلك من أعمال، وأسّس جمعية دينية باسم "حزب الله" كما قام بتأسيس "الندوة القادرية لإشاعة الإسلام"، وقد تولّت هذه النّدوة بنشر الفكر الإسلامي، يقول الأستاذ إرشاد أحمد العليمي: "إنّه بدأ سلسلة من خطاباتِه في طول البلاد وعرضِها حتى وصلتْ رسالةُ الإسلام في كل بيت من هذه الجزيرة"[2].

---

(١) ينظر: الجريدة اليومية "جنك" الصّادرة من كراتشي، في ٢٧ شباط عام ١٩٧٨م، نقلا عن كتاب "مبلّغ الإسلام العلامة عبد العليم"، ص: ٦٦.

(٢) ينظر: حياة عليم الرضا، ص: ٢٧.

هكذا تتنوّع خدماتُ الشّيخ في هذه الجزيرة، من نشر الدّين الإسلامي، ونشر ثقافته المُضِيئة، والقيام بالخدمَات الإنسانية، والترقي بمستوى النّاس الثقافي والتعليمي والاقتصادي وغير ذلك، وعلى هذا فلم يكن الشيخ داعيا محضا، يُقدّم الإسلام على النّاس، ثمّ يترك وشأنَهم، وانتهى دوره، لا بل أدّى دورا قياديا، وقف بجانبهم في ظروفهم الحرجة وساندهم في كلّ الأحوال، ذكرَ الأستاذ إرشاد أحمد العليمي أنّه ترأسَ وَفدا من المسلمين على الوزير المالي للجَزِيْرَة، وقدّم عليه قضايا المسلمين، مما اضطرّ الوزير إلى تسليم عدّة متطلّبات، وحينما قامَ المسلمون بتأسيس دَارٍ للأيتام جَادت الحكومة بمالها عليها(١).

ونتيجة لجهوده المباركة قد تاب المسلمون ورجعوا إلى الله، ووَاصَلوا مسيرتَهم الإيمانية من جديد، كما أسلمَ كثيرٌ من المرزائيين، والمسيحيين، والهندوس، وامتلأت الجزيرة نورا وضياءً.

لقد شَرّف الشيخ هذه الجزيرة بقدومه الميمون أربع مرّات، كانت زيارته إليها لأوّل مرة في كانون الأول/ ديسمبر عام ١٩٢٨م، بدعوةٍ من التجّار، وعلى رأسهم الرّجل الدّيني المتحمّس الثّري الأخ عبد الرزّاق الذي سمعه في "كولومبو" عاصمة "سِريلانكا" فدعاه إلى جزيرة "موريشِس"، وكان سفره من "كولومبو" إلى ميناء "لويس" بالباخرة(٢).

أمّا السّفر الثاني لهذه الجزيرة فكان في ٢٦ أيلول/سبتمبر عام ١٩٣١م، فقد وصلَ إليها من "إندونيسيا" مباشرةً، وقادَ حركة المسلمين التي كانتْ تسعَى للحصول على حقوقهم الوطنية، وكان قد صادفه شهر

(١)ينظر: "حياة عليم الرضا"، ص: ٢٧.

(٢) ينظر: "حياة عليم الرضا"، ص: ٢٧. و"سلطنت مصطفى كا سفير"، ص: ٥٠.

المحرّم الحرام، فاهتمّ الناس بسلسلة من محاضراته من أوّل الشّهر إلى يوم العاشورة بعنوان: "شهادة سيّدنا الإمام الحسين رضي الله تعالى عنه" حيث ركّزَ الشيخ فيها على الدروس المستفادة من تاريخ الأمّة، وكانت تُنشَرُ تلك المحاضرات من الإذاعة المحلّية لموريشِس يوميّا يَسمعُها المسلمون والكفّار على سواء[1].

والمراسَلةُ الصّحفية التي أرسلها الأخُ التاجرُ شيخ يعقوب رمضان، من ميناء "لويس" جزيرة "موريشِس" بعنوان: "الإسلام يضيء جزيرة "موريشِس" وربّان باخرةٍ يعتنق الإسلام" تُسلّط الضوء على خدمات الشيخ في هذه الجزيرة، كما تنشرُ جريدة "الفقيه" الصّادرة من "أمْرَتْسَر" تلك المراسلة في ١٤ آذار عام ١٩٣٢م، ونصُّ المراسَلة كالآتي: "إنّه لتنزل البركات العَجيبة في جزيرة "موريشِس" كلّها بقدوم الشيخ الشاهْ عبد العليم الصديقي الميرتي، فقد انتظمت الجزيرة كلّها في جمعيةٍ متّحدة، ومساجدُها التي كانت مهجورةً فقد امتلأت بالمصلّين، والأمكنة التي كانت محرومةً فقد عُمّرت عليها المساجدُ، كثير من غير المسلمين يختلفون إليه لسماع محاضراته، ويُسلِم منهم مَن يوفّقه الله تعالى به، وقد اعتنق عددٌ كثيرٌ من المسلمين والهندوس رجالا ونساءً، ومن جملتهم الربّان الإنكليزي الذي نزل من باخرةٍ على ميناء "لويس" في ٦ يناير عام ١٩٣٢م، فقد جاء ليزورَ جامع "لويس" الجميل، فصادف له أن التقى بالشيخ الدّاعية الذي قدّم عليه الإسلام من خلال حديثه العذب الجذّاب، ممّا لم يتمالك ذلك الرّبان إلّا أن أسلمَ فرحاً وسعيداً، سمّاه الشيخ بـ"عبد الله" وكان اسمه الإنكليزي "ريغانالد إيغلي" وأخذ منه توقيعا على وثيقة العهد، وأعطاه "شهادة

(١) ينظر: "سلطنت مصطفى كا سفير"، ص: ٥١.

الدّخول في الإسلام" المطبوعة، اللهم ثبّته على الإيمان"[١].

والسفر الثالث لهذه الجزيرة كان في عام ١٩٣٩م، وقد أنجز الشيخ هذه المرّة مهمّة عظيمة، وهي أنه قدّم لحكومة "موريشِس" القوانين الإسلامية المتعلّقة بالنكاح والطلاق والميراث وغير ذلك من أحوال الشخصية الإسلامية، وطالب الحكومة تنفيذها، كما سعى إلى جانب ذلك إلى تنفيذ قوانين الأوقاف الإسلامية المتعلّقة بالمساجد والمدارس والهيئات الإسلامية، وآثار المسلمين[٢].

أما السّفر الرّابع والسّفر الوداعي الأخير، فكان في شهر أيار عام ١٩٤٩م حيث أقامَ فيها لمدّة ثلاثة أشهُر، ثمّ غادَرها في ١٢ آب/ أغسطس عام ١٩٤٩م والنّاس يودّعونه وقلوبهم تكاد تتمزّق حزناً وأسفا، وعيونهم تنفجر بكاءً، ودموعهم تبلّل صدورهم، وقبل أن يغادرها اهتمّت "النّدوة القادريّة لإشاعة الإسلام" بانعقاد حفلةٍ وداعيةٍ في ٧ آب/ أغسطس في المسجد الجامع، شارك فيها ما يقارب عشرة آلافٍ من المسلمين المحبِّين للشيخ، نصحهم فيها للخير والرّشاد، ودعاهم إلى إقامة صندوق ماليٍّ للدّعوة والإرشاد، فلبّى الناس دعوتَه وبدءوا يجمعون تبرّعاتهم فوراً[٣].

وبالجُملة لقد تأثرت الجزيرة بالشيخ كثيرا، فقد جعله أهاليها نموذجا حيّا يقتدون به في سلوكهم وأعمالهم، وأكثروا من تسمية أبنائهم باسمه

---

(١) ينظر: جريدة "الفقيه" الصّادرة من "أمرتسر"، ولاية "بنجاب"، الهند، في ١٤ ماريس ١٩٣٢م.

(٢) ينظر: "سلطنت مصطفى كا سفير"، ص: ٥٣.

(٣) ينظر: المرجَع نفسُه، ص: ٦٩.

"عبد العليم" وتمسّكوا بما نصحهم، يقول الشيخ شميم أشرف الأزهري: "لم أرَ في غير هذا الموضع أنّ المسلمين يستيقظون مبكرا، كما يستيقظ أهالي "موريشِس" متمسّكين بما نصحَهم الشيخ عند الوداع الأخير"(١).

تلقى الشّيخ الميرتي حبّا وحَفاوة بالغتين من أهالي "موريشِس" كما يتضح ذلك باستقبال النّاس عند سفره الرّابع إليها عام ١٩٤٩م، في حشد كبير من المشتاقين لرؤيته، ويقال إن المسيرةَ التي خرجت لاستقباله كانت مسيرةً كبيرةً جداً يقدّرها البعضُ ٢٨ ميلاً(٢).

موزمبيق:

دولةٌ من قارّة "إفريقيا" تقع على سواحِل بحر العرب، وتتمتع بجوّ جميل، وتزخر بالثّروَات الطبيعيّة، عَاصمتُها "مبوطو" ولم يكن الإسلام فيها غريبا، وإنما تعارف النّاس عليه بوصول العرب إليها، وممّا يُذكَر أنّه كان في عاصمتها جامع كبير بناه المَيمنيّون، وكان خطيبها أخو الدّاعية الكبير، الشيخ أحمد مختار الصّديقي(٣).

ولقدْ تشرّفت هذه الدولة الساحلية بقدوم الشّيخ محمّد عَبد العَليم الصديقي أيضاً، الذي أرشد الناس إلى الصّراطِ المستقيم، يتحدّثُ مولانا نسيم أشرف الحبيبي أنه وصل إلى قريةٍ من قرى "موزبيق" القريبة من عاصمتها "مبوطو"، والتقى فيها برجل كبير السن، الذي سأله عن وطنه بعد السلام وفاتحة من الكلام، فما أن سمع أنه من الهند تهللت أسارير وجهه

(١) ينظر: المرجَع السّابق، ص: ٦٨.

(٢)ينظر: "حياة عليم الرضا"، ص: ٥٢ – ٥٣.

(٣) ينظر: "سلطنت مصطفى كا سفير"، ص: ٤٣.

بشرا، وقال: وهل تعرف الشيخ محمد عبد العليم الصديقي؟ قلتُ له: نعم, فأخذ بيدي وجاء بي إلى شجرةٍ، وبدأ يسرد ويقول: لقد جاء -يريد الشيخ الداعية محمد عبد العليم الصديقي الميرتي- هنا وحيدا، وبدأ يتلو القرآن تحت هذه الشجرة، فخرج الناسُ رجالا ونساءً وأطفالا، واجتمعوا له، ثمّ بدأ يعظهم ويشرح لهم الإيمان بالآخرة، فبدأ المسلمون يبكون وتابوا على يدَيه، والكفّار نطقوا الشهادتين(١).

لفتَ الشيخُ انتباهَه إلى الطبقة المنهوكة من المسلمين الذين كانوا يسكنون في القُرى والأرياف، فقد حثّهم على اتخاذ التجارة، وأيقظ فيهم روحَ الحماس، ولقّنَهم دروسَ الصبر والاستقامة على الدّين، كما دعا التجّار الأغنياء إلى مساعدتهم(٢).

بمساعيه أضاءَ الإسلامُ أقطارا أخرى من العَالم:

الأولى: "إندونيسيا":

توجّه الشّيخ الدّاعية محمّد عبد العَليم الصّديقي الميرتي -نورّ الله تَعَالى مَرقدَه- إلى "إندونيسيا" راجعاً من بلاد الحرمين الشريفين عام ١٩٢١م، ثمّ تعاقبتْ زيارتُه إليها، وتكرّستْ جهوده الدعوية فيها، حتى غدتْ فيما بعد سبباً مُهمّا في توطيد الرّوابط الإسْلامية بين الباكستان و"إندونيسيا"، وتُذكّرنا دَائما بالوشائج الإيمانية والوُدّية بين البلدَين(٣).

---

(١) ينظر: "سلطنت مصطفى كا سفير"، ص: ٤٤.

(٢) ينظر: المرجَع نفسُه، ص: ٤٣.

(٣) ينظر: "حياة عليم الرضا"، ص: ٢٣.

لفتَ الشيخُ انتباهَه إلى هذه البلدة لأنّها كانت متعرّضة للحركات التبشيرية المسيحيّة، والهجمات الإلحادية كانت تضرب أكباد هذه البلدة، ممّا أقلقَ العلماءَ المسلمين ليصمدوا في وجه هذه الحركات التي كانت تريدُ دَحْرَ الإسلام والمسلمين، فتأهبُوا لذلك، ومن أهمّ هؤلاء العلماء الذين وقفوا في وجه التبشير والإلحاد، الدّاعية الكبير الشيخُ الجليل محمّد عبد العليم الميرتي الذي كرَّسَ جهودَه للردّ على جميع الفتن، وترك خدمات مثالية في هذه الدّولة لا يُمْكِنُ أن تُقدَّر بثمنٍ.

ومن جملة أعماله الدّعوية في هذه البلاد سعيُه إلى تأسيس مركز التبشير الإسلامي في "سرابايا" (جاوا الشرقية)، وذلك عند سفره الثاني عام ١٩٢٧م، وتشكيله "جمعية دينية" للتجّار الهنود، وهي التي كانت تقدّم مساعداتٍ مالية للدعوة والإرشاد، وتساند المسلمين الوافدين إليها من الهند، كما كانت تقيم الحفلات الدينية، وغير ذلك من أعمال وخدمات إنسانيّة وإسلامية[١].

سافر رئيس الباكستان السابق محمد ضياء الحقّ إلى "اندونيسيا" في نوفمبر عام ١٩٨٢م، ومعه نخبة من الصحفيين الكبار، منهم الصحافي الشهير والأديب المعروف السيّد مقبول جهانكِير الذي رأى فيها بأمّ عينَيه طلعات الشيخ الدّعويّة وخدماته المثالية، فكتب تقريرا نُشِرَفي جريدة "إمروز" الصادرة من مدينة "ملتان" الباكستانية في ٨ كانون الأول/ ديسمبر عام ١٩٨٢م، قال فيه: "... إنه أوّل داعية وصل إلى "سرابايا" المدينة الشرقية لـ"جاوا"، وقد صادف لي أن أقمتُ فيها يوما وليلة، شاهدتُ

(١) ينظر: المرجَع نفسُه، ص: ٢٤.

مع رئيس الباكستان جامعتَها الإسلامية، وصلّيتُ في جامعِها الجميل، وَوجدتُ الناسَ متمسّكين بالإسلام"[١].

ويقول أيضا: "إن الدّاعية عبد العليم الصديقي أسّس فيها مجلساً دعوياً، وجمعية لعلماء إندونيسيا باسم "نهضة العلماء"... وإنه بذل في هذه الأرض لتبليغ الإسلام وإشاعته كلّ ما كان في وسعه من قوّة جسميةٍ وروحيةٍ، تعلّم لغتَهم، ثمّ دعاهم إلى الحقّ في لغتهم،واستطاع أن يُخرج الآلاف من الاندونيسيين من ظلمات الكفر إلى نور الإسلام"[٢].

يكتب الأستاذ إرشاد أحمَد العَليمي نقلاً عن مقال المؤرّخ الباكستاني الشّهير العلّامة نور أحمد القادري، المنشور في جريدة "خدّام الدّين" الأسبوعيّة الصّادِرة في ٣ يوليو عام ١٩٧٠م: "لقد أدخلَ الشيخ في الإسلام خمسة آلاف من المسيحيين وأصحاب الأديان الأخرى، وجعلهم من أتباعه، حسب رواية تاريخية"[٣].

وعلاوةً على ذلك لو نظرنا في جهود الشيخ في هذه الدولة لوجدناها متراميةَ الأبعاد ومتعددة الجهات، فقد خاطب النّاس، وأسّس المنظّمات، وقاد الحركات الإسلامية، وسعى في الدفاع عن الدّين، وبلّغَ رسالتَه، وشارك في مؤتمرات وندوات، وقابلَ العلماء والرؤساء والقادة لحل قضايا المسلمين وترسيخ دعامة الإسلام في الدولة.

---

(١) ينظر: الجريدة اليومية "إمروز" الصادرة من "ملتان" الباكستانية في ٨ ديسمبر عام ١٩٨٢م، نقلا عن كتاب "مبلغ الإسلام العلامة محمد عبد العليم.."، ص: ٧١.

(٢) ينظر: المرجَع نفسُه.

(٣) ينظر: "حياة عليم الرضا"، ص: ٢٤.

يقول المؤرّخ الباكستاني العلامة نور أحمد القادري: إنّه عثر على صورة تاريخية تعود إلى سنة ١٩٥٠م، أيّام بحثه عن أعمال الشيخ، وكانت الصورة منشورة في إحدى جرائد إندونيسيا "بردمائيان"، وتكشف الصورة أنّ الشيخ الداعية واقفٌ مع أركان الوزارة الدّينية لإندونيسيا، وهم في استقباله إلى "إندونيسيا"، وكانت هذه آخر زيارة الشيخ إليها[١].

الثانية: "سِنغافورة":

"سنغافورة" من أجمَل البلاد، وأكثرها نظافة، سكّانها من أصول هندية وصِينية، والمسلمون هناك أقلية، لم يكن لهم شأن في هذه البلاد، بل كانوا يتعرّضون لأنواع من الضربات القاضية من قبل الاشتراكية، والمادّية، والقاديانية وغيرها من الحركات الهَدمية، حتّى زارها الشيخ الدّاعية وبذل فيها جهوده، لتجري المياه في مجراها الصّحيح، ويعود للأمّة المسلمة مجدها المفقود، ويصبح لهم شان يُذكَر.

فقد وقف في وجه الاشتراكية والقاديانية معاً، فأصدر مجلة شهريّة باللّغة الإنجليزيّة، عام ١٩٣٢م، وسمّاها "رئيل إسْلام" (REAL ISLAM MAGAZINE) (حقيقة الإسلام)[٢]، وأثناء مكوثِه في هذه البلاد عام ١٩٣٦م أصدَر مجلة أخرى باللّغة الإنجليزيّة وسمّاها: "THE GENUIN ISLSM"[٣]، وعنوان هاتين المجلتين يَدُلّنا على أنّه يريد التمييز بين الإسلام الحقيقي والإسلام المزيّف الذي يقدّمه القاديانيون، كما يريد التنبيه على أن الإسلام

---

(١) ينظر: المرجَع نفسُه، ص: ٢٤ ـ ٢٥.

(٢) ينظر: "مبلغ إسلام ..."، ص: ٣٤.

(٣) ينظر: المرجَع نفسُه، ص: ٣٩.

الحقيقي هو مضمون الأمن العالمي، والاقتصاد الرّاقي، وليست الاشتراكية المادّية التي لا تستطيع أن تنقذ نفسَها من أزمات اقتصادية.

كانت شخصية الشيخ في هذه البلاد وغيرها مهبط الخير والبركة ومركز العلماء والفضلاء، يتشرّفون بلقائه ويستفيدون بعلمه وفيوضه وبركاته، كما التقى به المحامِي الشّهير الهندوسيّ العَقيدة السَيِّد "سَتْشَنْدَرْ نَاتّه دَتْ" الذي حاورَ معه، ممّا أزال شبهاته حولَ الإسلام، فلمّا اطمئَنَّ قلبُه، بَادَر إلى اعتناق الإسلام في جموع حاشدةٍ في فِناء "مدرسة الجنَيد" وسمّاه الشيخُ بالاسم الإسلامي الجديد "سِراج النُّور دَتْ"(١).

الثالثة: سِريلانكا:

هي جزيرةٌ في المحيط الجنوبي، تقع في جنوب الهند، وتعرف الآن بـ"سِريلانكا" أو "سِري لانكا"، وهي جزيرة جميلة.

خدمات الشيخ الميرتي في هذه الجزيرة عظيمة، فقد وصل إليها عام ١٩٢٣م، وألقى فيها عدة خطب ومحاضرات، وفتح مراكز الدّعوة والتبليغ، ونشط بحركة اللّافتة الخضراء، وأسّس "المدرسة العربية الغفورية"، وسعى لتعمير المسجد الحنفي المَيمني في عاصمتها "كولومبو"، كما أدّى دوراً فعّالا في رأب الصدع بين الفئات المسلمة، ولمّ شملهم، وجمع كلمتهم، وتوحيد صفوفهم، ورفع شأنهم، وغير ذلك من أعمال(٢).

---

(١) ينظر: "مبلغ إسلام" للأستاذ خليل رانا، ص: ٣٤ ــ ٣٥.

(٢) ينظر: "حياة عليم الرضا"، ص: ٢٢ و٢٦ و ٢٧.

الرّابعة: جُزر فلبائن:

دولةٌ فقيرةٌ متخلِّفة تشتهرُ بكثرة تعرّضها للحوادث الطبيعية، وقديماً كان أكثر سكّانها مِن المسلمين، إلّا أنّ "أسبانيا" احتلّت جزرها، وأجبرتْ أهاليها على ارتدادهم عن الإسلام، فارتدّ ٨٠% أو ٩٠% منهم عن الدّين الحنيف، والذين نَجوا عن فتنة الارتداد آثرُوا حياةَ الغابات والبداوة، والعيش في الهجران والخمول على حياة الحضر والمدنية فِرارا بدينهم وعقيدتهم، كما اضطرّوا إلى النضال والكفاح أحيانا، ولكنهم لم يستسلموا لما أرادته الدولة الأسبانية القويّة الظالمة[١].

كانت هذه الحالُ إذ وصل إليها الشيخ الدّاعية عبد العَليم الصديقي، في ١٩٤٩م أثناء جولته الدعوية العالمية، كما يتحدّث الدكتور محمد فضل الرحمن الأنصاري في مقال نشره في المجلة الإنجليزية THE MANARET(المنار) أنه وصل إلى جزر "فلبائن" مع فضيلة الشيخ أثناء الجولة العالمية عام ١٩٤٩م، وكان من المقرّر أن يقومَ الشيخ الميرتي بإلقاء خطبة في مدينة "كوتاباتو" أمام الجماهير في ميدان فسيح بعد الظهر، إلّا أنه تغير الجوّ وتكثفت السّحب، وكاد المطر ينزل، فدخلتُ على الشيخ الميرتي في حجرته، وأخبرتُه عن الأحوال الجويّة، فاستطرد قائلا، وبكل اطمئنان: "ابني نحن جئنا لنبلّغ رسالة الله، وكلُّ شيءٍ تابع له تعالى سواء كان سحابا أم مطرا، فإنْ كانت إرادة الله أن نقوم بتبليغ رسالته فسيتغيّر الجوّ وينكشف السحاب"[٢].

---

(١) ينظر: "سلطنت مصطفى كا سفير"، ص: ٧١.

(٢) ينظر: "سلطنت مصطفى كا سفير"، ص: ٧٢.

يواصِل الدكتور قائلا: بعد صلاة المغرب وصلنا إلى مكان الاحتفال حيث كان حاكم "فلبائن" ورئيس القضاة موجودين بدأ الشيخ الميرتي خطبَه، وبدأت السّماء تمطِر والناس كادو ينفضون عن الاحتفال إلاّ أن الشيخ توقفَ قليلا وقال: "أصدقائي الأعزّاء! عليكم مكانَكم سيتوقف المطر، فلا تقلقوا، ولا تمطر إلاّ بعد انتهاء الاحتفال بعشر دقائق يمكنكم أن تغادروا إلى بيوتكم وتصلوها بأمان".

يقول الناقل الدكتور محمد فضل الرّحمن الأنصاري معلّقاً على هذا الحادث: إنّ الشيخ خطبَ بينَهم ساعتَين ونصف ولم تمطر السماء، ولكنه حينما انتهى من خطبته وغادرَ النّاس. بدأت السماءُ تُمطِرُ غزيرا حتّى سالت الأودية والشّوارع، وما أن رأى المسيحيّون هذا الإيمان الرّاسخ وهذه الكرامة البيّنة حتى أسلمَ آلافٌ منهم، ومنذ ذلك الحين بدأ الإسلام ينتشر، والمسيحية تنكمش، والمساجد تُعَمَّر (١).

يعترف أحد مواطنيها ومبعوثها الدّكتور أحمد في حفلة نزول القرآن بخدمات الشيخ، قائلا: (علينا أن ننشر الإسلام اليوم، كما قام به داعيةُ شبهِ القارّة من الهند والباكستان الشهير، الشيخ عبد العليم الصديقي، فإنّه أسّس في جزر "فلبائن" المدارس الإسلامية، والمكتبات، والمساجد، وأصدرَ المجلّات الشهرية، والجرائد الأسبوعية، وإننا لم نسعد بنور الإسلام إلّا به، وبمساعيه أسلمْنا) (٢).

---

(١) ينظر: المرجع نفسُه، ص: ٧٣- ٧٤.

(٢) ينظر: الجريدة اليومية "جنك"، الصادرة عن "راوليندي"، الباكستان، في ٣ تشرين الأول/أكتوبر، عام ١٩٦٩م، نقلا عن كتاب "مبلغ الإسلام، العلامة عبد العليم الصديقي"، ص: ٢١.

الخامسة: الهند الصينية (INDO-CHINA):

لم تستطع جزيرة "الهند الصينية" أن تتشرّف بوجود الشيخ الدّاعية أكثرَ من خمسة أيّام؛ ولكنها شربت بكأس الإسلام، واخضرّت أرضها برسالته الخالدة، وتلألأتْ آفاقها بأنواره الباهرة ببركة جهود الشيخ المباركة التي تفوق جهود الآخرين في الشهور، كما يذكر الشيخ تفصيله في رسالةٍ بعث بها إلى الشّيخ مَظهر الدّين قائلاً: "إنني وصلتُ إلى المسجد في حشدٍ من النّاس الذين اجتمعوا لاستقبالي، وهو أوّل مسجدٍ على أرض الكفر هذه، عمّره المسلمون عام ١٨٦٧م، وقد تآكلتْ بنايتُه لقدامته، ولهذا عزم المسلمون على تعميره من جديد في عام ١٩٢٤م، وكانوا قد دعوني لوضع حجر الأساس في أيلول/سبتمبر عام ١٩٣٤م، ولكنني لم أستطع الوصول لسفري إلى "جنوب إفريقيا" ثمّ ذكروني في ١٩٣٥م، فلم أستطع الحضور لأنّ زوجتِي كانت مريضة، وها أنا الآن في طريقي إلى "اليابان" أقف هنا لخمسة أيّام لأخطب في المسجد الجديد"[١].

فإنّ هذه الرّسالة تُخبر أن مدّة إقامته في هذه الجزيرة كانت لخمسة أيام فقط، إلاّ أنه في هذه المدة القصيرة أنجز ما يُنجَز في شهور، كما ذكر الشيخ إنجازاته الدعوية في جزء أخير من الرّسالة، وهي:

١. أسّس "جمعية الدّعوة الإسلامية" التي تتولّى مسئولية الدعوة في هذه الجزيرة.

٢. أسلم على يدَيه ثلاث وعشرون نفرا من الرّجال والنّساء، منهم رجل تابَ من الهندوسية، والبقية تابوا من البُوذية[٢].

---

(١) ينظر: "سلطنت مصطفى كا سفير"، ص: ٤٨.

(٢) ينظر: المرجَع نفسُه، ص: ٤٩.

السّادسة: أوّل داعية إسلامي يصل إلى "سيغون":

حرصَ شيخُنا الدّاعية على أن يُشعِل شمعة الإسلام في كلّ بقعةٍ من الأرض، وبالأخص تلك البقاع التي لم تتعرّف على خالقها بعدُ، ولم تصل إليها كلمةُ الإسلام إلى يومنا هذا، بينما وصل الإنسان إلى القمر، فقد وَفّقه اللهُ تعالى ليصبح أوّل داعية يصل إلى "سيغون" منطقة من "الهند الصينية" التي لم يدخلها قبله مَن يدعو أهاليها إلى الله، كما يتحدّث الشيخ في رسالةٍ نشرتها جريدة "الأمان" الصادرة من دلهي في يونيو/حزيران عام ١٩٣٦م، ونصُّ الرّسالة على النحو التالي:

"في ٢٢ من نيسان عام ١٩٣٦م غادرتُ إلى "اليابان" بالباخرة الفرنسية التي أرست على ميناء "سيغون" مساءً، وهي منطقة من "الهند الصينية" ومستعمَرة فَرنسية، والمدينة نظيفة وجميلة كأنّها قطعة من "باريس"، ولم يصل إليها أحدٌ ينادي الله، ويرفع صوتَ الإسلام فيها، هذه مرّة أولى وصلتُ إليها داعياً إلى الله، سأخطب غداً أمامَ الجمهور باللّغة الإنجليزية التي تُترجم إلى الفَرنسية إن شاء الله، ثمّ أخطب بعد الغد أيضاً..."[١].

السابعة: اليابان:

زيارة الشيخ لليابان كانت قصيرة المدى إلاّ أنّها كانت ناجحة، فقد تأثّرت به العقول العلمية، والأذهان الفكريّة، وأسلمَ على يدَيه نخبة من العلماء والمفكّرين من الطبقة العُليا التي لا تخضع إلا للعلم والواقع الملموس، والحقيقة أنه لم يحدث هذا التأثير لولا أسلوبُه الحكيم وشرحُه

---

(١) ينظر: "سلطنت مصطفى كا سفير"، ص: ٤٦.

البديع لواقعيّة الإسلام التي يمتاز بها هذا الدّين الحنيف.

فقد سافر الشيخ الميرتي إلى اليابان عام ١٩٣٦م وألقى محاضرة في عاصمتها "طوكيو" بين الطبقة المثقفة بعنوان: THE CULTIVATION OF SCIENCE BY THE MUSLIMS (مساهمة المسلمين في إيجَادات العلوم والتكنولوجيا)[١] ممّا لفتَ انتباهَ اليابانيين إلى الإسلام بأنّه ليس ديناً يدعو إلى التخلف، بل هو دينٌ لكلّ عصرٍ ومصرٍ، يواكب مقتضيات جميع الأزمان، ويلبّي دعوة جميع المستحدثات، وأمّا المسلمون فليسوا أمّةً ميّتة، وإنّما هم أمّة متحرّكة نشطة، لهم دور فعّال في خدمة الإنسانية بالعلوم والتكنولوجيا.

من أعماله في هذه الدّولة أنّه وَضع حجر الأساس للمسجد الجامع الذي غدا مركزا إسلاميا فيما بعد، ووَسّع مجال دعوته إلى مُدنها الكبرى من "أوسا" و"كاكروي" و"راوا" و"كوبي" وغيرها[٢].

تناولنا في هذا المبحث أهمّ الدول التي لها شأن بالنسبة إلى أعماله الدعوية فيها، ولم نذكرها كلها فهي تزيد على خمس وثلاثين دولةً على وجه الأرض، وربّما أكثر من ذلك؛ إذ إنّه لم تسجّل وقائع دعواته في عصره ولا بعده، ولم تجمَع آثاره الدعوية، ولم تُدرَس أعماله إلى اليوم، وما كتبناه نزر يسير منها، لا يقدّم إلا صورةً موجزةً عن شخصيته وأعماله.

* * *

(١) ينظر: "حياة عليم الرضا"، ص:

(٢) ينظر: "سلطنت مصطفى كا سفير"، ص: ٤٧ – ٤٨.

المبحث الخامِس

مكالمةٌ تاريخية حول الإسلام

- نصّ الحوار الذي دار بينه وبين المفكّر الغَربي
- الدّروسُ المستفادة من هذا الحوار

مرّ بنا أنّ الشّيخ الدّاعية عرج على "ممباسة" في جنوب إفريقيا حين رجوعه من "زنجبار" و"دار السّلام" حيث التقى بالمفكّر الايرلندي الشّهير البروفيسر الدّكتور جورجْ بَرْنَاردشَا في ١٧ إبريل ١٩٣٥، يوم الأربعاء صباحا، وكان برنادشَا في طريقه إلى جنوب إفريقيا لقضاء عطلته، حيث أرست باخرتُه على سواحل "ممباسة" "كِينيا" لثلاثة أيّام، فأقام في بيت (رزيدنت مجستريت), وصل الشيخ إليه في البيت المذكور يوم الأربعاء صباحا، فخرج شا لاستقباله بالرّحب والسعة مبتسمَ الوجه، وعَبّرَ كلٌّ منهما عن فرحه وسعادته بلقاء الآ خر، وجرتْ بينهما مكالمةٌ تاريخيّة باللّغة الإنجليزية حولَ أحقية الإسلام، ممّا اضطرّ بَرْنَاردشَا إلى التسليم بكثير من الحقائق التي كان يجهلها عن الإسلام[1].

---

(١) ينظر: "تذكرة أكابر أهل السنة"، ١٩٧٦م، ص: ٢٣٩. و"حياة عليم رضا"، ص: ٢٩. و"مبلغ اسلام محمد عبد العليم الصديقي"، ترتيب: خليل أحمد رانا، ص: ٣٩. ومجلة "كنز الإيمان"، دلهي، يناير، ٢٠٠٣م.

والحوار طبع لأوّل مرّة بواسطة "مركز الإعلام للدعوة الإسلامية العالميـة) International Information Centere Of the Islamic missionereis" باللّغـة الإنجليزيـة بعنـوان: (A Shavian and Theologian)، ثـمّ ترجمَـه بالأوردية السيّدُ طارق علي، وقد نُشِرَتْ هذه الترجمة في المجلّة الأورديـة "ترجمان أهل السنّة"، في آذار عـام ١٩٧٢م، وأثبتـه الأستاذ إرشـاد أحمد العليمي في كتابه "حياة عليم الرضا"، والأستاذ خليل أحمد رانـا فـي كتابـه "مبلّـغُ الإسـلام العلاّمـة الشـاهْ عبـد العلـيم الصـديقي القـادري" بـاللغتَين الأوردية والإنجليزية.

وهناك ترجمة أخرى لذلك الحوار، قام بها الدكتور إعجاز المدني القـادري، ونَشَـرَتْها مجلّـة "كنـز الإيمـان" الصّـادرة مـن "دلهـي"، فـي يناير/كانون الثاني عام ٢٠٠٣م.

وفيما يأتي نقدّم ذلك الحوار العلمـي اللّطيف الرّزين بالعربيـة دون تصرّفٍ فيه:

نصُّ الحِوار التاريخي بينه وبين بَرْنَادْشَا:

قال جورج بَرْنادْشَا: أنا آسِفٌ على أنّني لم أستطع الحضورَ في محاضَرتِكم البارحة، لمشاغلي المتراكمة، مع اشتياقِي إلى سماعِكم، وكنتم قد ألقيتُمُوها بعنوان: "فلسفة الأمن"، وإن كان الأنسَب لكم لكونكم مسلِماً أن تُلقُوا المحاضَرة بعنوان: "فلسفة الحرب"؛ إذ إنّ الإسلام لم ينتشر إلاّ بالسَّيف.

أجاب الشيخ عبد العليم الصّديقي قائلا: هذا خطأٌ شائعٌ عن الإسلام، وقد ألقيتُ ضوءاً على هذا الجانب اللّيلة البارحة، وأنا أستغرب كثيراً أنّ الكذبَ الفاضِح الذي تمّ الكشفُ عنه، يجري على لسان عالم كبير مثلك!.

إلاّ أنّني أقول موجزاً: إنّ معنى الإسلام نفسَه هو الأمن، والتعليماتُ الإسلاميّة المحفوظةُ في القرآن والحديث بالصّحة الكاملة, تُعلِن صراحة: أنّ الإسلام لا يسمح بحمل السَّيف إلاّ دِفاعاً، ومقتصراً على الذين اعتدوا على المسلمين، أمّا غيرُهم فيُعلِن القرآنُ الكريم قائلاً: (لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ) [البقرة: ٢٥٦].

فإنّ هذه الآية القرآنيّة تمنع من شدّةٍ وإكراهٍ وإجبارٍ في القضايا الدينيّة، وأعتقِدُ أنّ نفسَ هذا الدرس تُلقّنه التعاليمُ المسيحيّة الصّادقة؛ لأنّ عقولنا تقول: إنّ تعليماتِ الأديان السماويّة تمنع عن جميع أنواع الشدّة في الأمور العَقدية، وتؤثِرُ نَشْرَهَا بالدّلائل العَقليّة.

أمّا المنهجُ الذي يقرّره الإسلامُ لنشره, فهو الذي ينطق به القرآنُ الكريم: (ادْعُ إِلِى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ) [النحل: ١٢٥].

والتاريخ يشهد على أنّه قُتِل آلافٌ من النّاس الأبرياء في أوربّا والبيت المقدس, حينما رَفَضوا تلك العقيدةَ التي اختلقتْها الكنيسةُ في قُسطنطِينيّة عام ٣٢٥م في "مجلس نائسِس"، (consil of nices)، وحاوَلتْ أن تسلّطها على النّاس، وهي العقيدةُ التي تقرّر أنّ سيّدَنا عيسى -عليه السّلام- ابنُ الله, والعياذ بالله.

مع ذلك أنا لا ألقي مسئولية قتل الأبرياء على رقبة المسيحيّة، إنّما ممثّلوها هم المسئولون عن تلك الأعمال الفظيعة، الذين أرادُوا أن يُذِلّوا قلوبَ النّاس بقوّتِهم وكبريائِهم.

وكذلك كانت الحروبُ الصّلِيبيّة نتيجة لسياسةِ الأشخاص المغرضِين,

الذين كانوا على يقينٍ تامٍّ أنّ دعوةَ الإسلام إلى الله الواحدِ تهدِّد وجودَهم، وتقضِي على خياراتِهم الدينيّة، ولهذا أثارُوا حرباً ضدَّ الإسلام والمسلمين، وهيّجوا المسيحيِّين الأورَبِّيين الذين يصدِّقون كلَّ ما يسمعونه عن القرون الوُسطى، وحملوهم على رفع السَّيف ضدَّ المسلمين، وذلك باختلاق قصص الظُّلم الكاذبةِ عنهم، وكانُوا يُلقنونهم أنّ المسلمين لا يؤمنون بالدِّين، وهُم أعداءُ ألدّاء لدِينِهم وأملاكِهم, فالظاهرُ أنّ الإسلام والمسيحيّة ليست مسئولة عن الحروب الصَّلِيبيّة، وإنّما رجالُ الكنيسة البارزون هم المسئولون عن تلك الحروب الدّامية الظالمة, التي لا طائلَ تحتها.

وعلاوةً على ذلك, لو فرضنا أنّه من السّلاطين المسلمين, أو رجال من القبائل المسلِمة تَقاتَلُوا لمنافعهم الدُّنيويّة بعد ظهور الإسلام بمئاتٍ من السِّنين، فلا ينبغي أن نجعلَ الإسلامَ مسئولاً عمّا ارتكب هؤلاء، بل أولئك المسلمون الذين فرَضُوا الحروبَ لمصالحهم الدُّنيويّة هم المسئولون، وهُم الذين يستحقّون الذمّ، وليس الإسلام.

وصادَف لي أن ألقيتُ ضوءاً على هذه الجوانب في محاضَراتِي، والتي أحبُّ أن أعيدَها عليكم الآن.

(يُخرج الشيخُ من جَيبه ورقةً ويقرأ منها:)

إن تحاربتْ أقوامٌ وأسفكتْ دماء اعتماداً على المعتَقَداتِ الخاطئةِ والجنونيّة, وألقتْ تعليماتِ الدِّين الحقيقيّة وراء الجدار، فذلك خطؤهم, وليس خطأ الدِّين.

ألمْ تهرق دِماءُ العامّة في الحروب العالميّة باسم الأمن والإنصاف والحِفاظِ على حقوق الضُّعفاء؟!.

وهل يجوز لنا أن نلعنَ الرّسالاتِ الإنسانيّة المقدّسة؛ لمجرّد أنّ عدداً من الأناس الذين هتفوا بها لمنافعهم الدّنيويّة، قد أراقوا دِماءَ العامّة؟!.

جورج برنادشا: ممّا لا شكّ فيه أنّ الجنونَ الدِّيني في الكنائس الرّومانيّة هو المسئولُ عن تلك الحوادث المؤلمة, التي لا علاقة لها بالتعليمات المسيحيّة الحقيقيّة، وهذا مما ينبغي أن يُسلّم أنّ كثيراً من الشّائعات تُلصَق به، وتعرض بأسلوبٍ خاطئ، إلاّ أنّه هل يتّفق معك العامّةُ من المسلمين, ويُوقِنون بأنّ الإسلامَ لم ينتشر بالقوّة، ولا ينبغي له أن يُنشَرَ بالقوّة؟!.

الشيخ: كلُّ مسلمٍ يضطرّ بتسليم ما قلتُه؛ لأنّني لا أقول إلاّ ما قاله القرآنُ الكريم، وليس فيه مِن رأيي شيء، وقد ألّفتْ كتبٌ في هذا الموضوع، وألقى السيّدُ أمير علي، وسَرْ سيّد أحمد خانْ، والشيخ شِبلي, كما ألقى الباحثون في الإسلاميّات والدكاترة البارعون, ضوءاً على هذه المسألة بمختلف جوانبها.

جورج برنادشا: قد أعْلِمتُ أنّ هناك أمورا كثيرةٌ يشترك فيها الإسلامُ والمسيحيّةُ.

الشيخ: العلاقةُ بين الإسلام والمسيحيّة ليست قليلةً وصناعية، وإنّما القرآنُ يوضّح بأنّه إذا كان الإقرار بوجود الله من مباديء المذاهب السماويّة, فلا بدّ من الاتّحاد في تَعْليماتها.

ومن النّاس مَن يعتقد أنّ الإسلامَ دينٌ جديدٌ, والأمرُ أنّ القرآنَ نفسَه يُعلِن أنّ رسالاتِ الإسلام هي الرّسالات التي جاءَ بها الرُّسُلُ الصّادقون الآخَرون، فقد أرسَل اللهُ جميعَ الرُّسلِ من سيّدنا إبراهيم -عليه السّلام- إلى

سيّدنا عيسى -عليه السّلام- لينشروا نوعاً واحداً من أصول الدّين.

إلاّ أنّه قد حدث تغييرٌ وتحريفٌ في التعليمات السماويّة, ووقع شكٌّ في صدقها, فأرسل اللهُ رسولَه خاتمَ النّبيين ﷺ؛ ليُرشِدَهم إلى الصّراط المستقيم، وأنزَلَ معه القرآنَ الكريم خاتماً للكتب السّماوية، كما يقول القرآنُ الكريم:

(إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِن بَعْدِهِ) [النّساء: ١٦٣].

(شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّيْنِ مَا وَصَّى بِهِ نُوْحاً وَالَّذِيْ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوْسَى وَعِيْسَى أَنْ أَقِيْمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوْا فِيْهِ) [الشعراء: ١٣].

جورج برنادشا: إنَّ تراجمَ القرآن الكريم، التي قرأتُها تؤيِّدُ ما تقوله أنتَ، وإنّي لأرجّح ترجمة عالم (نسِيي اسمَه حاليّاً) يختلف شرحُه عن شرح المترجمين الآخرين، وكنتُ آخذه في سفري إلى "المغرب" و"الجزائر"، وقد استغرب المسلمون حينما تكلّمتُ عن مقتطفات منها، وهي مطبوعةٌ من مكتبة "أفري مين لائبريري" (Every man liberary), وقد طلبتُ من الناشرين أن يوسِّعوا نطاقَ النشر لهذه النّسخة.

الشيخ: إنّ الترجمة التي تتكلّم عنها، هي ترجمة الأستاذ رودويل.

جورج: نعم، هو كذلك.

الشيخ: إنّه لا شكّ أنّ الأستاذ رودويل قد بذل الجهدَ والعناء في ترجمة أبوابٍ من القرآن الكريم حسب الترتيب الواقعي، إلاّ أنّه لم تكن ثقافتُه عن الأدب العربي, والتاريخ الإسلامي واسعةً وكافيةً, ولهذا جاءت أجزاءٌ من

ترجمتِه مضلِة، وفيها أخطاء فاحشة قد تؤدّي إلى سوء الظنّ عن الإسلام, ولا أقول: إنّ المترجِمَ تعمَّد الخطأ، لكنّه نشأ عن قلةِ علمِه وثقافتِه.

أمّا الترجمة التي أشِير إلى أنْ تقرأها, هي ترجمة الأستاذِ مَارْمَا دِيوكْ بكتهال "معاني القرآن المقدّس": (MEANING OF THE GLORIOUS QURAN)؛ فإنّك قد تطّلع بمطالعة هذه الترجمة على جمالية أسلوبِ القرآن المؤثّر، وجلالةِ شأنه وعَظَمةِ بيانِه، ولا أعنِي به أنّ هذه الترجمة هي نفس القرآن؛ إذْ إنّه لا يمكن أن تنقلَ الترجمةُ جمالَ الأسلوب وقوّتَه من الأصل، مهما كانت الترجمةُ ناجحة وأعلى دِقة، كما لا يخفى ذلك على الكاتب البارع مثلك.

جورج برنادْشا: هذا صحيحٌ أنّ روحَ الكتاب الأصلي لا يمكن أن تنتقل في الترجمة، وهذا هو بالنّسبة لترجمة بائبل أيضاً، إلاّ أنّه لا يزال مستوى الترجمة يرتقي إلى الأفضل شيئاً فشيئاً.

الشيخ: قد يمكن أن تكون تراجمُ إنجيل جيدةً من حيث اللّغة، إلاّ أنّه لا يمكن القولُ: إنّها تحمل رسالةً مسيحيّة حقيقيّة؛ لأنّه -كما تعلم- أنّ رسالة سيّدِنا عيسى -عليه السّلام- لم تبقَ الآن بالصّحة الكاملة؛ فإنّه قد حصلت تغييراتٌ عديدةٌ في الإنجيل، كما غابتْ نسخُها الأصليّة، حيث لا يشفي الباحثُ عن الحقيقة غليلَه بنُسخ "إنجيل" الموجودة.

وعلى خلاف ذلك لم تتغيّر نقطةٌ من القرآن الكريم، ولهذا مَن أراد البحثَ عن التعليمات المسيحيّة الأصليّة, فعليه الرّجوعُ إلى القرآن الكريم.

جورج: أحقاً لم يحدث أيُّ تغيير في القرآن الكريم؟!, وهو ما زالَ في حالته الأصليّة إلى يومِنا هذا؟!, وهل كان يعلم حضرةُ محمد صلى الله عليه وسلم الكتابة؟!, وهل يوجَد ما كتبَه لنا إلى اليوم؟!.

الشيخ: كلُّ بابٍ من القرآن، بل كلُّ آيةٍ, وكلُّ لفظٍ منه ثابتٌ ومتحقّقٌ ومسجَّلٌ ومصدَّقٌ إلى يومِنا هذا، فقد كان النّبيُّ صلى الله عليه وسلم يأمُرُ بكتابة الوحي كلّما كان ينزل عليه، وبعد حفظِه بالكتابة كان يأمرهم بإعادتِه ليسمعَهم ويصدِّقهم، ثمّ يفسّر لهم.

وما زالت تلك النسخةُ المكتوبة بيد الصّحابي الثّقة وكاتب الوحي زيد بن ثابت -رضي الله تعالى عنه- محفوظة في مكتبة القُسطنطينيّة،ومُتْحَفِ المدينة المنوّرة، وهي أصلُ جميع النُّسَخ التي تنتشر في العالَم، ولا تختلف عنها في نقطةٍ.

برناردشا: ماذا قلتُم...! هل توجد في القرآن علاماتُ العبارات؟!.

الشيخ: في اللُّغة الإنجليزيّة تنحصر علاماتُ العبارات في الفارزة وشِبه الفارزة، ونقطة الوقف التامّ، وغيرها، بينما أصولُ قراءة القرآن الكريم كثيرة، وفيها أنواعٌ مختلفة من العلامات الكثيرة, التي تُستخدَم لأهدافٍ عديدة، منها مثلاً: الوقفُ لازمٌ في مواضِع منه، ومتروكٌ في مواضِع، واختتامُ آياتٍ منه يُهتَمّ بأدائها، بينما لا تتقيّد بها اختتاماتٌ أخرى، وإنّ أداءَ الألفاظ القرآنيّةِ, وتلفّظَ الآيات، ومسائلَ الوقف وغير ذلك من الأمور, قد تعقّدتْ إلى حدّ أن أصبحتْ تلاوةُ القرآن الكريم فنّاً مستقلاً، كما صُنّفتْ مؤلّفاتٌ كثيرةٌ في فنّ القراءات.

برناردشا: هذه الأمور محيِّرةٌ وجديدةٌ بالنِّسبة لِي، كما كنتُ استغربتُ كثيراً حينما سمعتُ أنّكم ألقيتم خطبةً في "نَيرُوبِي" بعنوان: "الإسلام والعلم الجديد", فقد صعب عليَّ الفهمُ بأنّكم كيف تُقدِّمون صُورَ الجنّة وجهنّم في ضوء القرآن الكريم أمامَ أناسٍ يُولعون بالعلم الحديث، ولا يقبلون شيئاً ما لم يرَوه ولم يحسّوه...!.

أنا أحترم النّبيَ صلى الله عليه وسلم كثيراً، وأستطيع أن أفهمَ أنّه لا يمكن إخراجُ قومٍ جهلةٍ كانوا غارقِين في بحارٍ من الذنوب والمعاصي، ثمّ حضنّهم على طلب الحقّ، فإنّه لا يتأتّى ذلك للنّبي صلى الله عليه وسلم ما لم يُريهم صورةً جميلةً خلابةً للجنّة، وكذلك صورةً مروّعةً مقزّزةً للنّار.

وكذلك أنا مُعجِبٌ بالكلمات القرآنية الرصينة المؤثّرة، فما أجمَل أسلوبها! وما أروَعه! ذلك النظمُ في القرآن الكريم الذي يصوّر مَشاهِد القيامة، وما أخلَبَ الأساليب وأسحَرَها ذلك الاختتام الذي يختتم به القطعةُ التي تصوِّرُ قتلَ الأولاد بصورةٍ دراميةٍ على جملة: (وَإِذَا الموْءودَةُ سُئِلَتْ بِأيِّ ذَنبٍ قُتِلَتْ) [التكوير: ٨- ٩].

أظنّ أنّني ذهبتُ بعيداً عمّا نحن فيه من الموضوع، وبالجملة أنّني أريد أن أسألكم أنّه كيف يمكن توضيحُ الجنّة والنّار من وجهةِ نظر العلم الحديث؟.

الشيخ الدّاعية: إنّك أستاذٌ في فنّ الكتابة، وما يُبدِع قلمُك السّاحر من كتاباتٍ رائعةٍ جميلةٍ تُحدِثُ انقلاباً خطيراً في أذهان القرّاء، ولهذا أنا على يقينٍ تامٍّ أنّك ستوافِقُني على أنّه لا يمكن أن تُفهَمَ الأعمالُ الروحانيّة وقضاياها باللّغة الماديّة الصّرفة, دون أن يُستَعان بأشكالٍ مماثلةٍ ومشابهةٍ لها، ولهذا ينبغي أن نضعَ هذه الحقيقة أمامَنا دائماً، لننظرْ في ضوئِها أسلوبَ القرآن في بيان الجنّة والنّار، وكذلك تلك المشاهِدُ التي تملك قوّةَ الجذب لعواطف الإنسان الظاهرة, وذلك للفهم والإدراك فحسب، وإلاّ فالبحثُ عن حقيقة الجنّة, فقد أرشَدَنا اللهُ -سبحانه تعالى- إلى أن لا نحاولَ الخوضَ فيها: (فلَا تَعْلَمُ نَفسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) [السجدة: ١٧].

وأمّا حسبما جاء في الحديث الشّريف؛ فإنّه لا ينبغي لنا أن نقارنَ نِعمَ الجنّة بنِعم الدّنيا في حالٍ من الأحوال، فقد قال النّبيُ صلى الله عليه وسلم في وصف الجنّة: "ما لا عينٌ رأتْ، ولا أذنٌ سمعتْ، ولا خَطرَ على قلبِ بشرٍ"(١).

ففي هذه الحالة كيف يمكن أن تتشابهَ نِعمٌ من الجنّة بأشياء في الدّنيا تبعثنا على الفرح والسّرور.

والآن كما يقِرّ القانونُ بأنّ كلَّ شيءٍ في تقدُّمٍ، ولا يزال يترقى نحو الأمام، ولا بدّ لكلِّ شيءٍ متقدِّمٍ من نهايةٍ ومعراج، حيث يتوقف التقدّمُ وينتهي إمكانُ الترقي، والإنسانُ في الدّنيا السّابقة قد يستقبل الهناءةَ والسّعادةَ والفرحَ والسُّرور، وقد يتعرّض للآلام والأحزان، ولهذا قد أصبَح من الضّروري أن تكونَ نهايةٌ لهاتَين الحالتَين، فنهايةُ الفرح والسّعادة ومعراجُها في الآخرة هي الجنّة، ونهايةُ الأحزان والآلام ومعراجُها هي جهنّم.

وكما في الدّنيا من أسبابٍ، إمّا أنّها تُورث الفرحَ وإمّا تُورث الألمَ، كذلك ينبغي أن تكونَ أسبابٌ في الدّنيا والآخِرة لتُحدِثَ الفرحَ والحُزن، فالمفرّحات هي الجنّة، ودارُ الآلام هي جهنّم، ولِما أنّ الجسمَ والرّوحَ مسئولان عن فعالياتِهما في الوجود الإنساني، ولهذا هما اللذان يتلقيان جَزاء لما زرعا في الدّنيا.

والآن بقِي لنا أن نعرّفَ المادّة، إلاّ أنّه -كما تعلمون- لم يَعُدْ هذا العملُ

---

(١) رواه الإمام البخاري في صحيحه، كتاب "بدء الخلق"، باب ٨، ٤٦٠/١. طبع مجلس البركات، الجامعة الأشرفية بمباركفور، الهند. والإمام مسلم في صحيحه، كتاب "الجنة وصفة نعيمها وأهلها"، باب ١، ٢/ ٣٧٨. طبع "مجلس البركات"، الجامعة الأشرفية، بمباركفور، الهند.

ممكناً حتّى اليوم في عصر العلم الحديث المتقدّم؛ لأنّ المادّةَ شيءٌ معقّدٌ لم تستطع أن تحلّها جهود عقليّة حثيثة، فضلا عن تحليلاتها الكيمياوية، والعلماءُ المحدِثون عاجزون عن تقديمِ صورةٍ حقيقيّةٍ للمادّة. وَما زالت خلاصةُ التجربات العلميّة الحديثة للمادّة حتى اليوم نظرية "بُروتُونْ" و"إلكترونْ"، وحسب هاتَين النظريتَين فإن أشعّتُهما أساسٌ للدّنيا، وكلُّ جسمٍ نتيجةٌ لهذه الأشعةِ في وجود صلب، تقول مجلّة "دنيا العجائب" في المادّة: يبدو أنّ المادّةَ صلبة، إلا أنّ العلماء يقولون: إنّه لو يُزال مكانُ الذرّة التي تشكّل أجسامَنا، ويجمع "نيوكلِس" و"إلِكترون" للذرّة, ليُصبح جسمُ الإنسانِ لطيفاً، لا يمكن أن تراه العيون.

على هذا إن أمكَن لعالمٍ حديثٍ أن يسلّمَ دون دليلٍ قويٍّ بأنَّ أوسَطَ إلكترونْ الذي يدور حولَ نُيُوكِلِسْ في كلّ ثانيةٍ تفوق الملايين من المرّات، ويغيّر الأجسامَ الصلبة بأشعتِها، فلا يصعب عليه أن يشعرَ بأنّه إلى أيِّ مَدى يمكن للجسم والرّوح أن يتغيرا في الدّنيا والآخرة, ليستقبلا الفرحَ والحُزن.

بَرنادْشا: لا شَكَّ أنّ هذا توضيحٌ جميلٌ ومناسبٌ، ولكنّ هل يقبله مسلمُو اليوم؟!.

الشيخ الدّاعية: هذا ليس مما اخترعَه دماغِي، وإنّما هو -كما قلتُ لك- توضيحٌ في ضوء القرآن الكريم، ولا يحقّ لي أن أسجّلَ باسمِي كلَّ ما سعيتُ في شرحِه، وإنّما قدّمَها مَن جاء قبلي من أمثال الإمام فخر الدّين الرّازي، والغزالي، ومحي الدّين ابن العربي، ليوضّحُوا بها أمامَ أمثالِكم من أصحاب العلم.

إنّ مبادئَ الإسلام بسيطةٌ ومبنيّةٌ على العقل، لا شيءَ فيه تحقّه الأسرارُ ولا تحيطه الرموز، وإنّما الحاجة إلى أن تُفسَّرَ تلك المبادئُ

بصورةٍ لائقةٍ بها، ليمكنَ أن تقدِّمَ مقاصدَها الصّحيحة، والمعروفُ أنّه من الصّعب جدّاً أن نفهمَ أدباً لِفنٍّ نجهله، ولهذا ينبغي لنا أن نحيطَ أوّلاً بذلك الفنّ عِلماً ودرايةً قبل أن نفهمَ أهمَّ نكاتِه، لنتمكّنَ به من حلِّ قضاياها.

[هنا تدخل السيدة التي كان بَرنادْشَا ضيفا لديها، فيُعرّف عليها الشيخَ، وهي تخاطب برنادْشَا قائلة: لقد حانَ موعدُ الرَّحِيل إلى الميناء, فاعتذر برنادْشَا إلى الشيخ قائلاً]:

كلامُك رائعٌ وجميلٌ، ومليءٌ بالمعارف، وددتُ لو صاحبتُك سنوات، إلاّ أنّه من سوء الحَظّ, لقد آنَ أوانُ الرّحيل.

الشيخ الدّاعية: لقد تمنيتُ أن أحاورَ رجلاً مثقّفاً وعالماً وقوراً أمثالكم، وبالأخص في حالة أنّكم لم تقِفوا على الإسلام إلاّ قليلاً، وبمصادِر لا توثَق بها، مع ذلك تظنّون عنه ظنّاً حَسَناً، وأنتم القائل: "سيكون دينُ المثقّفين في المستقبل هو الإسلام".

أنا أوَدُّ أن أحَادِثكم في هذه المسألةِ وفي القضايا النفسيّة الصّادقة, التي يقدِّمها الإسلامُ ليتسنّى لأمثالكم من المثقّفين, الذين يطّلعون على النزعات الفكريّة في الدّنيا المثقّفة، أن يقدِّموا المبادئَ الإسلاميّة بطريقةٍ مؤثِّرةٍ ومحبِّبة.

برنادْشَا: إنّني لآسفٌ جدّاً على هذا الحوار الموجز مع عالمٍ جليلٍ مثلكم.

الشيخ: مع ذلك أنا أشكركم على عنايتِكم، وبالمناسَبة أقدِّم إليكم نُسَخ خطبتي اللتين ألقيتُهما في "دَرْبَن" بعنوان: "التقدُّم الدِّيني والعلمي في العالَم"، و"الثقافةُ الروحانيةُ في الإسلام"، كما أقدِّم إليكم كتاباً صغيرَ الحجم

بعنوان: "الإسلام"، الذي رتّبَه صديقِي وأستاذُ الاقتصاديات في "الجامعة العثمانيّة" حيدر آباد دكن[١]، البروفيسر السيّد إلياس البَرني، الذي وزّع الآياتِ القرآنيّة في العناوين المختلفة، ثمّ قام بشرحِها، من فضلِكم لتقرءوا هذه الكتب وانقدوها بكلِّ رحبٍ وسعةٍ كما تشاءون، سأحاول أن أقنعكم بالجواب.

برنادْشا: إنّه لا شكّ فيه أنّكم تقدّمون المبادئَ الإسلاميّة بأسلوبٍ جميل، ولكنّه هل يوافقكم المسلمون الأصوليّون؟.

الشيخ: أنا أيضاً من المسلمين الأصوليِّين, الذين لا يقبلون أدنى تحريفٍ في المبادئ الإسلاميّة، وتسيطر ألفاظ حديث الرّسول صلى الله عليه وسلم الآتي على ذهنِي وفكري دائماً: (ومن قال في القرآنَ برأيه, فليتبوأ مقعدَه من النّار) [٢].

أنا أعتني بالأمور البسيطة، ولا أخطو قدماً إلاّ في إطارٍ دينيٍّ، فضلاً عن المبادئ الأصوليّة.

على سبيل المثال جلَبَ صديقِي علي محمد جعفر, الذي يمثّل رئيس "المنظمّة الإسلاميّة المحليّة"، بمصوِّرٍ ليصوِّرَ لقاءَنا, إلاّ أنّني رفضتُه رفضاً باتّاً؛ لأنّ الصُّورَ هي التي بعثتْ على عبادة الأصنام، فاليومَ تؤخذ الصُّوَرُ دون اهتمامٍ، وغداً ستصبح موضعَ عنايةٍ واحترامٍ من قِبل المحبِّين المغالين، ومِن ثَمّ تجرُّهم إلى هاوية الضلال، ولهذا منع الإسلامُ من تصوير ذات الأرواح منعاً باتّاً، ولهذا لا آذن أحداً أن

---

(١) مدينة هندية كبيرة، في وسط جنوب الهند.

(٢) رواه الترمذيُّ عن ابن عباس -رضي الله عنهما- في أبواب التفسير، ١١٩/٢. طبع مجلس البركات، الجامعة الأشرفية، بمباركفور، الهند.

يأخذَ صورتِي، وإن أخذ فهو المسئولُ عن نفسِه، ولم أذكر هذا إلاّ ليعلمَ جنابُكم أنّني إلى أيِّ مَدَى من الأصوليِّين.

برنادْشا: أنا سُررتُ جِدّاً بلقائِكم هذا، وسيكون من أفضل الذكريات أحملها معِي في سفري هذا.

[وَدّع كلُّ واحدٍ منهما الآخَر، الشيخ دَعا له سفراً سعيداً، وبَرنادْشَا يودّعه رافعاً يدَيه إلى أن غابتْ سيارةُ الشيخ عن نظره][1].

الدّروسُ المُستفادة من هذا الحوار:

بعد إنعام النظر في هذا الحوار بين الشيخ الدّاعية والمفكّر الأيرلندي الشهير جورجْ برنادشَا يتضح ما يلي:

أوّلاً: أنّه حوار هادئ وعلميّ يبنى على الاحترام المتبادل بين الطرفين، يعترفُ كلٌّ منهما بشخصية الآخَر، ويقابل كلٌّ منهما الآخَر بالرحب وسعة الصدر، هاشّاً باشّاً ومُبتسماً.

ثانياً: ينبيءُ هذا الحوار أنّ ثقافة الشيخ الدّاعية واسعةٌ جدّا، ممّا أرغمَ برنادْشَا على قبول الحقائق.

ثالثاً: يتضح من هذا الحوار أنّ الشيخ كان متضلّعاً من العلم الحديث وعلم النفس معاً، مما استطاع أن يقدِّم الجنّة وجهنم بصورةٍ مقبولةٍ أمامَ مفكّرٍ غربي شهير على المستوى العالمي.

---

(١) ينظر: "حياة عليم الرضا"، ص: ٢٩ – ٤٦. وكذلك ينظر هذا الحوار باللغتين: الإنجليزية والأوردية في كتاب "مبلّغ الإسلام، العلاّمة الشاه عبدُ العَليم الصدّيقي القادري" للأستاذ خليل أحمد رانا، من صفحة: ٧٨ – إلى آخر الكتاب.

رابعاً: هاجمَ برناردشا الإسلام في بداية الحوار، ولكن الشيخ وقف في وجهه مدافعاً عنه بأسلوب علمي بليغ، وسرعانَ ما جرّه إلى الاعتراف بحقيقة أن نُسخ الإنجيل الموجودة ليستْ مصدراً للتعليمات المسيحيّة الحقيقية، وإنّما أصابته التحريفات، وعلى النحو البليغ أرغمَه على ردّ الأفكار الباطلة التي تسرّبَت إلى المسيحيّة الموجودة، كما وضّح عليه بأنّ القرآن الكريم هو المصدر المحفوظ الوحيد الذي يمكن أن يُعتمَد عليه للبحث عن التعليمات المسيحيّة الصّادقة.

خامِساً: كان الشيخ صادقاً مع نفسه كالمرآة الصافية، لم يتكلّف ولم يتصنّع، ولم يتردّد عن إظهار ما ارتكبه بعضٌ من المسلمين من حماقات ومخالفات شرعية عبر التاريخ الإسلامي الطويل، موضّحاً أنه لا ينبغي أن يُلقى اللّوم على الإسلام والمسلمين كافة.

سادساً: أسلوب الشيخ كان رائعا وجميلا ومؤثرا جذّابا، ترك أثرا إيجابيا قويا في مخاطَبه المفكّر الفَيلسوف برناردشَا، الذي تمنّى أن يصاحبَه سنوات، ولا شكّ أنّ هذه الأمنية من مفكّرٍ مثل برناردشا تُنبئُ عن غاية تأثّره بكلام الشيخ، ومكانته العظيمة في قلبه.

سابعاً: بعد قراءة هذا الحوار يمكن للقارئ أن يطّلِع على أسلوب الشيخ الحكيم الذي كان يخاطب به العلماءَ والمفكرينَ والقادةَ والرؤساءَ، وكان يجذبهم إلى الاعتراف بأحقية الإسلام، والإيمان به.

* * *

المَبْحَثُ السادس

دورُه في ردِّ الحركات المناهضة للإسلام

- الرَّدُّ على القاديانية
- الرَّدُّ على حركة شُدِهي
- الرَّدُّ على اللادينيّة

ولما أنّ الداعية الميرتي كان من تلامذة الإمام أحمد رضا، الذي تابع الحركات المناهِضة للإسلام، وردّ عليها رداً قاضيا، ولهذا نراه أيضا يتابع الحركات والأفكار التي تخالف الإسلام على المستوى العالمي، ويردّ عليها رداً هادئاً يقضي على روحها ونشاطها، كما فعل مع القاديانية والشّيوعية، والرأسمالية، واللادينية، وحركة شُدِهي وغيرها.

وفيما يأتي نقدّم مقتطفات من أعماله وجهوده في هذا السبيل:

الرّدُّ على القاديانية:

القاديانية فرقة مارقة عن الإسلام، أسّسها المدّعي الكذّاب المرزا غلام أحمد القادياني، خدمة للاستعمار البريطاني.

للقاديانية أفكار مسمومة، منها مثلاً: إنكار ختم النّبوة، وادعاء المرزا غلام أحمد نفسَه نبيّاً، وإبطال نظرية الجهاد الإسلامي، وما إلى ذلك من خزعبلات فكرية، لا تمت إلى الحقيقة بصلةٍ، وقد طاردَها العلماءُ المسلمون

خطوةً خطوةً، وفنّدوا مزاعمَها، وأبطلوا معتقداتها، واتفقوا على تكفيرها دون نزاع فيما بينهم، وفي طليعة هؤلاء العلماء الأجلة مجدِّد القرن الرابع عشر، إمام أهل السنة والجماعة الشيخ العلامة أحمد رضا خانْ الحنفي القادري المتوفى ١٣٤٠هـ/١٩٢١م، الذي ألفَ ستَّ رسائل علمية في الردّ على هذه الفرقة الباطِلة، ثمّ تبعَ خُطاه تلميذُه وَخليفتُه المجاز الشيخ الدّاعية محمّد عبد العَليم الصديقي القادري صاحب هذه الترجمة.

فقد تابع الشيخُ هذه الفرقة الضالة، وكسّرَ شوكتها، وأخمدَ شعلتها، في كثير من الدّول التي كانت قد عشّشَت وبيَّضتْ فيها، كما تعلّقُ جريدة "الفتح" الصّادرة عن القاهرة في ٩ رجب المرجّب عام ١٣٥٠هـ، على دوره الفعّال في قمع مباني القاديانية الفاسدة، قائلة: "وقد انطفأتْ جذوةُ بَاطِلِهم وقُضِيَ على بَهرج أكاذيبهم بظهور مولانا محمّد عبد العَليم، الذي سلّه اللهُ سيفا عليهم، فهُم أينما ذهب يهربون منه، كما تهرب الثعالبُ من طريق الأسد, منذ سنوات كانت لهم بـ"سنغافورة" جمعية وصحيفة، فأصبحوا الآن ولا جمعية لهم، ولا صحيفة, وهدى الله به أكثر مَن أضلوه وخدعوه، ولم يبق من أتباعهم سِوى نفر يعدّون بالأصابع؛ لأنهم ينتفعون مادياً من ذلك ..."(١).

وكانت متابعتُه لتلك الحركة الضالة متابعة قوية، أرهفَ لها السمعَ، وأحدَّ إليها البصرَ، لم يترك لها مجالاً للتنمية والتقدّم، بل أقام عليها سدّا منيعا، ووقف في وجهها صخرا صلدا، يُميط اللثام عن أفكارها الخطيرة

(١) ينظر: صحيفة "الفتح" الصادرة عن القاهرة في ٩ رجب المرجب عام ١٣٥٠هـ، نقلا عن "عظيم مبلغ إسلام"، ص: ١٨٥.

الباطِلة، والردّ عليها بالتصنيف والتأليف، وبإلقاء الخطب والمحاضرات، وإرشاد الناس إلى الإيمان بالله وبالأنبياء والمرسلين.

وممّا يدلّ على إحساسه المرهف البالغ تجاه هذه الفرقة أنه ألّفَ في ردّها باللّغة العربية "مرآة القاديانية" وبالأوردية "مرزائي حقيقت كا إظهار"، (الكشف عن حقيقة المرزائية) كما أشرفَ على تحرير رسالة بالإنكليزية باسم THE MIRROR.

يقول نجله الشيخ أحمد نُوراني عن دور والده في مطاردة القاديانية على المستوى العالمي: "لقد قام والدي الماجد بالتنبيه على فتنة القاديانية من الابتداء إلى الانتهاء، في إفريقيا، وماليزيا، وسيلان، وأوربا، وأمريكا، وله كتاب معروف باللغة الإنكليزية THE MIRROR، نشره مكتبة "المكّي" للنشر "دَربَن" جنوب إفريقيا، وكتاب في الأوردية "مرزائي حقيقت كا إظهار"، وكتاب في العربية "المرآة" طبع من جمهورية مصر العربية، وقد تُرجِم كتابه "مرزائي حقيقت كا إظهار" باللغة الأندونوسية، الذي أحدثَ ثورةً عارمةً ضدّ القاديانية، وامتدّت شعلتُها إلى ماليزيا، فقامت بفرض حظر على دخول القاديانيين في حدودها"[1].

على هذا النحو كانت كتبُه في ردّ القاديانية مؤثّرةً، تكشف القناع عن أفكارها الباطلة، وتنزل صاعقةً على وجودها، وتجهز إجهازا على روحها الخبيثة، كما كانت محاضراته وخطبه تفحم علماءها وروّادها، إضافة إلى أسلوبه العلمي الجميل الذي كان يترك أثرا إيجابيا في أذهان الناس، وقلبه

---

(١) ينظر: حواره المنشور في المجلة الشهرية "ترجمان أهل السّنة"، الصادرة من كراتشي، الباكستان، أغسطس، وسبتمبر، عام ١٩٧٢م، ص: ١٠٨.

الصافي الورع الذي كان يعكس عليهم صورة الصّدق والإيمان، وصورتُه الوضّاءة المشرقة التي كانت تجذب قلوبَهم إليه، فكانوا يتأثرون بأخلاقه، كما كانوا يتأثرون بأدلته الدامغة، وحججه القاطِعة، فكانت قلوبُهم تتفتح للإسلام، كما تتفتح أزاهير الرياض لتباشير الصباح.

هكذا كانت مساعيه الهادئة قد أنقذت الآلاف من أوحال القاديانية إلى نور الإسلام في جزيرة "موريشِس" و"سنغافورة" و"الهند" وغيرها من البلدان، فجزاه الله تعالى عنّا وعن المسلمين خير الجزاء.

الرّدُّ على حركة "شُدِهي":

هي حركة هندوسيّة نشطتْ في الهند لإرجاع المسلمين عن دينهم، منذ عام ١٩١١م، واشتدّت حركتُها، وتحوّلت إلى عاصفة هوجاء عام ١٩٢٣م، حين سقوط الخلافية العثمانية، وضعف المسلمين، ومداهنتهم مع الهندوس للأغراض الدنيوية، مما أتاحت فرصة مواتية لهذه الحركة أن تتمرّدَ وتنشط، في تضليل الشبان المسلمين السذج الذين كان قد أسلم أجدادُهم قبل مئات من السنين.

وبالأخصّ حينما ساهمَ المسلمون في حركة الخلافة، وحركة الموالاة مع الهندوس، وغيرها من حركات الاتحاد، التي كانت تعني ذوبان الإسلام في الهندوسية المشركة، وحقّا فقد استغلّ الهندوس هذه الحركات لإبعاد المسلمين عن دينهم ونزعوا منهم سلاح التمسّك بالكتاب والسنّة، وأدخلوا في قلوبهم الوهن والضعف تجاه عقيدتهم، فبدأ المسلمون يشاركون في احتفالاتهم الدينية المشركة، وظلّوا يعملون بشعاراتهم الهندوسية، ويدعون رجالها إلى المساجد وعلى المنابر، وغير ذلك من أعمال، تنافي العقيدة

البيضاء النقية الطاهرة من أدران الشرك وأوحاله[١].

فلقد أدّت هذه المداهنة الفاسدة والاتحاد الباطل مع الهندوس المغرضين جوّاً ملائماً لرجال هذه الحركة، الذين كادوا يُزهقون روح الإسلام لولا عناية الله تعالى بحفظ دينه، بأنْ مَنَّ عليهم، فخلقَ من العلماء العباقرة من أهل السنّة والجماعة الذين نهضوا لهذه الحركة، ووقفوا في وجهها صامِدين أقوياء، ومن هؤلاء العلماء الشيخُ الدّاعِية محمّد عبد العَليم الصّديقي -رحمه الله- الذي بذلَ ما كان في وسعِه من جهد لإخماد هذه الفتنة، وفتح مراكز الدّعوة في عدّة مُدن هندية من "مَتْرا" و"آغْرَا" و"ممبئ" و"كَرْناتَكا" و"غُجرات" وغيرها[٢].

اعتنت جريدة "دَبْدَبَه سِكَنْدَرِي" الصادرة من "رَامْفور" وبالأخصّ عام ١٩٢٣م، حينما كانت حركة "شُدِهي" نشطة في شبابها، فنشرت الجريدة على صفحاتها المشرقة مقالاً عن مخاطر هذه الحركة، كما سلّطت الضوء على جُهود العلماء المخلصين للقضاء عليها، ومن أشهر هؤلاء العلماء: الشيخ الداعية محمد عبد العليم الصديقي، ونجل الإمام أحمد رضا الشيخ محمد مصطفى رضا خانْ، والشيخ العلاّمة نعِيم الدّين المرادْآبادي، والشيخ العلاّمة حَشمتْ علي وغيرهم من العلماء الأفاضل المخلصين, نضّرَ الله تعالى وجوههم، كما نضّروا وجهَ الإيمان بمساعيهم الجليلة.

---

(١) ينظر: مجموع المقالات عن حياة نجل الإمام أحمد رضا خانْ القادري، مفتي الهند الأعظم، الشيخ محمّد مصطفى رضا خانْ وأعماله، المسمّاة بـ"جَهَان مفتي أعظم"، مطبوعة رضا أكاديمي، ممبئي، ٢٠٠٨م، ص: ٨٩٥- ٨٩٦.

(٢) ينظر: مقال البروفيسر محمد أحمد الصديقي المنشور في مجموع المقالات عن الشيخ الميرتي، المسمّى بـ "عظيم مبلغ إسلام"، ص: ٢٥.

القضاء على الشيوعية المادّية:

من أعمال الشيخ العظيمة مساعيه الحثيثة لإخماد فتنة الشيوعية المادّية التي ترفض الدّين وتنكر وجود الخالق، فقد شهّر سيفه وأعلن جهادَه ضدّها، وسافر إلى أكناف العالم يُلقي محاضرات في بطلانها ومخاطرها، ويجمع القادة والزعماء لمحاربة الأفكار اللادينية، حتّى كسّر شوكتها وأخمد شعلتها، وأرغم أنفها، وأذاقها شرّ هزيمة على أرضها وأرض غيرها, وتأتي مساعيه لمحاربة الشيوعية على مستويات عديدة، منها:

أوّلاً: أسّسَ "منظّمة التوحيد" بين الدّيانات المختلفة، أثناء مكوثه في "سنغافورة" عام ١٩٤٩م، وأجمعَ ممثّلي الديانات في مؤتمر موضّحاً عليهم مخاطر الشيوعية، كما نشرتْ جريدة "Street Times" تقريرا عن المؤتمر في ١٩ آذار عام ١٩٤٩م، ونصُّ التقرير كالآتي: "ترأس المؤتمر السيّد مِيك دونالد، وجعله الأوّل من نوعه، كما أكّد على ضرورته وأهمتيه، واتفق جميع المشاركين فيه على التعاون المشترك"(١).

ومن خلال هذه المنظّمة أراد الشيخ كسر الشيوعية المادّية، وقد أصاب فيما أراد، وسنتكلّم عنها بالتفصيل حينما نتعرّض لجهود الشيخ السياسية على المستوى العالمي.

ثانياً: ألقى محاضرات قيّمة مُبطِلا أفكارها ونظرياتها في أكناف العالم، ومن أشهرها تلك المحاضرات ألقاها باللغة الإنجليزية عام

---

(١) ينظر: "سلطنت كا سفير"، ص: ٧٦.

١٩٥٢م، ونُشرت من إذاعة زنجبار الإفريقية بعنوان: "كيف يمكننا أن نواجهَ الاشتراكية"[١]، وهي التي طبعت فيما بعد، ونشرت في العالم.

بل الحقيقة أنّ فكرة الرّد على الشيوعية الإلحادية كانت مهيمنةً في خطباته، حتى اشتهر به على المستوى العالمي، كما نراه يُذكَر في نشرة دعائيةٍ أصدرته "جمعية مسلمِي أمريكا" قبل ذهابه إليها عام ١٩٥٠م، وهي التي تعرّفه قائلة: "سيصل سفير الأمن والخير الشيخ محمد عبد العليم الصديقي إلى أمريكا، يوم الأربعاء ١٩ آب/ أغسطس، الخامسة مساء بطيارة الخطوط الجوية الأمريكية، راجعا من "سرينداد" وهو ممثّل أهل السنّة والجماعة، وباحث الإنجليزية والعلوم العصرية، قد استقبلته جامعةُ الأزهر حين قدومه إلى القاهرة، ويأتي إلى إمريكا ليلقنَ أهاليها دروسَ الأمن والسلام، ويعلّم المسلمين التصوّف والأخلاق، وهو أحد المناهضين ضدّ الشيوعية والإلحادية"[٢].

وهي نشرة طويلة تقوم بتعريف الشيخ وخطاباته في أمريكا، كما تشير إلى شهرة الشيخ في مجال الردّ على الشيوعية والإلحادية.

وكذلك نراه ينصح المادّيين في إحدى خطبته الوداعية في "ماريشِس" عام ١٩٤٩م، قائلاً: "هذه الحياة لا بُدّ أن تنتهي، ولهذا عليكم أن تذكروا الله الذي منحَكم هذه الحَياة؛ فإنّ جميع مشاكل الدنيا التي يتحمّلها الإنسان لكونه غافلا عن الله تعالى وناسيا ذكرَه، فلا

(١) ينظر: "حياة عليم الرضا"، ص: ٥٤.

(٢) ينظر: "سلطنت مصطفى كا سفير"، ص: ٧٤- ٧٥.

تُغضِبُوه، يُنزل عليكم رحمةً وبركةً"[١].

ثالثاً: أرسَلَ رسالةً إلى أقوى الشخصيات المسيحية في كنيسة الفاتيكان الرئيسة، في "روما"، البطريق الثاني عشر للكنيسة الكاثوليكية في القاهرة، جمهورية مصر العربية، ونبّهه فيها على مخاطر المادّية الإلحادية، ودعاه إلى كلمة سواء بيننا، لمحاربة الفكر الشيوعي الإلحادي.

تمَّ إرسالُ هذه الرّسالة إلى الكنيسة الكاثوليكيّة في ٢٠ يناير ١٩٥٠م من شارع البستاني بالقاهرة، حيث كان الشيخ مقيما عند أحد أصدقائه الحاج محمد سالم، وقد نشرت الرسالة في الصحف المصرية[٢].

على هذا النحو يتابع الفكر الشيوعي الإلحادي قُطرا قُطرا، ويفنّد مزاعم الإلحادية، بالتصنيف والتأليف وبالخطب والمحاضرات، ويوحّد صفوف الديانات، وينظّم المسلمين وغيرهم، للقضاء على القوى الإلحادية، ويدعو العالم إلى الإيمان بالله الخالق العظيم.

* * *

---

(١) ينظر: "سلطنت مصطفى كا سفير"، ص: ٧٠.

(٢) ينظر: المرجَع نفسُه، ص: ٧٦ – ٧٧.

المبحثُ السابع

خدماته في مجال السياسَة

- سفير الأمن العالمي
- مساهمته في حركة الخلافة
- دوُره الرّيادِي في تأسيس الباكستان
- مساعيه لإيقاف القمعية ضدّ المسلمين
- مساعيه لإلغاءِ ضريبة الحجّ
- إيجاد التحالف بين الديانات
- سعيه الحثيث لتوحيد صفوف المسلمين

"سفير الأمن العالمي":

قبل أن نتحدّثَ عن خدماته السياسيّة لا بدّ أنْ نوضّح أنّ الشيخ لم يكن سياسيا يسعى للحصول على منافع مادية من مال ومنصب وجاهٍ، وإنما كان مدبّرا ومفكّرا لا يسعى إلا إلى إسعاد البشرية بالدّعوة إلى الله وتعمير الأرض بالمنهج القرآني الذي يكفل ضمان الأمن العالمي.

كما يشرح الشيخ نظرية الإسلام الأمنية قائلاً: "إنّ الإسلام لم ينتشر بالسيف، وإن كان كذا لم يبق كافر على أرض الهند؛ إذ إنّ المسلمين حكموها أكثر من سبعة قرون، مع أنهم كانوا في الأقلية، وإن رفع مسلمٌ سيفا في الماضي فالهدف منه دفاع عن الحرية أو دفاع عن النفس والمال

وصيانة العِرض، وليس غير"[١].

ولم يكتف الشيخ بإعلان هذه النظرية الأمنية فقط، بل سعى لتنفيذها في العالم أجمع، وفي ظروف حرجة للغاية، فالسنوات التي كانت نيران الحرب تلتهب فيها، والحرب العالمية الثانية كانت تأكل الناس كما تأكل النار الحطبَ، ولا تكاد تُطفيها المياه الدولية، نرى الشيخ يجوب العالم كلّه ليلقن الناس دروس الصبر وضبط النفس، ويعمّ رسالة الأمن والسلام، كما يقول النائب العام معترفاً بخدماته: "مَثَلُه -يعني الشيخ عبد العليم- في ظروف اليوم، التي يسود فيها العالم جوُّ الحرب والتنفير، مَثَل كتيبة من الجنود تريد أن تُنقذ الإنسانية من الحرب والدمار"[٢].

واعترافا لخدماته هذه لقب بسفير الأمن العالمي؛ لأنه بهذه النظرية المشرقِة قام بتجوال العالم كلّه من شرقه إلى غربه ومن شماله إلى جنوبه، يدعو الناس إلى الأمن والسلام بعيدا عن الحروب والمعارك، ونبذ الخلافات والنزعات، كانت لغتُه راقية لا تؤذي أحدا ولا تجرّح مشاعر أحدٍ، ولا تمسُّ بشرفِ شخصٍ، ولا تذكر رجلا بسوءٍ، بل يضمن للجميع خيرا في القول والعمل، يؤسّس لهم جمعيات خيرية، ومراكز التعليم والتثقيف، ويبني الملاجئ والدور للأرامل والأيتام، ويشير لتعمير المستشفيات الخاصة للنساء، كلّ ذلك لخدمة الإنسانية فحسب.

انظر إلى جمال أسلوبه الذي خاطب به أهل "جنوب إفريقيا" التي كانت تعاني من التمييزات العِرقية، حيث قال في إحدى خطبه: "لقد جئتُ في "جنوب إفريقيا" لخدمة الإنسان جميعا، من أيِّ عرق كانوا، سواء كانوا

---

(١) ينظر: "سلطنت مصطفى كا سفير"، ص: ٦٢.

(٢) ينظر: "سلطنت مصطفى كا سفير"، ص: ٦٢.

بيضا، أو سُودا، أو صُفرا، أو سُمرا؛ لأنهم جميعا سواء عند الله"[١].

وانظر إلى كلماتِ نصيحته الغالية التي نصح بها المسلمين الهنود المقيمين في "جنوب إفريقيا"، عن الإحسان إلى العمّال السّود قائلاً: "كما توظّفونَهم -العمّال السّود-، وتستعملونهم في بيوتكم ومحلاتكم، وتُعلّمونهم كيفية غسل الأواني والثياب، ليتّكم لو علّمتموهم تعليمات الإسلام أيضا، وعلمتموهم طريقة الغسل والوضوء الإسلامية، وعاملتموهم بالمساواة، وقدّمتم إليهم المساندات، ووقفتم بجانبهم، لَدخلَ هؤلاء جميعا في الإسلام، ولأصبحوا إخوانكم وأصدقاء لكم، إن تنصروهم ينصركم الله"[٢].

اقرأ هذه الكلمات وشمّ تلك النفحات التي تفوح بها هذه الكلمات الصادقة حبّا واحتراما للإنسانية التي سوّى الله تعالى بين كلّ جنس ونوع على لسان حبيبه النّبي صلى الله عليه وسلم، الذي قال: (أنتم بنو آدم وآدم من تراب)[٣].

وقال النبي صلى الله عليه وسلم أيضا: (يا أيها الناس ألا إنّ ربكم واحد، وإنّ أباكم واحد، ألا لا فضل لعربي على أعجمي ولا لعجمي على عربي ولا لأحمر على أسود ولا أسود على أحمر إلا بالتقوى)[٤].

---

(١) ينظر: المرجع نفسه، ص: ٦١ – ٦٢.

(٢) مقتطف من خطبته التي ألقاها في "بريطوريا" من "جنوب إفريقيا" ينظر: "سلطنت مصطفى كا سفير"، ص: ٥٨.

(٣) رواه أبو داؤد في سننه عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه. (ينظر: سنن أبي داؤد، طبعة دار الفكر، بيروت، باب في التفاخر بالأحساب، ٢/ ٧٥٢).

(٤) رواه الإمام أحمد بن حنبل في باقي مسند الأنصار عن أبي نضرة، أنه قال: حدّثني من سمع خطبة رسول الله صلى الله عليه وسلم في وسط أيام التشريق.... (ينظر: مسنده، طبعة مؤسسة قرطبة، القاهرة، ٥/ ٤١١).

انظر كم كان قلبه يفعم بحبّ الفقراء والمساكين والملهوفين من الناس، ألا هي الإنسانية، وهي سنّة نبينا -عليه أفضل الصلاة والتسليم-، وهي روح الدعوة والتبليغ.

والحقيقة أنه لا يُدرك قيمة هذه الكلمات في أجْواء "جُنَوب إفريقيا" إلا مَن له نظرة ثاقبة في تاريخ هذه الدّولة التعسة التي قهرت فيها الإنسانية إلى عقود من الزمن، ولم تلق حرّيتّها المنشودة إلا بعد التسعين بجهود نيلسن منديلا، الذي كافح طويلا لإنقاذ البلاد من التمييزات العِرقية.

إذن بعد أن نلقي نظرةً على تاريخ هذه البلاد نقول: إن الشيخ الميرتي هو الذي ألقى نواة التحرير من العبودية والتمييز العنصري, وهو الذي زرع فكر الإصلاح والتعمير فيها، وإنّ جهوده هي التي مهّدت السبل لأمثال منديلا ليأتي يوماً تعلن فيه الدولة عدم التفريق بين الأسود والأبيض.

هذه هي سياسته بمعنى الكلمة، سياسة إسلامية وإنسانية، نظيفة طاهرة، لا تدنّسها أهواء نفسانية ولا تكدّرها أجواء فاسدة، ولا تفرّق بين إنسان وإنسان لكونه إنسانا محضا، ولا تميّزُ بين شخصٍ وآخر، إلا على أساس الإيمان والتقوى.

مساهمته في حركة الخلافة:

قبل أنْ نتحدّث عن مساهمة الداعية الشيخ محمد عبد العليم الصديقي الميرتي في حركة الخلافة لا بدّ لنا من أن نزيح الستار عن وجهها، ونكشف عن خلفيتها التاريخية بالإيجاز.

في الحرب العالمية الأولى التي اشتعل فتيلها في عام ١٩١٤م، وشارك فيها الأتراك ببطولاتهم المثالية، وخاضوها بقواهم القاهرة، إلا أنّ

هذه الحرب وضعت أوزارها دون أية نتيجة مبتغاة عام ١٩١٨م، وخلفت وراءها مخلفات قذرة لم تضرّ بها إلا السلطنة العثمانية.

وذلك لمّا دخل نوع من الحرص الذاتي، وحلّ الفساد الإداري في كيان السلطنة العثمانية، بدأت تتضعضع أسسها، وأصبحت تتعرّض لسياسيات المملكة المتحدة الظالمة التي كانت تترصد بالمسلمين ضررا، فانجرّت السّلطنة إلى حرب أهلية انتهت بالقضاء على تلك السلطنة التي دامت حوالي أربعة قرون تلمّ شمل المسلمين وتمنحهم العزة والقوة والشموخ وترفع كلمتهم.

كانت هذه الأحوال اليائسة، والأوضاع الحرجة التي كانت السلطنة تمرُّ بها، وكان طبيعيا أن يتأثر بها المسلمون في الهند، كما تأثّرَ بها المسلمون في البقاع الأخرى من العالم؛ إذ إنّ المسلم أخو المسلم، كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسّهر والحمّى.

إلى هنا كان الأمر طبيعيا، والتأثرّ من أحوال الأتراك الحرجة كان من الدّافع الإسلاميْ، ومدُّ العون ماديا ومعنويا كان من فرائض المسلمين وواجباتهم الإيمانية والخلقية.

وأداءً بهذه المسئولية الدّينية والخلقية قامَ في الهند الشّيخ عبدُ الباري الفرنكي المحلي اللكنوي[١] بتأسيس "حركة الخلافة" عام ١٩١٩م، نصرةً للسّلطنة العثمانية، وتأيداً لها، وانضمّ إلى هذه الحركة جهابذة العلماء الهنود من أمثال: الشيخ محمد علي جوهر[٢]، وشوكت

(١) مرّت بنا ترجمته.

(٢) هو محمّد علي جوهر، تولد في "مرد آباد" عام ١٨٧٨م، مات أبوه في صغره فتولت امّه تربيته وتعليمه، فاحسنت وأجادت، درس في عليجراه، ثمّ ذهب إلى

علي جوهر[1]، والشيخ حسرت موهاني[2]، والشيخ عبد الماجد البدايوني[3]،

إنكلترا، حيث حصل على شهادة البكالوريوس في جامعة أكسفورد، رجع إلى الهند، واشتغل بوظائف عديدة، ولكنه انضجر منها فانتقل إلى كولكتا وأصدرَ جريدة أسبوعية باللغة الإنكليزية "كامريد" عام ١٩١١م، وجريدة باللغة الأردية "همدرد". وحينما أثيرت الفتن ضد السلطنة العثمانية تأثرَ كثيرا، حتى انضم إلى حركة الخلافة، وجاهد ضد الإنكليز، وذهب إلى انكلترا للمساهمة في المؤتمر حيث أعلن فيه أنه لن يرجع إلى الهند حتى تتحرر من الاستعمار، وشاء القدر أن يتوفى في لندن شهر يناير عام ١٩٣٠م، وألحّ مفتي فلسطين سيد أمين الحسيني على أخيه الأكبر الشيخ محمد شوكت علي أن يُدفن الشيخ محمد علي جوهر في بيت المقدس، فقبل طلبه وحمل نعشه إليها، وصلي عليه في المسجد الأقصى ودفن في مقبرته. (ينظر: كتاب " مولانا محمدعلى كى ياد مىں"، تأليف: سيد صباح الدين عبد الرحمن، مُطبعة معارف أعظم جراه، يوفي، الهند، الطبعة الثانية عام ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م).

(١) هو الأخ الأكبر للشيخ محمد علي جوهر، وُلد ببلدة "رامفور"، اتربرديش، الهند، عام ١٨٧٣م، انضمّ إلى حركة الخلافة، وأدّى دورا رياديا في تحرير الهند مع أخيه الصغير الشيخ محمد علي جوهر، مات عام ١٩٣٨م.

(٢) هو سيد فضل الحسن، المعروف بـ "حسرت"، الملقب بـ "سيد الأحرار"، والمنسوب إلى "موهان" البلدة التي وُلد فيها، وهي من مديرية "أناؤ"، ولاية اتربرديش، الهند عام ١٨٧٥م، تخرّج في جَامعة مسلم بمدينة علي جراه، وأصدر في العَام نفسه مجلّة باللغة الأردية، قال الشعر مبكرا، وتقدّم في الغزل العذري، حتى عُدَّ من روّاده، ساهم في سياسة البلد، وتصدّى للإنكليز، فاعتقل مرارا، عاشَ حياةَ زهدٍ وقناعةٍ، غير طامع في مالٍ وجاهٍ، مؤمنا متصوفا مجاهدا بطلا، توفي عام ١٩٥١م- رحمه الله.

(٣) هو أحد أحفاد سيدنا عثمان بن عفان - رضي الله عنه - في الهند، وُلد في مدينة "بدايون"، ولاية اتربرديش، الهند، في ٤ شعبان المعظم ١٣٠٤هـ، نشأ تحت تربية العلّامة عبد القادر البدايوني، وتلقى العلوم الابتدائية من الشيخ عبد المجيد البدايوني والمفتي إبراهيم البدايوني، وأكمل الدرس النظامي عند الشيخ محب أحمد البدايوني، تخرّج عام ١٣٢٠هـ، ثم ارتحل إلى دلهي ومكث فيها حوالي سنتين تعلم خلالها

والشيـــخ نثار أحمـــد الكانـفـوري[1]، والمفتـــي كفـايـة الله الدهـــلوي[2]،

الطب عند الحكيم غلام رضا خان، والحكيم عبد الرشيد، حاز على شهادة الطب عام ١٣٢٢هـ، نشط في السياسة، وقاوم حركة شدهي، وساهم في حركة الخلافة، وزار البلاد العربية الإسلامية، واهتمّ بالقضايا الإسلامية العالمية، انتقل إلى رحمة الله في ٣ شعبان المعظم عام ١٣٥٠هـ/١٤ ديسمبر عام ١٩٣١م، ودفن في مقبرة أسرته ببلدة "بدايون". رحمه اللهُ رحمة واسعة. (تذكرة علما أهل السنة، ص: ١٤٦-١٤٩).

(١)هو الشيخ نثار أحمد ابن الشيخ أحمد حَسَن الكَانفوري، وُلد في مدينـة "كَانفور"، الواقعة في الولاية الشّماية من الهند، عام ١٢٩٧هـ/ ١٨٨٠م، تعلم الكتب الابتدئيّة عند أبيـه، ثمّ قرأ كتبَ "الدرس النِّظـامي" علـى الشيخ عبد الله البَهَـاوَلفوري، والقاضـي عبد الرزّاق الكَـانفوري، ودرس كتبَ الحديث الشّريف على الشيخ المحدِّث وصِي أحمد السُورَتي، وتخرج علـى يديـه، اتّصل بالإمـام أحمد رضـا, وبايعَه في الطريقة القادريّة، ومُنح بالإجازة والخلافة. قدّمَ خدمتَه خطيباً ومفتياً في "الجامع الملِكي" ببلدة "آغرَهْ"، وسـاهَم فـي سياسـة البلـد، وبـالأخص بعد حادثـةِ هدمِ المسجد المشـهور فـي مدينة "كَانفور"، الذي هدمَها الإنكليز عـام ١٩١٣م، ممّا اندلعت ثـورةٌ عارمـةٌ ضدَّ القوّة الإنكليزيّة الغاصبة، فكان الشيخ في طليعـة المناضِلين ضدَّ الاحتلال، وأعمالِه القمعيّة، وكان يكره الإنكليزَ ويسعى سعياً حثيثاً لطردِهم من الهند، ويساهِم فـي كلِّ حركةٍ ضدَّهم، ممّا جَرَّه الإنكليزُ إلى محكمـة "كراتشي"، حيث أصدَر القرارَ لحبسِه سنتَين عام ١٩٣١م. خرج حاجّاً إلـى بيت الله الحرام عام ١٩٣١م، حيث تـوفي حين رجوعِه في "جدّة"، ودُفن فيها. (تذكرة علماء أهل السنة، ٢٥٤، وتـذكرة خلفـاء أعلـى حضرة، ص: ٣٥٠ _ ٣٥١).

(٢) هو كفاية الله بن عناية الله بن فيض الله الحنفي الشاهجهانفوري، ثم الدهلوي، ولد فـي ١٢٩٢هــ بشـاهجهانفور، الهنـد، درس علـى الشـيوخ فـي ديوبنـد وغيرهـا مـن المدارس، توجّه إلى دهلي وتعين مدرّسا في المدرسـة الأمينيـة، ثم آلت إليه إدارتها، وكانت له ميل إلى السياسة، فساهم في حركة الخلافة، وكـان من كبار المنتصرين للمؤتمر الوطني الهندي الذي كان يتزعمها غاندي، مات في ١٣ ربيع الثاني عام ١٣٧٢هـ. (نزهة الخواطر، ١٣٣٢/٨ -١٣٣٤).

وأبو الكلام آزاد[١]، وغيرهم من الزعماء والقادة[٢].

وبانضمام هؤلاء انتشرت الحركة في ربوع الهند انتشار النار في الهشيم، وأخذت مكانا في قلوب العامّة من الهنود، وانضمّوا تحت لوائها مندفعين من عاطفة قوية صادقة، وكان ينبغي لأرباب هذه الحركة أن يوظّفوا عاطفة المسلمين الهنود توظيفا محمودا، على أرض الواقع ودَاخل الحدود الإسلامية، لكنهم بالغوا حينما عبّروا عن السلطنة العثمانية أنها "خلافة" مثل خلافة الخلفاء الرّاشدين، ورأوا أنّ القرشية ليست شرطا للخلافة الإسلامية، وصاغوا لها تعابير وأدلة على مدار فهمهم الخاطئ، ولم يفرّقوا بين الخلافة والسلطنة، وبالغوا موقفهم هذا، حتى خُيّل للناس أنّ الخلافة شرط للوقوف بجانب الأتراك، ومد العون إليهم.

وعلى صعيد آخر استُغِلّت هذه الحركة من قِبل الزّعماء الهندوس للمصالح الهندوسية على حساب المسلمين ودمائهم المخلصة وأموالهم الباهظة التي ضحّى بها المسلمون في سبيلها.

---

(١) هو أحمد بن خير الدين، المعروف بأبي الكلام آزاد، سمّاه أبوه بـ "غلام محي الدين"، ولد ونشأ في كلكته، كان داهية، حادّ الذهن، خالف أباه في صغر سنه، فغضب عليه وأقصاه، فنهج لنفسه مسلكا جديدا على خلاف ما كانت أسرته الخيرية، ساهم في حركة الخلافة ونشط في المؤتمر الوطني الهندي، وتعيّن رئيسا لها، جاهد ضد الإنكليز، وكان كاتبا قديرا باللغة الأردية، له أسلوب منفرد، أصدر مجلة "البلاغ"، و"الهلال"، و"الرسالة"، وله ترجمة للقرآن الكريم، مات في شعبان عام ١٣٧٧هـ بدهلي، ودفن في الرحبة التي تواجه المسجد الجامع. (نزهة الخواطر، ١١٦٩/٨ ـ ١١٧١).

(٢) ينظر: "الإمام أحمد رضا وأفكاره الجديدة"، للشيخ يسين أختر المصباحي، ص: ١٤٥.

وأمّا قادة الحركة المسلمون فتداهنوا مع الهندوس المشركين عبّاد البقر، حتى ذابوا ذوبان الملح في الماء السّاخن، وضاعت شخصيتهم الإسلامية وانماعتْ شعائرهم الدينية، بل بلغ السيل الزبى حينما أخذ قادة حركة الخلافة المسلمون يتخلقون بأخلاق المشركين ويتزينون بشعائرهم الدينية ويحترمون رجالات هندوسية، ويجلبونهم إلى منابر المساجد، وغير ذلك من أعمال تناهض الإسلام وغيرته.

أشارَ الشيخ كوثر نيازي إلى حقيقةٍ مهمّةٍ تكشف القناع عن حركة الخلافة وأهدافها الهندوسية السرّية التي لأجلها أثيرتْ هذه الحركة، فقال: (إنّه من عجب العجاب أن قيادة حركة الخلافة كانت بيد غاندي، الرجل الذي لم يكن راضيا أن يعطي المسلمين شبراً من أراضي الهند، هو الذي يسعى إلى تحقيق خلافة المسلمين على المستوى العالمي؟!) (١).

في مثل هذه الحالات الحرجة وقف شيخُ الإسلام والمسلمين الشاه الإمام أحمد رضا خان القادري موقفا معتدلا، دعا إلى نصرة السلطنة العثمانية ككونها سلطنة إسلاميّة، ولكنه منع من المداهنة الطامعة مع الهندوس، وحرص على التمسّك بالعقيدة والشعائر الإسلامية، وشرح لهم أنّ الخلافة ليست شرطا للوقوف بجانب الأتراك، بل ينبغي لمسلم أن ينصر أخاه المسلم، سواء كان حاكما أو محكوما.

---

(١) ينظر: "الإمام أحمد رضا شخصية موسوعية" (أعلى حضرت فاضل بريلي ايك همه جهت شخصيت)، للشيخ كوثر نيازي، مطبوعة مكتبة رضاء مصطفى الباكستان، ص: ١٤.

أنظر ما قاله في نصرة الأتراك: (إنّه ينبغي للمسلمين أن ينصروا ويؤيّدوا السلطنة العثمانية - أيّدَها الله تعالى -، لا بل عليهم أن يؤيدوا كل سلطنة إسلامية، بل كل جماعة إسلامية، بل كل فرد من أفراد المسلمين)[١].

وحينما أخذ العاملون يجمعون تبرعات الناس في مدينة "بريلي" لمساندة الأتراك، ساهم فيها الإمامُ مع أبيه الكريم العلّامة نقي علي - رحمهما الله - بمبالغ كبيرة لم يساهم مثلها غيرهما من العلماء[٢]، وحثّ المسلمين على أن يجمعوا راتب شهر من رواتبهم السنوية، ويساندوا به الأتراك، لكي لا يثقل عليهم، ويمكن لهم مساعدة إخوانهم في الدين[٣]، كما أسّس جمعية "أنصار الإسلام"، لتقف الجمعية ناصرةً للسلطنة[٤].

ولكنه مع ذلك أبى أن يسمّيَ السلطنة العثمانية بالخلافة؛ وذلك لأن السلطنة كانت تفقد إحدى شروط الخلافة، وهي القرشية، التي ثبتت من الحديث الصحيح الذي لا يرقأ إليه شكٌ متناً ولا سندا، ولما أن الإمام كان حريصا أشدَّ الحرص على حفاظ السّنة النبوية المطهّرة، لم يستطع أن يتجرّأ مخالفة الحديث الصحيح، كما تجرّأ غيرُه من العلماء؛ لأن حب النبي صلى الله عليه وسلم الذي كان يملأ به قلبه الصافي وقف دون هذه

---

(١) ينظر: "دوام العيش في الأئمة من قريش"، للإمام أحمد رضا البريلوي، مطبوعة حسني بريس، بريلي، ص: ١٣- ١٥.

(٢) ينظر: "حياة أعلى حضرة"، للشيخ ظفر الدين البهاري، مطبوعة الإمام أحمد رضا أكاديمي، بريلي، عام ١٤٣٥هـ/ ٢٠١٤م، ١٢/٣ – ١٣.

(٣) ينظر: "حياة أعلى حضرة"، ٢٣/٣.

(٤) ينظر: "بركات مارهرة"، تأليف: سيد ميان محمد المارهروي، مطبوعة بريلي، ١٣٤٠هـ، ص: ١٢.

الجرأة، وهذه هي علامة المؤمن الصادق الذي يفي مع الحبيب صلى الله عليه وسلم في كل لحظة بالحفاظ على سننه وأقواله والالتزام بنواميس شريعته.

إذن كان الإمام أحمد رضا مخالفا لحركة الخلافة لوجهٍ شرعيٍّ، ولا يعني هذا أنه كان مخالفا للأتراك، كلّا، بل كان ممن يساندونهم ويُمِدّونهم ويدعون لهم بالخير.

قلنا إنّ كثيراً من المسلمين اندفعوا للانضمام إلى لواء هذه الحركة دون أن يفهموا أبعادها وأهدافها السرّية، ولكنهم كلما أدركوها رجعوا أدراجَهم، وخلعوا لباس العهد والوفاء لها، إلا أنّ كثيرا منهم – وللأسف الشديد - لم يهبوا من نومهم العميق حتى سقطت الهند في أيدي الكفرة المشركين، ولم يلاق القادة المسلمون سوى الخزي والعار، فتأسّفوا كلَّ الأسف، ولكنه ما الفائدة منه بعد فوات الأوان.

اقرأ ما كتبه الندوي في "نزهة الخواطر" عن المفتي كفاية الله الدهلوي الذي كان من أنشط الأعضاء لحركة الخلافة، وأكثرهم تحمّسا للمؤتمر الوطني الهندي تحت زعامة غاندي: (وقد استقلت الهند سنة ست وستين وثلاث مائة وألف، وقامت الحكومة الوطنية، وقد آلمه ما رأى من خيبة الأمل في الذين كافح معهم في تحرير البلاد وفي تعايش الشعوب المختلفة في البلاد تعايشا سلميا وديا، فكسّر ذلك خاطره، وانصرف عن المحافل السياسية، واعتزل في البيت عاكفا على العلم والإفتاء والذكر والعبادة حتى وافته المنية)[١].

---

(١) نزهة الخواطر، ١١٧١/٨.

وليست هذه عاقبة المفتي كفاية الله وحده، بل هي عاقبة جميع أقرانه من القادة المسلمين الذين انخدعوا من القادة الهندوس، وتميعت شخصياتهم، ولم يجدوا لجهودهم جزاء سوى خيبة الأمل.

أنظر! هذا أبو الكلام آزاد، الذي جعله الهندوس رئيسا للمؤتمر الوطني الهندي فظنّ أنه أحرز كلّ شيء، ولكنه حينما خاب أمله بعد تحرير الهند اعتكف في البيت، جاء في نزهة الخواطر: (وحدثت اضطرابات هائلة وحروب طاحنة ومذابح طائفية تقشعر له الأبدان ويشمئز منها الوجدان قصمت ظهر أبي الكلام وهدأت ثائرته وفترت همته ونشاطه فلزم البيت)[١].

هذا الذي نبّهَ عليه الإمام أحمد رضا، وحذّرَهم من دهاء الهندوس ومكرهم، ونواياهم الخفية، ولكن القادة المسلمين آنذاك لم يصغوا لما نصحَهم به الإمام، بل رموه بأنواع من التهم، وكذّبوه، وأخلصوا للكفّار كلّ الإخلاص، كأن قلوبهم أشربت حبّ الكفار.

وعَلى منهج جماعة من العلماء اندفع الشيخ الميرتي أيضا إلى حركة الخلافة تمشيا مع الظروف ومتأثرا بالأوضاع، وساهم فيها مع أخويه الكبيرين الشيخ أحمد مختار الصديقي[٢]، والشيخ نذير أحمد الخجندي[٣]، لكنهم سرعان ما انفضوا عنها.

---

(١) نزهة الخواطر، ١٣٣٣/٨.

(٢) مرّت بنا ترجمته بالتفصيل.

(٣) هو الشيخ نذير أحمد الميرتي، الأخُ الأكبر للدّاعية عبد العليم الميرتي، قرأ الكتب الابتدائية على والده، وأكملَ دراسته في المدرسة الإسلامية العربية، ببلدة "ميرت"

وقد قام هؤلاء الإخوة الثلاثة بتقديم تبرّعات ضخمة لصندوق الخلافة المركزي، يُقدّر بثلاث مائة ألف روبية، عام ١٩٢١م، واعتقلوا عام ١٩٢٢م جزاء لنشاطهم السياسي وتصدّيهم للإنكليز[١].

ولا شَكّ أنّ هذه التضحية المالية والبدنية المثالية كانت ثمرة لعاطفة الحبّ الديني والوطني، تلك العاطفة الجياشة التي بعثته على النهضة الجريئة ضدّ الاستعمار البريطاني مع كبار من علماء أهل السنة والجماعة من أمثال الشيخ عبد الماجد البدايوني، والشيخ عبد الباري الفرنكي المحلي، والشيخ نثار أحمد الكانفوري، وغيرهم، بل جرّته عاطفتُه الوطنيّة الصادقة إلى التكاتف والمساندة مع الشيخ محمد علي جوهر، والشيخ شوكت علي، والعمل معهما إلى مدّة من الزمن[٢].

إلّا أنّه تراجعَ عن تأييدِه لحركة الخلافة[٣] حينما بَدأتْ تُستَغلّ هذه الحركة للمصالح الهندوسيّة، وأصبحتْ عرضة للأهداف السياسية الذاتية، وتحوّلت المداهنة السياسية مع الهندوس إلى سمّ قاتلٍ للعقيدة البيضاء والفكر

عند الشيخ نور أحمد، اتجه إلى ميدان الصّحافة، فأصدر جريدة "التاجر" من ميرت، وجريدة "غالب" من ممبئي، وقضى أكثر أيّامه إماما وخطيبا في جامع خير الدين، ممبئي، رزق بموهبة الخطابة والمناظرة، سافرَ إلى بورما للدّعوة والإرشاد، انتقل إلى المدينة المنوّرة قبل وفاته بسنةٍ ونصف، وتوفّي فيها عام ١٣٥٥هـ ودفن في البقيع. (تذكرة علماء أهل السنة، ص: ٢٥٠).

(١) ينظر: تذكرة علماء أهل السنة، ص:٣٣. و"تذكرة أكابر أهل السنة"، ص: ٢٤٠.

(٢) ينظر: امام أحمد رضا أرباب علم ودانش كى نظر ميں (الإمام أحمد رضا عند أرباب العلم والنظر). تأليف: الشيخ ياسين أختر المصباحي، مطبوعة رضوى كتاب گـهر ، دلهي، الطبعة الثامنة عام ٢٠٠٢م، ص: ٦٧.

(٣) ينظر: هامش كتاب "مبلغ اسلام" للأستاذ خليل رانا، ص: ٢٣.

الإسلامي النيّر، وبدأت فتنة الارتداد ترفع رأسها الشيطاني في صورة حركة "شدهي" التي تولدت من بطنها.

في هذه الظروف الحرجة وَقف الشيخ الميرتي مجاهدا باسِلا في وجه حركة "شدهي" التي خطّطت لإرجاع المسلمين السّذج إلى عقيدة الهندوسية المشركة، وبذل كلّ ما كان في وسعه من جهد لمقاومتها، حيث نراه يؤسّس المراكز الدّعوية في مناطق الهند المختلفة من "ممبئي"، و"كرناتكا"، و"أحمد آباد"، وغيرها، وبجهوده المباركة نجا أهالي هذه المناطق من فتنة الارتداد[1]، كما تحدّثنا عن ذلك في غير هذا الموضع.

دوره الرّيادي في تاسيس الباكستان:

كان الشيخ عبد العَليم الصّديقي من طليعةِ علماء أهل السنّة، الذين سعَوا لتحقيق دولةٍ إسلاميّةٍ تحكمها الرّسالاتُ الإلهيّة الخالدة، وتكون أنموذجة للعدل والإنصاف على خارطة العالَم.

والحقّ أنّه لو لم يؤيّد علماءُ أهل السنّة لتأييد الباكستان، لما ظهرتْ هذه الدّولةُ على خارطة العالَم الجديدة؛ فإنّهم أيّدُوها، وبذلوا قُصارى جهودهم في تحقيقِها؛ فقد نجحُوا فيما سعَوا؛ وذلك لأنّهم كانُوا وما زالُوا أصحابَ النفوذ على العقول الهنديّة العَامّة، الذين يحترمون علماءَهم في الإطار الدِّيني.

فقد شارَك العلاّمةُ الدّاعية في المؤتمر السُّني لعموم الهند في مدينة "بَنَارَسْ" عام ١٩٤٦م، وأعلَن مِن عَلى منصتِه دعمَه وتأييدَه لتأسيس دولةٍ

(١) ينظر: "امام احمد رضا ارباب علم ودانش كى نظر میں"، ص: ٦٧.

إسلاميةٍ "الباكستان"[١].

وقد تحققت مساعِيه وجهودُ غيره من العلماء والقادة في تثبيت دولةٍ في الخارطة العالمَيّة باسم الإسلام، وانقسمت الهندُ جزئين: الهند والباكستان، وبدأت الهجرةُ الفوضويّة، خرجَ المسلمون إلى الباكستان والهندوس إلى الهند بدون البرامج المخطَّطة، ممّا عرّضَ كثيرٌ من النفوس البشرية للقتل والنهب والدّمار من الطرفين، إلّا أنّ نصيب المسلمين في الخسائر كان أكثر، فإن ما تكبّدوه قد لا يحدث في التاريخ إلا قليلا نادرا، كلّ ذلك حدثَ جرّاء التقسيم الذي قصم ظهور المسلمين في شبه القارة الهندية وحطّهم من قيادة الأمة إلى الخضوع والتسليم.

ومن جملة المهاجرين إلى الباكستان الشيخ المِيرتي، الذي وصل إلى "كراتشي" في رمضان المبارك، وصلّى بالنّاس أول صلاةِ عيد بعد إعلان التحرير، وكان قد حضر في هذه الصّلاة الزّعماء البارزون من مؤسّسي الباكستان، منهم القائد محمد علي جِناح[٢].

وبعد تأسيس الباكستان أرسَله القائدُ محمد علي جِناح ممثّلاً للباكستان إلى الدُّول الإسلاميّة[٣]، فأبلغ صوتَها في الخارج، وفاوَض القادةَ العرب والمسلمين، ودافَع عن حركة الباكستان، والتقى بالمفتي الأعظم السيّد أمين الحسَيني، وحَسَن البنّا، ورئيسَ الأردن الملِك عبد الله -والِد الملِك حسين- وغيرهم من العلماء والقادة، ووضّح موقفَه تُجاه إنشاء دولةٍ تحكمُها القوانين

---

(١) ينظر: "تذكرة أكابر أهل السنة"، ص: ٢٤١.

(٢) ينظر: "تذكرة خلفاء أعلى حضرة"، ص: ١٦٠ – ١٦١.

(٣) ينظر: المرجَع نفسُه، ص: ١٦٠.

الإسلاميّة، ونظرا إلى جهوده هذه لقبوه بـ"سفير الإسلام"، الذي يُوحي إلى دوره الفعّال في تكوِيْن الشخصيّة الباكستانية إسلامية خالصة[١].

والحقّ أنّ الشيخَ المِيرتي تعلّق قلبُه بالباكستان، ووَقَرَ حبُّها في أحشائه، وبدأ يحلم بها في ليلِه ونهاره، خالصاً لوجه الله تعالى وإعلاءً لكلمتِه؛ لأنّه كان يجزم ويتيقن بأنّه لا بدّ للإسلام والمسلمين في شِبه القارّةِ من مأمنٍ يأمن فيه المسلمون من شرِّ الأشرار, ويكون لهم فيه شأنٌ ويسود النظام الإلهي، ولهذا كان يناجي ربَّه فيقول: "اللّهم احفظْ دولة باكستان حرّة صغيرة منحتَنا إيّاها بخالصِ عنايتِك، واجعلها دولةً أمميّةً وقوميّة، ودولةً إسلامية بمعنى الكلمة، اللّهم اجعلها سلطنةً إسلامية ومملكةً إلهيّة، حيث تجري أحكامُك، وينفذ نظامُك، ويعلو عَلَمُ دِينِك، ويرفع ذكرك إلى أبد الآباد، يا ربِّ يا ربِّ! ارْحَمنا وتقبَّل دعاءَنا"[٢].

بهذه الكلمات الخالصة والألفاظ الصّادقة يتجلى لنا وللجميع, أنّ الشيخ المِيرتي لم يُرِد من الباكستان دولةً عِلمانية، كما لم يبتغِها للأهداف الشخصيّة، وإنّما أرادها دولةً يحكمها القانونُ الإلهي، وليس القانونُ البشري العاجِز، وتكون ملجأً للإنسانيّة, ومنارةً للحقّ والإنصاف.

وتَكْمِيلا لأهدافه الإسلامية النبيلة سَعى إلى تنفيذ القوانين الإسلامية، وأشرفَ على جماعةٍ من العلماء المكلّفين بإعداد مسودة قانونية، يكتب الأستاذ المرزا إرشاد حُسين العليمي نقلاً عن جريدة "جَنْكْ" الصّادرة من

---

(١) ينظر: "تذكرة أكابر أهل السنة"، ص: ٢٤١.

(٢) ينظر: "تذكرة خلفاء أعلى حضرة"، ص: ١٦١.

"رَاوَلبِنْدِي" في ٢٧ يناير عام ١٩٧١م: أنّ الشّيخ الميرتي رجع من أسفاره الدعوية الطويلة حول العالم، وشارك في مؤتمر "كراتشي" الذي حَضرَ فيه علماءُ السِند، والبنجاب، والباكستان الشرقية -بنغلاديش حالياً-، واتفقوا على إعداد مسودّة قانونية للجمهورية الإسلامية الباكستان، تحكمها الشريعة، وشكّلوا لذلك جماعةً من العلماء المسلمين تحت إشراف الشيخ محمّد عبد العليم الميرتي، ومن أشهر هؤلاء العلماء: العلاّمة عبد الحامد البدايوني، والعلاّمة أبو الحسنات القادري، والعلاّمة سَعيد أحمد الكاظمي، والخواجه قمر الدّين السّيالوي وغيرهم، وقد نجح هؤلاء العلماء في إعداد دستور جامع للقوانين الإسلامية، ثمّ قدّموها إلى القائد السياسي محمّد علي جناح، إلا أنه مَات قبل أن يفيَ ما طلبه علماءُ ذلك الوقت، وعلى رأسهم الداعية المفكّر الشيخ محمد عبد العليم رحمهم الله جميعاً[1].

وممّا يدلّ على صدق عواطفِه الدِّينية المخلصة تُجاه الباكستان أنّه لم يقبل كرسيّاً من مناصب الدّولة، كما فعل غيرُه، وإنّما رفض هذا الشّيءَ رفضاً باتّاً, فهو يقول في إحدى خطبه: "مما يشاع بالادّعات الكاذبة: أنّ العلماء يستهوون السُّلطة ويبتغون المناصِب، فلتأذنوا لي لأعلِن للعالَم أجمَع من قبل العلماء العاملين على هذه الأرض: أنّ العلماءَ لم يتمنَّوا منصباً في الدّنيا لذوَاتِهم، ولن يتمنّوها أبداً -إن شاء الله-، فهم لا يبتغون إلا سلطة للدِّين، ولا يريدون إلاّ نفوذاً لكتاب الله ورسولِه صلى الله عليه وسلم..."[2].

ولي أن أقولَ هنا: إنّ الباكستان ما زالتْ محافظة على ماء وجهها،

---

(١) ينظر: حياة عليم الرضا، ص: ٥٠.

(٢)ينظر: المرجَع نفسُه، ص: ٦٣.

بفضل دعاء الصّالحين من أمثال هؤلاء المخلصين: الشيخ المِيرتي وغيره من العلماء الأجلّة العاملين, وإلاّ فلا يسع لنا غيرَ أن نأسَفَ أنّ الرؤيا التي رآها علماؤُنا لم تتحقّق إلى يومنا هذا، فقد أنشئت الباكستان ولكنّها لم تحقق أحلامُ منشئِيها، ظهرت على الخارطة باسم الجمهوريّة الإسلامية، ولكن الإسلامَ بعيدٌ عنها بأصولِه وأنظمتِه، فالمعارك طاحنة، والأصول الإسلاميّة مطروحة، والأمن مفقود، وأصبَح القتلُ والنهبُ والدّمار شيئاً مألوفاً، والسّاسة مغرضون, لا تهمّهم إلاّ أهواؤُهم النفسانيّة، يؤثِرون أنفسَهم على الدِّين والدّولة، فينجرون وراءَ الغرب الذي لا يريد بهم إلاّ سُوءاً، وأصبحت التقاليد الغربيّة أعزّ عندهم من الآداب الإسلاميّة الرّفيعة، وما إلى ذلك من أمور، إلاّ مَن رحِم ربِّي الغفور.

مساعيه لإيقاف إراقة دماء المسلمين الهنود:

حينما تعرّضَ مسلمُو الهند للقتل والنهب من قِبل الهندوس المتطرّفين، غضون ١٩٤٥ ـ ١٩٤٧م، لم يسكت الشيخ أمام هذا الحادث، وإنما سافر إلى الهند والتقى بـ"جواهر لعل نِهْرُو" ورفع أمامه صوتَ الاحتجاج ضدّ القمعية التعسّفية التي قام بها المتطرّفون الهندوس مِن قتل المسلمين، ونهب أموالهم، وإحراق بيوتهم، وما إلى ذلك من المساوي التي تعرّضَ لها مسلمو الهند، ودعاه لإيقاف العمليات الإرهابية فوراً، واحترام آثار المسلمين من المساجد والمقابر، كما خاطبَ في عِدّة مُدن هندية من ممبئي ومدراس وغيرها، ونظّم شؤونهم، وشجّعهم مواسياً على مقارعة الظروف بالصبر والإيمان[١].

---

(١) ينظر: "مبلغ إسلام ..."، ص: ٤٢. و"حياة عليم رضا"، ص: ٤٨.

ويبدو من كتاب "حياة عليم الرضا" للأستاذ إرشاد أحمد العليمي أنّ الشيخ التقى بـ"جواهر لعل نهرو" مرتَين، الأولى عام ١٩٤٥م[١]، والمرة الثانية عام ١٩٤٨م[٢]، وناقشه كلّ مرّة في ظروف المسلمين الأمنية، وقضاياهم الوطنية، وطالبَه بإيقاف إراقة الدماء فورا.

هذا يدلّ على شعوره المرهف وإحساسه العميق بآلام المسلمين التي مرّ بها الأبرياء منهم، كما يدلّ على شعوره السياسي البالغ من أنّه وصل إلى قيادة الهند العُليا مباشرةً ليكون لقاؤه مؤثرا وإيجابيا وفعالا، فجزاه الله تعالى عنّا وعن المسلمين خير الجزاء.

مساعِيه لإلغاء ضريبة الحجَّاج:

فرضَت المملكةُ العربيّة السعوديّة في عهد الملِك عبد العزيز بن سعود ضرائب فادحة على الحجّاج الكرام في الخمسينيات من القرن العشرين، ممّا اضطرّ العلماءُ المسلمون على المستوى العالمي أن يرفعوا أصواتَهم ضدَّها، منهم الدّاعيةُ الإسلامي الشيخُ عبد العليم الصّديقي، الذي سافر إلى المملكة عام ١٣٦٥هـ/ ١٩٤٦م، وقادَ وفدا إلى الملِك عبد العزيز بن سعود، وفاوَضه في إلغاء الضرائب عن الحجّاج، وأقرّه على ذلك[٣].

وقد قام الشيخ نفسُه بإعداد تقرير باللّغة العربية عن هذا اللقاء بين العلماء الأجلّة والملِك عبد العزيز، وما جرى بين الشيخ وبين الملِك وأعيان دولته، وقد طُبع هذا التقرير عام ١٩٤٦م، إلا أنه شحّ وجوده الآن، غيرَ أنني ظفرت بنسخةٍ منه على النت، فإذا فيه تمهيد جميل كتبه الشيخ حَسن

---

(١) ينظر: "حياة عليم رضا"، ص: ٤٨.

(٢) ينظر: المرجع نفسه، ص: ٥١ ـ ٥٢.

(٣) ينظر: "تذكرة أكابر أهل السنة"، ص: ٢٣٩ ـ ٢٤٠.

البنّا على أربع صفحات، وعلى الغلاف دار الطباعة والنشر الإسلامية، بيت العلم محلة مشائخان، بلدة "ميرت"، الهند، دون سنة الطباعة.

وقد حظي هذا اللقاء برواج وقبول عام، اهتمّت به وسائل الإعلام المتاحة آنذاك، كما نشرت جريدة "السّجل" الصّادرة عن بغداد، في ٢٥ شعبان المعظم ١٣٦٦هـ، هذا الخبرَ بالتفصيل، وإليكم من منشوراته على النحو الآتي: "ما زالَ المسلمون الذين يفِدون إلى مكّة المكرّمة يظهرون تذمّرَهم من جرّاء ثقل الرّسوم المفروضة عليهم، وما زال بعضُ الهيئات الإسلامية تتوسّل لدى حكومة صاحب الجلالة المملكة السعودية لإلغاء هذه الضرائب تسهيلاً للمسلمين ليؤدّوا الفريضة بكثرةٍ، ويصحب هذه الشّكوى شكوى أخرى من نفقاتٍ باهضةٍ يُؤدّيها الحاجُّ أثناءَ تنقلِه".

واجتمعنا أمس بالعلّامة السيّد عبد العليم الصديقي القادري، الذي انتدب من جانب المسلمين في الهند، وفي الملايو، وإفريقيا الجنوبية، ليفاوضَ حكومة صاحب الجلالة ابن السّعود، وقد دفع إلينا كرّاساً تضمن المفاوضات التي دارتْ بين الوفد الذي يَرأسُه الأستاذُ الصّديقي وبين صاحب الجلالة عبد العزيز آل السّعود، فإذا به يُزيح السّتار عن رغائب حجّاج تلك الممالك لإلغاء هذه الضرائب التي ما أنزل اللهُ بها من سلطانٍ، كما يحتجّ عن ذلك الوفد، وأن الخلفاء الرّاشدين والذين جاءوا من بعدهم لم يفرضوا هذه الضرائب, فكان فرضُها في هذا العصر بدعةً سيّئةً اقضّتْ مضاجعَ المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها، هذه حجّة الوفد الهندي"[١].

---

(١) ينظر: جريدة "السّجل" الصّادرة عن بغداد، في ٢٥ شعبان المعظم ١٣٦٦هـ. نقلا عن مجلة "عظيم مبلّغ إسلام"، ص: ١٨٦.

وقد كلّل اللهُ تعالى جهودَه بتاج النَّجاح فارتـاح النّـاس، كما ارتاحت المملكةُ أيضاً، تنشر الجريدةُ هذا الخبر قائلـةً: "وبعد أنْ أظهرَ جلالـة ابن السّعود استعدادَه لإلغاء هذه الضريبة الفادحة طلب إلى الوفد أن يعالِج هذه الناحية من جهاتٍ اقتصاديةٍ"[1].

وقد أثنى على جهودِه هذه مؤسِّسُ حركـة الإخوان المسلمين الشيخ حَسَن البنّا في تمهيد له كتبَه في جريدة "البيان" يقُول فيها: (فما أنْ التقينا بفضيلة الشيخ محمّد عبد العَليم الصديقي مرّةً أخرى في أثناء الحجّ في العام الماضي (١٣٦٥هـ) تجدد المسعى في هذا الشأن خصوصا بعد أن علمت منه أنه جاء في العام المشار إليه على رأس وفد الرابطة الإسلامية بالهند مفوضا منها بالمطالبة باسم مسلمي الهند، كما أنه موكّل من مسلمي الملايو وشرق وجنوب إفريقيا لمفاوضة الحكومة السعودية في رفع المكوس عن الحجّاج وتيسير سبل الحج وزيارة الحرمين والعمل على تنفيذ المقترحات التي سبق أن قدّمت وقد دارت بين فضيلة الشيخ محمد عبد العليم الصديقي وجلالة الملك ابن سعود ورجال حكومته محادثات وتبودلت رسائل يجدها القارئ مفصلةً في هذه الرسالة، وقد بقي فضيلته إلى ما بعد موسم الحج ليواصل مساعيه الطيبة حتى وعد بتحقيق هذه المطالب وإجابة هذه المقترحَات)[2].

---

(١) ينظر: المرجع نفسُه.

(٢) ينظر: "البيان"، للدعي إلى الله محمد عبد العليم الصديقي، طبع دار الطباعة والنشر الإسلامية، بيت العلم محلة المشائخ ميرت، الهند، ص: ٥.

إيجاد التحالُف بين الديانات:

من سياسته الإسلامية بعيدة المدى، نافذة الأثر إيجادُ التحالف بين الدّيَانات المشهورة لأهدافٍ ساميةٍ، وذلك في عام ١٩٤٩م أثناء مكوثه في "سنغافورة" حيث جمع قادة الأديان المختلفة من المسيحيين والبُوذيين والسّيخ وغيرهم على محطّةٍ واحدة، وأخبرهم عن مخاطر الشيوعية اللّادينية، كما دعاهم إلى استراتيجية محكمة لمحاربة العدوّ المشترك، وحثّ على إعداد قوات ائتلافية لمواجهة القوى المادّية المحاربة للأديان(١).

يكتب المرزا إرشاد أحمد العليمي: "لقد قامَ الدّاعية الكبير والعالم الجليل عبد العليم الصّديقي الميرتي -رَحِمه الله- بإنشاء منظّمةٍ تهدف إلى توحيد الصّفوف بين ديانات العالم كافة من الإسلام والهندوسية، والسِيخ والمسيحية واليهودية حتى يتسنى له مكافحة الأفكار المادّية والنزعات اللّادينية، وسمّاها الشيخ بـ"منظمة التوحيد بين أديان العالم" وتقديرا لجهوده هذه لقبوه بـ"His Exalted Eminence" أي: "سماحة الشيخ")(٢).

كما نشرت جريدة "سنغافورة" streets tims خبرا عن هذا الاتحاد قائِلةً: "ترأس المستر فترميك دونالد مؤتمرا حول إيجاد التحالف بين الديانات وقال: إن هذا المؤتمر هو الأوّل من نوعه، وهو ضرورة اليوم، واتفق جميع زعماء الدّيانات على التحالف المشترك والتعاون فيما بينهم للوصول إلى هدفٍ منشود"(٣).

وقامت جَريدة "ايدوانس" الصادرة من جزيرة "ماريشِس" بالتعليق

---

(١) ينظر: "سلطنت مصطفى كا سفير"، ص: ٧٦.

(٢) ينظر: "حياة عليم الرضا"، ص: ٦.

(٣) ينظر: "سلطنت مصطفى كا سفير"، ص: ٧٦.

على هذا السّعي قائِلة: "العالم الديني الكبير الأستاذ مولانا عبد العليم الصديقي عرجَ على ماريشِس في جولته الإصلاحية قبل أيّام، ويستهدف تأسيس منظمة التحالف بين الأديان، وذلك قبل مغادرته إلى أوربّا؛ كي تتوطد العلاقات بين الموحّدين في العالم كافة"[١].

والباعثُ على تأسيس مثل هذه الجمعيّة هو حبُّه القوي لله القدير، وكراهيته للمادّية التي ترفض وجودَ الخالق الصّمد، الذي خلق النّاس وأغدق عليهم نعمَه التي لا تُعدُّ ولا تُحصى، فقد أراد الشيخ أن يؤمِن الناس -على الأقل- بالله الخالق، الذي لا إلهَ إلاّ هُو، وتنكسر قوّة اللادينية بأيّةِ حالٍ من الأحوال، وكانت هذه الفكرة مهيمنةً في خطباته، كما نراه ينصح المادّيين في إحدى خطبه الوداعية في "ماريشِس" عام ١٩٤٩م، قائلاً: "هذه الحياة لا بُدّ أن تنتهي، ولهذا عليكم أن تذكروا اللهَ الذي منَحَكم هذه الحَياة؛ فإنَّ جميع مشاكل الدّنيا التي يتحمّلها الإنسان لكونه غافلاً عن الله تعالى وناسياً ذكرَه، فلا تُغضِبُوه، يُنزل عليكم رحمةً وبركة"[٢].

على هذا المنوال نرى الشيخ الميرتي يقف ضدّ اللّادينية والقوى المادّية الرافضة لوجود الخالق، ويحاول توحيد صفوف الدّيانات المؤمنة بالله لكسر قواها، ولن يعنيَ هذا أنّه كان مداهِنا مع الأديان الباطلة، بل الحقيقة التي لا يمكن ردّها هي أنّه ظلّ إلى آخر لحظات حياته على مَسلك

---

(١) ينظر: مقال العلامة عبد الله خانْ العزيزي -رحِمه الله- بعنوان: "الشيخ عبد العليم داعياً ومفكّراً" ترجمَه إلى العربية: الأستاذ محمد معراج الحقّ البغدادي، ونشر في مجلة "العليم" الصادرة من دار العلوم العليمية، جمدا شاهي، مديرية بستي، الهند، السنة الأولى، العدد الثالث، آذار ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م، ص: ١٧.

(٢) ينظر: "سلطنت مصطفى كا سفير"، ص: ٧٠.

مرشده الإمام أحمد رضا ـنوّر الله تعالى مرقده- محافظا على عقيدته ومتمسّكا بدِينه دون وهنٍ وضعف.

بل نراه في كتاب التصوّف المسمّى بـ"لطائف المعارف" يرفض اتحاد المذاهب رفضا باتًا، ويعلن أنه لا يمكن أن تتّحد الأديان مع الإسلام ما زالت تختلف معه جذريا اختلاف الأرض من السّماء، حيث يقول: والذين يحلمون باتحاد المذاهب عليهم أن يعبروا نظرهم في سطحيات الأمور ليوصلوا إلى نتيجة أنّ السلوك في الأديان الأخرى لا يتجاوز مرحلة الولادة، وفي الإسلام يصل إلى الكمال، كما جاء قوله تعالى: (اليومَ أكملتُ لكم دينَكم وأتممْتُ عليكم نعمتي ورضيتُ لكم الإسلام دينا) [المائدة: ٣][1].

وبعد هذه الصراحة التامّة يتضح لنا أنّ الشيخ لم يُرد من تشكيل هذه الجبهة السياسة ضياع الدّين الإسلامي، وتمييعه، وإنما كلّ ما أراده من هذه الجبهة هو كسر شأن الشيوعية المادّية الرّافضة لوجود الخالق.

وفيما يأتي نجمل فوائد هذه الجبهة العالمية السياسية، ونشير إلى أهدافها السامية في سطور آتية:

(١) التدرج إلى الدّعوة بالحكمة التي تقتضي ترتيب الخطوات حسب الأحوال والظروف، وطلبا لهذه الحكمة بذل الشيخ مجهوده ليدعو الناس أوّلا إلى الإيمان بدينٍ يؤمن بالله بأيّ شكلٍ من الأشكال، لينطلقَ من هذه الخطوة إلى خطوةٍ أخرى، وهي الدّعوة إلى الله ورسولِه صلى الله عليه وسلم، ومِن ثَمّ إلى خطوة ثالثة، وهي الدعوة إلى الاستقامة على عقيدة أهل السنّة والجماعة، ثمّ إلى خطوةٍ رابعة وهي الدعوة إلى طريق

---

(١) ينظر: كتاب التصوف المسمّى بـ"لطائف المعارف"، ص: ١٩٢.

الحقّ واليقين في العصر الراهن، ألا وهو ما سلكه عليه شيخُه الإمام أحمد رضا وغيره من أتباع الحقّ واليقين في العالم الإسلامي.

يقول الأستاذ إرشاد أحمد العليمي: "إنه نشرتْ محاضراته من إذاعة زنجبار الإفريقية عام ١٩٥٢م بعنوان: "كيف يمكن أن نواجه مخاطر الاشتراكية" (How To Face Communism) ممّا تأثّر بها كثير من الناس، وأسلمَ عدد هائل من الكفار"[1].

من هنا يتضح أن مساعيَ الشيخ في مجال الرّد على الشيوعية بأيّ شكلٍ من الأشكال، هي دعوية محضة.

(٢) قمع مباني اللّادينية والشيوعيّة والدهرية التي كانت نشطة في وقته، وكانت تمثل خطرا على العقيدة الإسلامية الصافية على وجهٍ أخص، فحاوَل الشيخ أن يدحرَ هذه الحركات ويقضي عليها بتعزيز القوى العالمية من أصحاب الدّيانات المختلفة لتكون الضربة قاضية والهدف مصابا، وتضيق عليها الأرض بما رحبتْ.

(٣) المحاولة من تقديم القضايا الإسلامية على الصعيد العالمي، وإقناع العالم بجوهر الإسلام وقيمته، وبالأخصّ الغَرب الذي عكرت أجواءَه الدعايات الكاذبة عن الإسلام والمسلمين، فأراد الشيخ أن يحسنَ صورة الإسلام في نظر الغرب، ويقدّم عليهم إيجابيات الإسلام في أحسن صورة من التفاوض السّلمي والتسامُح الخلقي.

(٤) المحاولة من تخفيف حدّة التوتّر بين الديانات والابتعاد عن الحروب الدامية التي كادت لا تجدي نفعاً، والتعمُّد على وسائل الإقناع

(١) ينظر: "حياة عليم الرضا"، ص: ٥٤.

وإيجاد سبل السّلام العالمي من خلال الدّعوة الحكيمة التي تضلّعَ منها وجرّبَها في الغرب وغيره.

أثار الشيخ العلامة عبد الله خانْ العزيزي سؤالاً على عمل الشيخ هذا، ثمّ أجاب قائلاً: يطرح سؤال على بساط البحث، ألا وهو أن الدّين الذي ينتمي إليه الداعية الكبير هل يسمح له إنشاء هذا التواحد والعلاقات مع الآخَرين فعلاً؟، مع أنه قد يمنع من إقامة علاقاتٍ بين الإسلام والدّيانات الأخرى على المستوى الإقليمي أو الدولي, فما بال أمر الانضمام أو المشاركة في هذا الموضوع؟.

والحقيقة أنه لا يوجد ائتلافٌ تامٌ في هذه المسألة وبين حاملي هذه الفكرة، بل توجد آراء ووجهات نظر مختلفة فيها، وكان الداعية الكبير يدعو إلى أنه ليس من المنكِر إيجادَ التحالف في صفوف معتنقي أديان العالم ضدّ عدوّ مشترك ذي قوّة وبأسٍ شديد، هذا، وبجانب آخَر كانت شخصية الدّاعية الكبير تتمتّعُ بشعبيةٍ كبيرةٍ وتحظى بأسوةٍ حسنة، وكان رحالة أوربا وآسيا وإفريقيا فكان يقوم بطرح قضايا الأمّة الإسلامية خاصّة والشعوب الأخرى عامّة على بساط البحث في ضوء تجاربه العلمية الشاملة مع تحليلها والتعليق عليها وتقديم الحلول الناجحة لها، ونظرا إلى عاطفته الجياشة بذل جهوده المستطاعة لإنشاء منظّمة التوحيد بين أديان العالم كافة[١].

---

(١) ينظر: مقال العلامة عبد الله خانْ العزيزي -رحمه الله- بعنوان: "الشيخ عبد العليم داعيا ومفكرا" ترجمه إلى العربية: الأستاذ محمد معراج الحق البغدادي، ونشر في مجلة "العليم" الصادرة من دار العلوم العليمية، جمدا شاهي، مديرية بستي، الهند، السنة الأولى، العدد الثالث، آذار ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م، ص: ١٧ - ١٨.

وقد نجح الشيخ فيما أراده وهو كسر شوكة المادّية واللادينية في العالم الإسلامي والغربي، يقول الشيخ نسيم أشرف الحبيبي: "كانت النتيجة الفورية لتلك الحركة فعّالة، فقد خابت القوى الإلحادية، وإن لم يدم هذا الاتحاد طويلاً إلا أنّه من أثراته أنّه قسم أعداء الإسلام"(١).

إذن لا بدّ من أن تُقدَّر جهودُه هذه، وينظر إليها بنظر الإعجاب والاحترام.

السّعيُ الحثيث لتوحيد صفوف المسلمين:

من أعمال الشيخ العظيمة سعيُه الحثيث لتوحيد صفوف المسلمين، وذلك من خلال تنظيمه بين المذاهب الإسلامية، ولهذه المهمّة العظيمة نراه يلتقي بمؤسّس "الإخوان المسلمين" الرّجل الجريء السيّد حَسن البَنّا في "جمهورية مصر العَربية"، والمفتي الأعظم لفِلسطين الشّيخ السيّد أمين الحسَيني، والغازي عبد الكريم المغربي وغيرهم من القادة العرب والمسلمين للوصول إلى اتحاد العالم الإسلامي(٢).

وكما أوضحنا فيما قبل أنه لم يفكّر في هذا الاتحاد إلا لأنّ رؤيتَه للعالم كانت عالميّة ومتوسّعة، فكان يدرك تماماً أنه لا يمكن للعَالم الإسلامي أن يصمدَ في وجه الاستعمار الغربي وسياساته المغرضة، والحركات الصهيونية الظالمة، ولا يمكن له أن يُعيدَ عظمتَه المفقودة إلا بالأمن والسّلام، والأمن لا يأتي إلاّ بالاتحاد، وإن كان سياسياً.

---

(١) ينظر: "سلطنت مصطفى كا سفير"، ص: ٧٦.

(٢) ينظر: "حياة عليم الرضا"، ص: ٦ – ٧.

ونظراً إلى تلك الأهداف السّامية لا ينبغي أن يقالَ: إن الشّيخ انماع في الفِرق الباطِلة، ولم يفرّق بينها، بل الحقيقة أنه مع تمسّكه بالفكر الإسلامي المعتدل حاوَلَ أن يجذبَ إليه أصحابَ الأفكار الزائغة بدعوته الهادئة المتينة، كما سَعى إلى سحب أصحاب المذاهب الإسلامية المختلفة إلى رصيفٍ واحد، ليتسنّى له المناقشة في الأمور الخلافية والبحث في سبل الاتحاد لمحارَبة أعداء الإسلام من القوى المتغطرسة, والله من وراء القصد.

* * *

المبحثُ الثامِن

جهوده في مجال التصنيف والتأليف

- مؤلّفاته باللغة العربية
- مؤلّفاته باللغة الأوردية
- مؤلّفاته باللغة الإنجليزية

تمهيد:

لاشتغاله بالدّعوة والإرشاد على المستوى العالمي لم يجد فرصة كافيةً للتصنيف والتأليف، ومع ذلك حاوَل أن يوفّرَ من أوقاتِه ليعبّرَ عمّا كان يجيش في خواطره من أفكارٍ إسلاميّةٍ صافية، وبأسلوبٍ أدبيٍّ جميل.

حيث نراه يخلّف لنا كتباً ذاتَ قيمةٍ علميّةٍ بالغةٍ، وفي موضوعاتٍ عصريّةٍ حسّاسة، وقضايا عالميّةٍ ساخنة، من أحاديث السّاعة، مثلاً: "الاشتراكيّة والإسلام"، و"قضايا المرأة"، وغير ذلك من موضوعات عالمية مهمة.

والجديرُ بالذِكر أنّه -كما مرّ بنا- كان يُتقِن عدةَ لُغاتٍ عالميةٍ، كتابة وقراءةً، ومحادثةً، وكان يوظّفها في الدّعوة والإرشاد، فيخاطب بها العقولَ الجبّارة، ويفحم بها الجبابرة، وينصح بها العامّة، ويُقنِع بها الخاصّة بلسانه، كما كان يسحرهم بكتاباتِه بلغةٍ عصريّةٍ وأسلوبٍ علميٍّ وأدبيٍّ جذّابٍ تأخذ بأطراف القلوب، ومن أهمّ مؤلّفاتِه في اللغات الثلاث:

أوّلا: مؤلّفاته باللّغة العربيّة:

١- "مرآة القاديانيّة":

هو الكتاب الذي ألّفه باللّغة العربية عن حركة القاديانية، وقد طُبع الكتاب في جهورية مصر العربية، إلاّ أنني لم أحصل على نسخةٍ منها.

أمّا مادّة الكتاب فيتضح من العنوان ومن أعمال الشيخ المعروفة أنّها تقوم بالرّد على الفرقة القاديانية الضالّة.

٢- "البيان" (تقرير عن ضريبة الحجّ):

هذا الكتاب عبارة عن التقرير الذي أعَدَّه الشيخ الميرتي باللّغة العربية مُسَجِّلا وقائعَ اللّقاء الذي تمّ بين العلماء الأجلّة والمِلك عبد العَزيز آل سعود، وما جرى بين الشيخ وبين الملِك وَأعيان دولتِه في قضيّة الضرائب الفادحة التي فرضتها المملكةُ العربية السّعودية على الحجّاج الكرام عام ١٣٦٤هـ.

وقد طُبع هذا التقرير عام ١٩٤٦م باسم "البيان"، إلّا أنّه شحّ وجودُه الآن، وقد حصلنا عليه في أحد مواقع النت، وأنزلنا منه، فإذا هو كتاب مطبوع، عبارته ساطعة واضحة، لا يكتنفه الغموض، ويبدو أنه من طبع السبعينات من القرن الماضي.

يحتوي هذا الكتاب على ٤٨ صفحة، أربع صفحات منه تمهيد من الشيخ حسن البنا، والصفحات الأخرى تفصّل فيما جرى بين جلالة الملك عبد العزيز بن عبد الرّحمان الفيصل آل سعود، ملك المملكة العربية السعودية وبين كبار العلماء الأعلام وزعماء الإسلام من حجاج بيت الله

الحرام، في سنة ١٣٦٤هـ، ثمّ ما جرى بين جلالته وأعيان دولته وبين الدّاعي إلى الله صاحب الفضيلة والإرشاد الأستاذ الشّيخ محمد عبد العليم القادري، رئيس وفد الرّابطة الإسلامية الهندية، ومندوب مسلمي الملايو والجزر الشرقية وبلاد شرق وجنوب إفريقية إلى المملكة السعودية في سنة ١٣٦٥هـ.

وذلك يشمل ما تُبودل من مذاكرات ومحادثات في شؤون الضرائب والمكوس المجعولة على الحجّاج والزّوار فيما يختصّ بالإصلاح العام لتيسير أمور الحج، وتسهيل أداء الفرائض لكلّ راغب من المسلمين.

والضرائب التي فرضتْها المملكة على الحجّاج كانت باهضة أقضّت ظهر المسلمين، كما أعربَ الشيخ حسن البنّا قائلا: (وكان من أوضح ما لمسنا شكوى الحجيج العامّة من ارتفاع المكوس وثقل النفقات إلى الحدّ الذي أقعَد الكثيرين، وأرهق أغلب الحاجّين)[١].

ويصوّر الشيخ الميرتي معاناة الحجاج في تقريره هذا تصويرا دقيقا، فيقول: (ولكم كان الحاج يحتمل مشقة السفر راكبا أو راجلا في هجير الصيف أو برد الشتاء متعرّضا في ذلك لسلب ماله، بل ولضياع روحه صابراً على تعسف المطوفين دافعاً للضرائب التي كان يفرضها الطمع الخالص لوجه الترف وأبهة السلطان)[٢].

ويقول أيضا: (فرضت الحكومة على سكان تلك البقاع الكريمة من الضرائب ما لم يفرض عليها مثله فداحة وتعدداً في أي عصر من عصور تاريخها فاليوم ليس من أحد يسكن في الحرمين إلا ويؤدي

---

(١) ينظر: "البيان"، للشيخ عبد العليم الميرتي، مطبوعة ميرت، الهند، ص: ٤.

(٢) ينظر: "البيان"، ص: ٧.

ضريبة ما غير ما شرعه الله من زكاة وعشور وحتى الحجاج الآتين من كل فج عميقٍ أثقلتهم تلك الضرائب بضخامتها وألوانها، وقصارى القول أنّ الأمر ليس إلا ضرب من الفوضى القاسية واجهت المسلمين في شدة وعنف عام ١٣٦٤هـ) [(١)].

ولهذا اضطرّ العلماء المسلمون وعلى رأسهم الدّاعِية الكبير الشّيخ محمّد عبد العليم الصديقي الميرتي، الذي رفع صوته الجريء مع جماعة من العلماء، وفاوض الحكومة السعودية، وفنّد مزاعمها وتبريراتها، وقدّم حلولا اقتصادية ممّا استطاع أن يُقنعَها على تسليم مطالبه، لإنهاء الضرائب الفادحة.

والمقترحات التي قدّمها الشيخ الميرتي على جلالة الملك، والتي أخذها الملك بنظر الاعتبار، تدلّ على علوّ كعبه في الإدارة والتنظيم، كما تشهد على أن الشيخ لم يكن رجل المحراب فقط، وإنما كان قائدا للأمة الإسلامية، وتلك المقترحات، التي يخاطِب فيها الملك قائلا:

(١) أن تتفضلوا جلالتكم بتعديل القيود لدخول معتنقي الإسلام للمملكة العربية السعودية وتوفير أسباب راحتهم حتى لا يجدوا في ديننا الحنيف إلا رحابة صدر، وحسن وفادة.

(٢) أن تأمروا جلالتكم بوجوب العناية بنظافة الحرم الشريف وأماكن المناسك والطرق الموصِلة إليها، وبخاصة مدخل بئر زمزم حتى لا يتعرّض حجاج بيت الله تبارك وتعالى لما تحدثه هذه الحالة من آثار صحية نفسانية.

---

(١) ينظر: المصدر نفسُه، ص: ٩.

(٣) أن تأمروا جلالتكم باتخاذ اللازم للقضاء على ما يحدث من مفاسد بسبب اختلاط النساء بالرجال في أثنا أداء المناسك وبخاصة في الطواف وفي الصلاة، وذلك بتحديد مكان خاص في الحرم يحاط (بقفص) لصلاة النساء، كما هو بالحرم المدني وبتحديد وقت لطواف النساء وعدم مبيتهن بالحرم الشريف.

(٤) أن تأمروا جلالتكم بتحويل الطريق ومنع السيارات جملة من شارع المسعى حتى يجد الساعون الخشوعَ والطمأنينة الواجبة في أداء هذه الشعيرة من شعائر الله.

(٥) أن تأمروا جلالتكم بمراقبة المطوّفين وبخاصة الذين منحوا التخصص لطوائف من الحجاج وبمراقبة الذين يقومون على حراسة الأماكن المقدّسة كالكعبة والحجر الأسود؛ لأنّ هؤلاء جميعاً يُسِيئون معاملة الحجاج ويتقاضون منهم أجورا باهظة فلا تقضى لأحدهم مصلحة إلا بأجور مثقلة، ولا يدخل أحد الكعبة إلا بمساومة قاسية، ولا يصل أحد إلى الحجر إلّا بعطاءٍ، وهكذا.

(٦) أن تأمروا جلالتكم ما به يتلطف الجند والشرطة والخدم بالحجاج عند إرادة طواف جلالة الملك أو أحد الأمراء من أسرته الكريمة فلا يرهقونهم ضربا بالعصي وزجرا وإهانة باليد واللّسان.

(٧) أن تأمروا جلالتكم الإدارة المختصّة بالسيارات بمراعاة راحة الحجاج عند النقل فلا يسمح للسيارة أن تحمل أكثر ممّا تستطيعه من النفوس والأمتعة تلافيا لما ينجم عن ذلك من الأضرار.

(٨) سكّة الحديد الحجازية حق من حقوق المسلمين عامة والحجاز

خاصة، وهي وقف من أوقافهم وقد خطوتم جلالتكم في سبيل إعادة سيرها خطوات موفقة والمجتمعون يأملون أن تواصلوا جلالتكم الجهود المباركة حتى تتحقق هذه الأمنية على يديكم، إن شاء الله.

(٩) أن تأمروا جلالتكم بإعادة النظر في الضرائب والرسوم الخاصّة بالمرور التي توضع على الحجاج فتثقل كواهلهم وتمنع الكثير منهم من أداء الفريضة أو زيارة مسجد النبي صلى الله عليه وسلم، كما يحسن أن يحدّد سعر العملة بحسب المتعارف في كل قطر من الأقطار الإسلامية تحديدا يرفع الغبن، ويحول دون التلاعب بأسعار النقد، وفي ذلك رحمة كبرى بالناس وإعانة لهم على أداء فرائض الله.

(١٠) أن تأذنوا جلالتكم بوضع مكبّر الصوت (الميكروفون) في الحرمين الشريفين بصورةٍ دائمة وفي مواضع المناسك كعرفة ومنى حين أدائها لتكون على ذلك أعون على سماع الخطب المشروعة وتنظيم الأذان والصلوات وخطبة الجمعة، وذلك مما يُستَعان به على أداء الواجبات الشرعية[1].

وقد ختمت هذه المقترحات بإمضاءات العلماء والفضلاء من البلاد المختلفة، وهم: محمد ثمر الخطيب (فلسطين)، وأحمد الصابوني (دمشق)، وحسن البنا (مصر)، ومحمد صالح حرب (مصر)، ومحمد الحافظ التيجاني (مصر)، ومحمد عبد العليم الصديقي (الهند)، وإبراهيم الغلائيني (دمشق)، ومحمد بدر الدين الغلائيني (دمشق)، وفؤاد فخر الدين (اندونيسيا)، ومصطفى مور، ويوسف إبراهيم (السودان)، وعبد الله بن

---

(١) ينظر: "البيان"، ص: ١١ – ١٣.

طاهر الحداد العلوي (حضرموت)، ومحمد عوض بافضل (حضرموت)، وعبد الله حسن (الشنقيطى)[1].

ولم يقدّم هذه المقترحات فحسب، بل قدّم حلولا اقتصادية متبادلة يمكن للحكومة السعودية أن تعوض ما تخسر في إعفاء الضرائب، وتصلح حالتها الاقتصادية، وهذه المقترحات الاقتصادية التي تقدّم بها إلى المملكة السعودية، هي:

(١) إعداد سفن تجارية تقوم بنقل الحجّاج من أقطار العالم الإسلامي في مواسم الحج إلى الحجاز وستكون هذه السّفن بحول الله تعالى نواة لأسطول حربي للمملكة العربية السعودية.

(٢) مدّ خطوط السكّة الحديدية بين مكة المكرمة والمدينة المشرّفة ومكة وجدة.

(٣) ترويج الصّناعات المختلفة كالدباغة والمصنوعات الجلدية والاستفادة بلحوم الفدى، وغيرذلك.

(٤) تأسيس المعامل والفابريقات اللازمة.

(٥) أعمال التعدين ومواصلة البحث عن المعادن التي تدرّ النفع العظيم على البلاد.

(٦) مساعدة الشيوخ وأبناء القبائل بالتقاوي على النهج الإسلامي الشرعي لتحسين حالتهم الزراعية والصّناعية، وهكذا إذا استمر العمل بحسن التفات جلالتكم فإننا نعتقد أنّ الحجاز والمملكة العربية السّعودية بأسرها تستغني عن طلب أي مساعدة من الأجانب الذين لا يريدون خير

---

(١) ينظر: "البيان"، ص: ١٣.

هذه البلاد المقدسة، كما هو معلوم لجلالتكم والتاريخ شاهد بذلك وخلاصة القول أنه إذا عزّ العرب عزّ الإسلام[١].

فمن أنعمَ النظر في هذه المقترحات استنتج ما يأتي:

١-جرأة الشيخ المثالية.
٢-شعوره المرهف ووعيه العميق تجاه قضايا الأمة.
٣-عطفه وحنانه على عامة المسلمين الفقراء.
٤-قدرتُه الفائقة على تنظيم الأمور، وإدارة الشؤون.
٥-تمكّنه من اللغة العربية.
٦-أسلوبه السلس السهل.
٧-حسن توجيه الخطاب إلى أرباب السلطة.

كانت هذه الجهود دبلوماسية قد أثمرت بنتائج إيجابية لن ينساها التاريخ.

كما أثنى الشيخُ حسن البنّا على جهودِ الشيخ الميرتي في رفع الضرائب قائلا: (فلمّا أن التقينا بفضيلة الشيخ محمّد عبد العليم الصديقي مرةً أخرى في أثناء الحج في العام الماضي(١٣٦٥هـ) تجدّد المسعى في هذا الشان خصوصاً بعد أن علمت منه أنه جاء في العام المشار إليه على رأس وفد الرابطة الإسلامية بالهند مفوضا منها بالمطالبة باسم مسلمي الهند، كما أنّه موكل من مسلمي الملايو وشرق وجنوب إفريقيا لمفاوضة الحكومة السعودية في رفع المكوس عن الحجاج وتيسير سبل الحجّ وزيارة الحرمين والعمل على تنفيذ المقترحات التي سبق أن قدمت. وقد دارت بين فضيلة الشيخ محمد عبد العليم الصديقي وجلالة الملك ابن

(١) ينظر: "البيان"، ص: ٣٥.

سعود ورجال حكومته محادثات وتبودلت رسائل يجدها القاري مفصّلة في هذه الرسالة وقد بقي فضيلته إلى ما بعد موسم الحج ليواصل مساعيه الطيبة حتى وعد بتحقيق هذه المطالب وإجابة هذه المقترحات)[1].

ثم يدعو له بالخير قائلا: (ونحن نسأل الله تبارك وتعالى أن يجزي الأستاذ المفضال الشيخ محمد عبد العليم الصديقي عن المسلمين عامة خير جزاء، وأن يُلهم ملوك المسلمين وأمراءهم وعلماءهم وقادة الرأي فيهم إلى ما فيه خير الإسلام والمسلمين)[2].

ولا شكّ أن جهوده هذه تدلّ على شعوره البالغ، وفكره الناضج، ووعيه العميق تجاه قضايا الأمة الإسلامية على المستوى العالمي، مما يجعله شخصية عالمية.

ثانياً: مؤلّفاته بالأورديّة:

١- "مِرزائي حقيقت كا إظهار" (الكشف عن حقيقة المرزائية):

كتابٌ باللّغة الأردية ألّفه الشيخ الدّاعية عبد العَليم الصديقي رحمه الله عام ١٩٢٩م، كشفاً عن حقائق القاديانية، وأوهام مؤسّسها الكذّاب مرزا غلام أحمد القادياني وأباطيله.

والكتاب له طبعات عديدة منتشرة في شبه القارة الهندية من الهند والباكستان وبنغلاديش، ومنها طبعة "دلهي" القديمة، وطبعة "المنظّمة الإسلامية العالمية" في كراتشي، الباكستان (World Islamic Mission Pakistan) ويشتمل على ١٣٢ صفحة.

---

(١) ينظر: "البيان"، ص: ٥.

(٢) ينظر: "البيان"، ص: ٦.

أمّا الظّروف التي خرج فيها هذا الكتاب إلى حيّز الوجود، فكما يتحدّث عنها مؤلفه نفسُه أنّه رأى نشرةً تحتوي على ورقتَين في جزيرة "موريشِس" كتبَها أحد أتباع الكذّاب المرزا غلام أحمد القادياني، جمال أحمد المرزائي بعنون: "إظهار الحقيقة" بلغةٍ سوقية، يقول الشيخ إنه لم تكن هناك حاجة للرِدّ على مثل هذا الكتاب السّوقي، ولكنني خشيتُ أن يفتننّ به الناس السّذج فيقعوا في الفتنة، ولهذا أصبح من الضّروري أن يُكشَفَ القناعُ عن الحقيقة الواقعية[١].

وكان جمال -صاحب النشرة- قد دافعَ باطلاً عن القاديانية ومؤسّسها، كما تحدّى به من يعدّ القاديانية خارجة عن الإسلام، فتصدّى الشيخ الداعية المفكّر لهفواته، وردّ عليه ردا حكيما بليغا كشف عن حقيقة القاديانية ومؤسّسها المرزا غلام أحمد القادياني، وسمّى كتابَه "مرزائي حقيقت كا إظهار" أي: "إظهار حقيقة المرزائية" (القاديانية)، حيث نرى أنّه لم يضف على نشرة جمال إلّا كلمة "مرزائي"، وبهذا وقف الشيخ باسلاً في وجه هذا الناشر الذي أراد التلبيس والتدليس على القرّاء ومحو الحقائق وتصديق الأكاذيب، لكنّه لم ينجح فيما أراد بل خاب وخسر.

خرج هذا التأليف إلى حيّز الوجود تلبية للضرورة الملحّة؛ فإن أرض جزيرة "موريشِس" التي سقاها الشيخ الداعية بالإيمان الخالص كاد المرزائيون يُدنّسونها بأفكارهم المسمومة فتحتّم على الشيخ أن يتنبّهَ لذلك، ويردّ الكيد في نحره ويذبح الشرّ في مهده، فقد وفّقه الله أن يؤلف هذا الكتاب المفيد غضون الأعمال الكثيرة والأسفار الدعوية

---

(١) ينظر: "مرزائي حقيقت كا إظهار"، طبع دلهي القديمة، ص: ١.

الطويلـة، ولا شـكّ أنّ الاشـتغال بالـدعوة، والاهتمـام بقضـايا النـاس، والالتزام بالإجابة على أسئلتهم المختلفة، قد لا يُوفّر لـه ظروفا ملائمة للتصنيف والتأليف، ولكن الرجل الذي يحالفه التوفيق الربّاني يجعل المستبعد سهل المنـال، كمـا وُفّق شيخنا فألف رسـالةِ قيّمـة، وهو فـي السفر بالطيارة، والأجانب من النصـارى والملحدين والمتحررين في جوانبه الأربعَة، كلٌّ يسأل سوالا ويستفيد به، والشيخ هو الرّجل الوحيد الذي يُجيب على أسئلة الجَميع، وازدحام النّاس حوله لا ينقطع، والعين اليُمنى تشكي من ألمٍ، ولكن الرجل الموهوب لا تفتر قواه، ولا تخور عزائمه، بل يمضي في سبيله، فيحلّ عقد القضـايا الشائكة، فيُفِيد مَن يلتقيه، ويحاول أن يختلس من وقته ليؤلّف كتابا يستفيد به من لم يلتقه، ولم يستطع الاستفادة به مباشرةً إلى يوم القيامة[1].

يقول أحد معَاصريه، العَلّامة نعِيم الدّين المرادْ آبادي معلّقاً على هذا الكتاب: "ألّفَ الشيخ مولانـا الحـاج محمد عبد العَليم الصديقي -سَلّمَه الله العَلـيُّ الـوَلـيّ وحفظـه مـن شـرِّ كـلِّ غـويٍّ, وأيَّده بالأيـدي القـويّ"مرزائـي حقيقت كا إظهار" ارتجالاً رغم الأسفار وازدحـام الأنـاس الأحبـاء، حيث اتضحت الحقيقة وتجلّى بطلان الفرقة المرزائية"[2].

والكتاب يدمج النصوص الشرعية إلى جانب حلاوة الأسلوب، ودقة البحـث، ومحاكمـة العقل، وهـو يُعَدّ مـن أحسـن الكتـب وأبـدعها فـي ردّ

---

(١) ينظر: "مرزائي حقيقت كا إظهار"، طبع دلهي، ص: ٨٦.

(٢) ينظـر: "مرزائـي حقيقـت كـا إظهـار"، طبـع "المنظمـة الإسـلامية العالميـة"، كراتشي، الباكستان، ص: ١٢٧.

القاديانية ومعتقداتها الفاسدة، فجزى الله تعالى مؤلفها خير الجزاء.

أمّا أسلوبه فكفانا بياناً وشهادةً ما قاله العلّامة الشيخ نعيم الدين المرادْ آبادي معلقاً عليه: "يمتاز هذا الكتاب بسلاسة بيان، وسرعة خاطر، وقوّة دليل، وحسن إلقاء، بل كلّ شيءٍ في هذا الكتاب يستحقّ المدح والثناء"(١).

ولِمَ لا يستحقّ المدح والثناء! فإنه لم يهاجم على القاديانية هجمات عشوائية، ولم يردّ عليها ردّا سلبيا عدوانيا، وإنما آثر أسلوب النصح والإرشاد وجلب لهم الخير والفلاح في الدّارَين، فلم يحكمْ عليها ولا على مؤسِّسها بشيءٍ من عنده، ولم يذكرهم بكلماتٍ تمسُّ شخصياتهم، وإنما كان ردُّه بليغاً حكيماً بأنّه اكتفى بنقل أقوال المرزائيين، وأقوالُهم هي التي تحكّمت عليهم، وهي التي أثبتت فسادهم وفساد معتقداهم، بل هي التي صرخت ببطلان القاديانية وهذيان مؤسّسها.

انظر إلى ردِّه البليغ بأنه لم يحكم على مؤسّسها بأنه رجل سيئٌ أو أسوأ، بل نقل عبارته عمّا قالها عن نكاح "محمدي بيغَم" وزوجها، والقصة بأن المرزا غلام أحمد اشتهى امرأةً كانت تُدعى "محمدي بيغم" وكانت متزوجة فخبثت نفسُه أن يتزوّجَها، ودعا على زوجها أن يموتَ في الميعاد المعيّن، وتنبّأ عنه إنّه سيموت في كذا وكذا، وإن لم يمت زوجُها ولم ينكحها هو فهو سيّء الحظّ، بل أسوأ، ولكن العالَم كلّه يعلم جيّدا أنه لم يحدث ما تنبّأ، بل مات هو نفسُه قبل موتِ زوجِها، وشهوة الزّواج بها غدتْ حسرةً مدفونةً في قلبه.

---

(١) ينظر: "مرزائي حقيقت كا إظهار"، ص: ١٢٧.

والتنبّؤات هذه تشهد بها كتبُه، وفي ضوئها تردُّ عليه أقواله أنّه سيّئ الحظّ، بل أسوأ.

على هذا المنوال لم يحكم الشيخ على المرزا، وإنما هو نفسه أثبت أنه الأسوأ حظًا وسعادةً.

وكذلك كشف الشيخ عن كذب المرزا غلام ورذالته، فلم يحكم عليه من مصادر أخرى، وإنما لجأ إلى قول المرزا نفسِه، وذلك بأن الدّكتور عبد الحكيم خانْ الذي كان مرزائيا فتاب وردّ علىٰ المرزا، وتنبّأ أن المرزا سيموت أمامي خلال ثلاث سنوات، وذلك في نشرة بعنوان: "إعلان الحقّ" المنشورة في ١٢ يوليو عام ١٩٠٦م.

وفي جواب هذا الرد تفوّه المرزا غلام بأن "الله سيفرّق بين الصادق والكاذب، ولن يحدث أبدا أن يموتَ صادق ومصلح أمامَ شريرٍ ومفترٍ، ولن يحدث أن أموت موتَ الذل والإهانة في الميعاد الذي قرّره عبدُ الحكيم".

أعلن ذلك مؤسّسُ القاديانية المرزا غلام أحمد في نشرةٍ بتاريخ ١٦ آب/أغسطس عام ١٩٠٦م، وحسب تصريحات المرزا هذه بات الأمر واضحا أن المرزا لو مات قبل الدكتور عبد الحكيم لثبتَ أن المرزا كاذبٌ، وشريرٌ، ومفترٍ، وأنه ماتَ موتَ الذل والإهانة، والحقيقة التاريخية الثابتة الواضحة وضحَ النهار على الجميع أنه مات قبل الدكتور عبد الحكيم، وعلى هذا فالمرزا نفسُه يحكمُ على نفسِه أنه كاذب وشرير ومفتر وذليل ومهين، كما تصرخ بذلك اعترافاته التي أدلى بها.

انظر كيف يُعلّق الشيخ الدّاعية تعليقاً هادئاً بعد أن ينقل تصريحات المِرزا المذكورة حيث قال: "إن العالم كله يعلم أن المرزا مات قبل ذلك الميعاد، أي في ٢٦ شهر أيار عام ١٩٠٨م بمرض الطاعون"[١]. ويقال: إنه مات إثرَ إسهالِ دَم.

ثم خاطب الشيخُ صاحب النشرة جمال والمرزائيين قائلاً: "ألم يمت المرزا موتَ الذل والإهانة؟! أو لم يتضح الفرق بين الصادق والكاذب حسبما قاله هو نفسه؟!"[٢].

اتّهم جمال المرزائي صاحب النشرة ذات الورقتَين، دفاعا عن مؤسّس المرزائية "أن الذي يقول إن المرزا سبَّ الأنبياء فهو أيضا كذب صريح".

يردّ الشيخ على اتهام جمال المرزائي هذا، ردّا هادئا مقنعا بأن نقل عبارة المرزا عن مصادِره، ثمّ ترك الحكمَ عليها إلى القرّاء، فليحكموا ما شاءوا، ومِن هفواتِه في الأنبياء -عليهم السلام- التي تطاولَ بها إليهم، ما يأتي:

(أ) ليس العجب في نظري كون المسيح بدون الأب؛ فإن فصل المطر قريب، اخرجوا ولاحظوا في الخارج كمْ مِن الحشرات خلقت دون آبائها, (معاذ الله).

(ب) والحق أنه لم تصدر منه (المسيح) أية معجزة.

---

(١) ينظر: "مرزائي حقيقت كا إظهار"، طبع دلهي، ص: ٦ – ٧.

(٢) ينظر: المرجَع نفسُه، ص: ٦ – ٧.

(ج) لم يكن في يده (المسيح) إلا المكر والخداع. (نشر في جريدة "بدر" الصادرة في ٩ أيار عام ١٩٠٧م)[١].

فالقارئ يدرك تماما أن تشبيه النبي المسيح -عليه السلام- بحشرات الأرض، وإنكار معجزاته، وإثبات المكر والخداع له، ليس إلا سبّا وشتما، لا يتجرّأ على ذلك إنسان شريف فضلا عن المسلم الذي يؤمن بالقرآن الكريم.

ولقد كثرت من المرزا أمثال هذه الهفوات والعجائب والأباطيل، التي يندهش القارئ أمامها مستغربا متحيّرا، منها ما عدّدها الشيخ الدّاعية ليقف المرزائيون السّذج على خبائث المرزا، ناقلا من كتبه ومنشوراته، منها أنه يزعم حينا أنه رجل ملهَمٌ، وقد يدّعي أنه إلهٌ، وأحيانا يتشدّق أنه ابن الإله، ويعلن حينا أنه ركن التثليث، ويصرخ حينا أنه نبيٌّ ورسول، صاحب شريعة، ويظنّ حينا أنه مسيحٌ، ويفتتن حينا أنه مهديّ، وحينا مجدّد، وحينا إلهٌ أسطوريٌّ "كرشن"[٢]، بل يخرق حينا جميع الحواجز الخلقية فيدّعي أنه امرأة مثل مريم، حامل من الله[٣]، وغير ذلك من هفوات وخبائث يتندّى لها جبين الإنسانية، نعوذ بالله عمّا يصفه ويصفون.

ينقل الشيخ هذه التصريحات العجيبة التي أدلى بها المرزا في منشوراته، ويكتفي بها في أغلب الأحيان؛ إذ إنها هي التي تصرخ ببطلان

---

(١) ينظر: "مرزائي حقيقت كا إظهار"، طبع دلهي، ص: ٤٧.

(٢) رجل أسطوري لدى الهندوس، يعتقدون فيه أباطيل وخرافات ما لا نهاية لها، نعوذ بالله منها.

(٣) ينظر: "مرزائي حقيقت كا إظهار"، طبع دلهي، ص: ٣٨- ٣٩.

المرزائية دون اللجوء إلى دلائل أخرى، بل ليكون الردُّ أقوى وأكثر تأثيرا في النفوس البشرية.

وبالتالي هذا هو الأسلوب الحكيم العذب الجذّاب الذي خاطب به الشيخ عقولَ المرزائيين ليقفوا على الحقيقة التي قد اختفت عليهم أنفسِهم، ولا شك أن أسلوبَه هذا كان من أنجح الأساليب لاستقطاب قلوب المرزائين، وبالفعل نجح الشيخ في أسلوبه فقد تاب كثير من المرزائيين، مما أثار غضب قادتهم، فلجأوا إلى السبّ والشتم، إلا أن الشيخ -رحمه الله- لم يصغ لهم، بل مضى في سبيله داعيا إلى الله ورسوله صلى الله عليه وسلم، وجعل نفسَه جُنّة لعظمة الله ولعِرض النبي صلى الله عليه وسلم، بل طرح عليهم أن يمتنعوا من شتم الله ورسوله صلى الله عليه وسلم، ولا حرج عليهم أن يُشبِعوا أنفسهم بقذف السب والشتم إليه، مكان الله تعالى ورسوله الأعلى عليه التحية والثناء.

وهذا غاية إخلاصه في حب الله تعالى -جل ثناؤه- وحب رسوله صلى الله عليه وسلم.

٢- "بَهار شَباب":

كتابٌ يحافِظ على ماء الحياة لجميع البشر، ويهدي إلى طريق يضمن الفرح والسعادة الحقيقية لكلّ من توخّاهما، كتاب يدعو إلى ترك الشواذ والتمسّك بقانون الفطرة، ويُرشِد إلى الحياء وهجر الفحشاء والفساد، ويُخرجُ من ضرم الشهوة وحمأة اللذة المحرمة إلى السكون والطمانينة والتمتّع باللذة الحقيقية الدائمة، ومن الضّعف إلى القوة

والاكتفاء الذاتي، ويُخرج من اليأس والقنوط إلى الإيمان واليقين، ذلك كتابٌ يُنقِذ من الظلام إلى النور، نور الإسلام الذي جعله الله أحبَّ الأديان وخيرَ المذاهب، الدين الذي يمتاز بأصوله ونظمه وتعاليمه، التي تفيد الناس في الدنيا والآخرة.

كتب الشيخ الداعية هذه الرسالة نصيحة للشبان، وبالأخصّ منهم المراهقِين، وحذّرَهم فيه من الأعمال الجنسية الغير الشّرعية، من الاستمناء واللواط والزّنا، وكلّ ذلك في ضوء النصوص الشرعية ومشورات طبّية ووصف أدوية مفيدة.

ولهذا لو تصفّحتَ الكتاب لوجدتَ مؤلّفه علامة بالدّين، مرشِداً للصواب، داعيا إلى الخير، طبيبا ماهرا ودكتورا بارعا، ومعالجا خبيرا، وناصِحا أمينا، يدرس القضايا الاجتماعية الشائكة بجدّية تامة، ويكشف عن أرضية الواقع الذي لا مفرَّ منها لأحد مهما ترقى أو تدرّج.

ليس الكتاب ضخيما ولا في مجلدات، بل لا تتجاوز صفحاته عن ٤٧ رقما، ولكنه كتاب مفيد للغاية، مفعم بالحبّ والإخلاص، ومليء بالمادة العلمية النافعة، كل جملة فيها تترشّح منها عاطفة الأبوّة الصادقة، كأنّه أبونا جميعا، وجميعُ البشر أولادُه، الأبوّة المخلصة التي تربّي أبناءَه بالفضائل والأخلاق، وتتمنى لهم أن يكونوا أقوياء وأبطالا، لا تنقصهم القوة، ولا تضعف فيهم الرّجولة والشهامة، تلك هي عاطفة الداعية الإسلامي، الذي يضع نصب عينيه مصالح البشر جميعا ليُنقِذهم من النار إلى النور، ويشكّل مجتمعا صالحا في الدنيا، ليحصد سعادةً أبديّة في الآخرة.

يبدأ الكتاب بمقدّمةٍ جميلةٍ يشتكي فيها الشيخ الميرتي من مظاهر التطوّر الحديث الذي أبهرت العيون وغمرتها بمظاهر الترف والفساد، يدّعِي الإنسان أنه اخترع المراكب السريعة من طيارةٍ، وسيارةٍ، وباخرةٍ، وقطارٍ، ودرّاجاتٍ، وغير ذلك، كما اخترع الاتصالاتِ الحديثة المتطوّرة من قنواتٍ فضائيةٍ، وشبكاتٍ عنكبوتيةٍ، وجوال، وهاتفٍ، وما إلى ذلك من مخترعات تذهل العقول، بل يدّعي الإنسان أنه وصل إلى القمر، ولكنّه هل استطاع أن يحافظ على المادّة التوليدية النزيهة المعنية بها التي كانت تولّد أجيالا ذوي الكرامة والشرف، أصحاب الأخلاق الرفيعة، والأهداف النبيلة، والأجساد القوية.

ثمّ يعلّل الشيخ ذلك تعليلا معقولا، فيقول: إنّ حَبّةً لو تُلقى في أرض صالحةٍ متهيّئةٍ للزّرع، وفي وقت مناسب، ثم تُسقى بماء وتُرعَى رعاية كاملة فالمأمول أنها تؤتي ثمارها بألف حبّةٍ، خلافاً للحبّة التي تُنبَذ في أرض جدبة غير صالحة للزرع، وفي وقت لا يناسبها الزرع، ثمّ لا تحظى برعايةٍ، فلا يُتوقّع أن يخرج منها غرس، وإن خرج فلا يؤتي ثمارا، وإن أتت فلن تكون الثمار صالحةً غذائيةً صحيّةً، كذا الحال لبذرة الإنسان التي لو أُلقِيتْ في رحم لا يصلحُ لها لمَا نتجت أولادا صالحين أقوياء.

ثمّ دافع الشيخ عن فكرة ربما يطرحُها البعض ممن لم يُرزَق بعقلٍ سليمٍ فيقول إنّه لقد تطوّر الطب، وأوْجِدتْ الأدويةُ لعلاج ما نقصَ، ويمكن أن يُرمّ ما فسَدَ، فيجيب الشيخ على هذه الفكرة السقيمة قائلا: أين الماكينة القديمة الخربة التي أُصلِحت مرارا ثم فسدت، من الماكينة الصحيحة التي

لم تفسد ولم ترمّ؟ وأين اللباس المرقّع من اللباس السالم الذي لم يرقع، فهل يساوي هذا بذاك؟ كلا! كذا الحال للإنسان الذي حافظ على قوّته الشبابية، فهو أقوى باهاً وأحسن حالا ممّن فقدَ عذريّتَه وأضاعَ شبابَه في العواصف الهائجة من الشهوات الجنسية العارمة الشاذة، وإن رمّ واسترمّ مرارا ومرارا لن يصل حاله إلى الحالة الطبيعية الفطرية(١).

فما أحسن هذا الحديث وما أصدق هذا القول؛ فإنه من حفظ شبابَه حفظ له شيخوخته.

والأسلوبُ الذي انتهجه الشيخُ الميرتي في هذا الكتاب هو أسلوب يجمع بين ذوق أدبيّ رفيع وبين منهج علميّ بليغ، حيثُ إنّه عالجَ القضايا الجنسية الحسّاسة بأسلوبٍ مشوّق للغاية مراعيا في ذلك جانب الأدب والاحترام لا يخدّش الحياء، ولا يمسّ الشرف الإنساني، بل يرمي إلى الهدف المنشود, دون الاعتماد على الكشف الصريح حتى لا يصبح الكتاب متعة جنسية للشبان الطائشين، بل اختار أسلوبا قرآنيا ليصبح الكتاب قانونا وعلاجا.

على سبيل المثال انظر إلى أسلوبه المتألق الرشيق المؤثر ناصِحا الشبان: "لو وُقِفَ ماء العين الفوّارة برفع جدران حول جهاتها الأربع لمكثَ ماؤُها واستفاد به الكثيرون، ولكنّه لو لم يفعل ذلك لطاشَ الماءُ وضاعَ ولا يمكن لأحدٍ أن يستفيدَ منه"(٢).

---

(١) ينظر: "بهار شباب"، تأليف: الشيخ عبد العليم الصديقي الميرتي، ناشر: المكتبة النورية الرضوية، فيصل آباد، الباكستان، ص: ٥.

(٢) ينظر: "بهار شباب"، ص: ٥.

يريد الشيخ بهذا المثال الرّائع البليغ أنّ ماء الحياة للشباب لا بدّ من الحفاظ عليه، فإنه مثل العين الفائرة إنْ حُفظ ماؤُها استفاد به الإنسان، وإن طافح وسال ولم ترفع الجدران حوله لضاع الماء وقلما يستفيد به الإنسان.

ونظراً إلى أهمية هذا الكتاب نرى الطبيب الحكيم البروفيسر سعيد أحسن القادري المتخصّص في علم الأدوية يشير على أرباب المدارس والكلّيات أن يضعوا هذا الكتاب ضمن المقرّرات الدراسية للطلبة المراهقين لينفخوا فيهم روح الثبات على حفظ ماء الحياة، وسيكون لذلك نتائج إيجابية، وهو طريقة من طرق الدعوة والتبليغ؛ إذ إنّ الحفاظ على الصّحة بتجنّب الشّذوذ الجنسي يشكّل مجتمعاً صالحا بنّاء"[١].

نحن نؤيّد هذه الفكرة كل التأييد، ونحثّ أرباب الحل والعقد للمدراس والكليات أن يضيفوا في المقرّرات الدراسية هذا الكتابَ الذي يفيد ولا يضرّ، عوضا عن الدروس الإباحية التي تهيّج الشبان والشابّات وتضرّ بصحتهم، دون أن يُجدِيهم نفعاً.

٣- كتاب التصوّف:

سمّاه الشيخ بـ"لطائف المعارف" وهو "بيان السلوك إلى الله، يعني الدليل إلى عرفان الذات، والمرشِد إلى ملكوت السماوات، والهادي إلى طريق الحصول على الكمالات، ومزكّي النفوس، ومعلّم الرياضيات".

هذه العبارة تكشف لنا عن هوية الكتاب وأهدافِه المنشودة، وهي مكتوبةٌ على جبين الكتاب في الصّفحة الداخلية، النسخة المطبوعة من "المنظّمة الإسلامية العالمية" الباكستان.

---

(١) نقلنا هذه العبارة عن مجموع المقالات عن الشيخ الميرتي، وهي التي لم تطبع بعد.

والكتابُ في حجم صغير يحتوي على ٢١٢ صفحة، وطباعته جميلة وجذّابة، شأنه شأن الكتب الأخرى للشيخ من حيث المادّة والمضمون والأسلوب، فلا يستشكل ولا يستصعب، ولا يسهب إسهابا يُنفّر القاري من قراءته، بل يختار أسلوبا سهلا، وحجما صغيرا، وإيجازا لا يخلّ في إيصال المطلوب، وذلك ليتقدّم إليه القرّاء، ويستفيدوا به.

وقد أوضحنا فيما قبل أنّ أعمال الشيخ كلها تدور حول قطب الدّعوة والإرشاد، حيث إنّه لم يتعلّم العلوم الدينية والعصرية، ولم يشتغل بالتجارة، ولم يؤلّف كتبا، ولم يخاطب جمهورا، ولم يسافر إلى بلدٍ إلاّ للدعوة والإرشاد، وغاية الدعوة إخراج الناس من الظلمات إلى النّور.

من هذا المنطلق كانت غايات كتبه إفادة النّاس فحسب، وليس إظهارُ العلم، ولهذا نراه واضحا في أسلوبه، وبسيطا في عرض مادّته، وخفيفا في صفحاته، ولكنّه مع كلّ ذلك لا تفوته الدّقة والشمول، ولا تتركه الموضوعيّة وحلاوة الأسلوب.

يتناول هذا الكتاب موضوع التصوّف المستنبط من القرآن والسّنة، كما يوضّح الشيخ في مقدّمة كتابه: "كلُّ ما تقرأه في هذه الأوراق هي مستفادة من تلك التعليمات، فتلك أصول وهذه فروع، وتلك جذور وهذه أغصانها المختلفة"[١].

والتصوف عند الشيخ هو علم مبارك ومقدّس، يعني بتطهير القلوب

---

(١) ينظر: مقدمة كتاب التصوف المسمّى بـ"لطائف المعارف" تأليف: الشيخ محمد عبد العليم الصديقي القادري الميرتي، ناشر: "المنظمة الإسلامية العالمية" (World Islamic Mission) كراتشي، الباكستان، ص: ٢٧.

من الأدران، وتصفية الباطن، ويرتقي بالروح إلى معراج الكمال، ويدلّ إلى الوصال الحقيقي بالرفيق الأعلى[1].

أمّا السّلوك فهي عبارةٌ عن طُرق التزكِية والمعراج, ومَن يسلك هذا الطريق يُطلَق عليه "السّالك" أو "المتصوّف" والمنتهي هو الصُّوفي[2].

هكذا يفرّق الشيخ بين المتصوّف والصّوفي، فالمتصوّف هو الذي ما زال سالكاً طريق التزكية، أمّا الصّوفي فهو الذي سلكَ حتّى وصلَ إلى معراج الكمال.

والكتاب في جزئَين، الجزء الأوّل يعتني بجانب العمل أكثر من جانب الفكر، والجزء الثاني يبحث في علم التصوّف فكراً وفلسفة، كما أشارَ إلى ذلك المؤلّفُ العَلامة في الجزء الأوّل من كتابه قائلاً: "أمّا نظريات التصوّف وأصوله فستجدها في الجزء الثاني من هذا الكتاب بالتفصيل"[3].

ولكنّنا نأسف كلَّ الأسف أنّ الجزء الثاني قد فُقِد ولم يُعثر عليه، ولَئِنْ وُجِد وطُبع لكان دُرّاً ثميناً في مكتبة التصوّف الإسلامي، ولَاستفاد به خلقٌ كثيرٌ.

فالجزء الأوّل من هذا الكتاب يقدّم التصوّف في حقيقته، ولا يُلبِسُه قميص الفكر والفلسفة؛ فإنّ التصوف ليس إلاّ العمل، ولهذا بحث الشيخ في كتابه هذا عن الرّوح وأمراضها، ثمّ تدرّج إلى علاجها، بضرورة

---

(١) ينظر: المرجَع نفسُه، ص: ٥١.

(٢) ينظر: المرجَع السّابق، ص: ٥٢.

(٣) ينظر: كتاب التصوف المسمى بـ"لطائف المعارف"، ص: ١٩٠.

الشيخ وتزكية القلب، والتوبة النّصوحة، ثمّ السلوك، ثمّ المراقبة فالكشف الذي هو غاية العارف بالله.

وأكثر الشيخ في هذا الكتاب من التمرينات العملية على طرق الذِكر المختلفة، وتزكية القلب وتطهير النفس حسب المناهج المعروفة في الطرق الصّوفية الشّهيرة، من الطريقة النقشبندية المجدّدية، والطريقة القادرية، والطريقة السُّهَروَردِية، والطريقة الجِشتية وغيرها.

وبعد أن وضّح التصوّف العملي عند الطرق الصّوفية، المستنبط من القرآن الكريم والسنّة النّبوية العطرة، كشف عن طرق السلوك في الأديان الأخرى من المسيحيّة والبُوذية والزردشتية وغيرها، وفرّق بين التصوّف الإسلامي المستفاد من الكتاب والسنّة، وبين السلوك الإنساني المنحوت، وفنّد تلك المزاعم التي لا تفرّقُ بين التصوّف وسلوك الأديان الأخرى، بوجوهٍ عديدة، تستحقّ دراسة متأنية.

وصرّح بأنه هناك بونا بعيدا بين المذهبين، بل الحقيقة أنه لا علاقة للتصوف بالسلوك عند الأديان، وإن كان هناك نوع من المشابهة فذلك مثل سفينة ورقية يلعبها الأطفال على الماء القليل، والباخرة الكبيرة التي تخرق البحار وتعبر المحيطات، فنظرا إلى نظرية الثقل على الماء لا فرق بينهما، ولكنه بالنسبة إلى الذات، والصناعة، والقوّة، والهدف فلا علاقة بينهما.

ولهذا فالسلوك عند الأديان لا تتجاوز أن تعبر مرحلة الأبجد, أمّا التصوف فهو عبارة عن الكمال الذي أشار إليه القرآن الكريم، قائلا: (اليَوْمَ أكمَلتُ لكُمْ دِيْنكُمْ وأتممْتُ عَليكُم نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لكُم الإسْلامَ دِيناً) [المائدة: ٣].

والحقيقةُ أنّ المؤلّف في هذا الكتاب كشفَ عن الملابسات التي تورّط فيها كثيرٌ من الجهّال عن حقيقة التصوّف.

٤- أحكام رمضان المبارك:

كتابٌ صغير الحجم كبير الفائدة، لا تتجاوز ضخامتُه على ١١١ صفحة، لكنه يستوعب أحكام رمضان المبارك، التي ينبغي أن يعرفها كلُّ مسلمٍ على وجه الأرض؛ لكي لا تفوته تلك السّعادة الدنيوية والأخروية التي يمنحها الإنسانَ هذا الشهرُ المبارك، إذا قام الإنسان بأداء حقوقه وواجباته؛ وذلك لا يمكن لمن جهل عن أحكام هذا الشهر وفضائله.

وتلبية لضرورة الإنسان بدأ الشيخ العلاّمة الدّاعية عبد العليم الصديقي بتأليف هذا الكتاب في ١ من شهر رمضان المبارك عام ١٣٤١هـ، وأتمّه غضون ثلاثة أيّام فقط، أي في ٤ من الشّهر نفسه، كما يشير إلى ذلك في مقدّمة كتابه(١).

والكتاب لا يُعنى فيه بتفصيلٍ يملُّ فيه القارئ، ويصعب استيعابُه، ولا يوجز المسائل إيجازاً يُخِلّ في إيصال المطلوب، وإنّما هو كتاب جامع وشامل ومختصر يمكن للقارئ أن يستوعبَ أحكام رمضان المبارك وفضائله وخصائصه وما يتعلّق به من مسائل لا بدّ منها، كما صرّح بذلك المصنّفُ نفسُه(٢).

---

(١) ينظر: مقدمة كتاب "أحكام رمضان المبارك"، تأليف: الشيخ محمد عبد العليم الصديقي القادري الميرتي، الطبع الثاني: ٢٠٠٧م، ناشر: ورلد إسلامك مشن، باكستان، ص: ١.

(٢) ينظر: مقدّمة كتاب "أحكام رمضان المبارك"، ص: ١.

بدأ الشيخ كتابَه هذا بتوضيح مفهوم الدّين، وما يحمل في طياته من أريج الاعتدال والوسطية، ثمّ تعرَّضَ لموضوع كتابه، فوضّح حقيقة الصوم، وما يحمل هذا الشهر الكريم من نفحات إيمانية وروحانية، ثمّ عرج على الأحكام والمسائل فاستوعبَها للذكور والإناث بَدْءاً من أحكام رؤية الهلال إلى أحكام العيد وغيرها، وكلُّ ذلك في ضوء الكتاب والسنة، وبتحليلٍ علمي دقيق وبأسلوب عقلي بديع، كما هو المعتاد المعروف في آثاره، فجزاه الله تعالى عنّا وعن المسلمين خير الجزاء، وأثقل ميزان حسناته يوم القيامة, آمين!.

٥- "ذكر الحبيب صلى الله عليه وسلم ":

يُعَدّ هذا الكتابُ من أشهر كتبه، يحتوي على جزئين بحجمٍ صغيرٍ ليتمكن القارئ من حمله ونقله بسهولةٍ حيثما شاء، وكيفما شاء، وموضوع الكتاب سيرة الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم.

والكتاب معروف ومتداول بين الأوساط العامّة والخاصّة من المسلمين، وطبعاته متكررة، كما قامت "المنظّمة الإسلامية العالمية" في الباكستان بطبعه في جزئين، وبحجم صغير، عام ٢٠٠٧م، الجزء الأول يحتوي على ١٣٨ صفحة، والجزء الثاني على ١٢٢ صفحة.

والضرورة التي دعته إلى تأليف هذا الكتاب هي أن الأمة دأبَتْ على ذكر الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم على مدى التاريخ الإسلامي الطويل، واستنارت بهديه، واقتبست بسيرته العطرة المباركة للحصول على السعادة الدنيوية والأخروية، وبالأخصّ اهتمّ العلماء بذكر ميلاد الحبيب النّبي صلى الله عليه وسلم، وألفوا في هذا الموضوع كتبا، مثل كتاب "المولِد" للبرزنجي في العربية، و"سرور القلوب بذكر

المحبوب" و"تواريخ حبيب الإله" و"راحة القلوب" غيرها من الكتب والرسائل بالأوردية التي وصفها الشيخ أنها كتبٌ يُستند إليها، إلا أنها قليلة الإشاعة نادرة الوجود، أمّا الكتب المتوفّرة بين الناس فأكثرها لا تميّز بين الضبِّ والنون، وتجمع بين دَفّتيها رطبا ويابسا، وتزخر بالروايات الضعيفة والموضوعة، ولا تتأدب في ذلك الجناب الحبيب صلى الله عليه وسلم، فتصفه صلى الله عليه وسلم بالأسلوب السّوقي والعامي ما لا يليق به صلى الله عليه وسلم، وهناك أقلام قد لا تفرّق بين مقام النّبوة والألوهية، ولا تعرف الآداب ولا تناسب في الألفاظ، ولهذا لا يمكن الاعتماد عليها، بل ينبغي الاحتراز من مثل هذه الكتب، ويجب الاجتناب عنها، كما أكّد ذلك المؤلف(١).

من هنا يتّضح أن قرّاء الأوردية من مسلمي شبه القارّة الهندية كانوا بحاجةٍ ملحّة إلى كتاب بسيط يعرض السيرة النبوية من مصادر موثوقة بها ومستندة إليها، بأسلوبٍ جميل خلّاب يستمتع به السامعون والقرّاء، كانت هذه الحالة إذ شمّر الشيخ عن ساعدَيه، وحَالفه التوفيق فأتمّ تأليفَ هذا الكتاب في ٢٧ رمضان المبارك عام ١٣٥٧هـ(٢) نظراً إلى الضرورة الملحّة، ووفاءً بمتطلبات الإخوة الأحِبّاء، فأحسن وأجاد.

إذن فائدة هذا الكتاب تتلخّص في نقطتين مهمّتين: الأولى: الاستمتاع بذكر الحبيب النّبي صلى الله عليه وسلم، والثانية: التأسّي بأسوة الحبيب النّبي صلى الله عليه وسلم، كما يشير إليهما الشيخ نفسُه في مقدّمة كتابه هذا، قائلاً: "إنّ اللذّة التي يرتشفها أهل الإيمان بذكر الحبيب

(١) ينظر: "ذكر الحبيب صلى الله عليه وسلم "، ١/٩-١٠.
(٢) ينظر: "ذكر الحبيب صلى الله عليه وسلم "، ١/١١.

صلى الله عليه وسلم لا تخفى على المحبّين له صلى الله عليه وسلم، ثمّ أيُّ حبيب هو، ليس حبيب الخلق والدّنيا فحسب، وإنّما هو حبيبُ خالق الكون والمكان، ولهذا يرغب أهل المحبّة في ذكر الحبيب ويعقدون مجالس ميلادِه صلى الله عليه وسلم، ليسكنوا قلوبهم بذكر الحبيب من جانب، وليحرصوا من جانبٍ آخَر على اتباع السنّة النّبوية بذكر السيرة النّبويـة العطرة والأخلاق الحميدة الجيّدة؛ وذلك ليصبحوا أحبّاء الله وأولياءه بالعمل الدءوب على أسوته صلى الله عليه وسلم المحمودة المرضيّة"[1].

أمّا عن أسلوب الكتاب فالبساطة جوهرُه، والسهولة مبدأه، والنصح والتذكير غايتُه، ولا شكّ أنّه أسلوب دعويٌّ يهدف إلى الإصلاح والتعمير، وهو الذي يتطلّب تذليل العقبات، وتمهيد السبل، وتسهيل الطرق، كما يعتمد على التحليلات العقليّة، وعرض الواقع، دون الخوض في توافه الأمور وتعقيداتها التي لا تجدي نفعا ولا طائل وراءها، وكلّ ذلك يتهيّأ لهذا الكتاب لأنّ مؤلفه من أعظم الدّعاة المسلمين في هذا القرن على الإطلاق.

وممّا تجدرُ به الإشارة أن الكتاب مع بساطته وسهولته يُعَدّ نموذجا أدبيّا في اللّغة الأوردية؛ وذلك لسلاسة بيانه، وسبك خواطره، ودمجه أشعارا جميلة له ولمختلف الشعراء الهنود الكبار، مثل شعر حَسّان الهند الإمام أحمد رضا خان القادري البَريلوي، وغيره من فحول شعراء الأورديّة.

---

(١) ينظر: المرجع نفسُه، ٨/١- ٩.

وممّا يذكر أنّ كثيراً من مؤلّفاته بالإنكليزيّة تُرجمت باللُّغات العالميّة، كما ترجمت بالأورديّة أيضاً، وانتشرت في شِبهِ القارّة الهنديّة من الهند والباكستان، ومنها بالعناوين التالية:

١- إسلام أور روحانيّت (الإسلام والتصوف).

٢- مسلمان أور سائنس كا وجود. (دور المسلم في إيجاد العلوم والتكنولوجيا).

٣- مرزائي حقيقت كا إظهار. (الكشف عن حقيقة المِرزائية).

٤- معجزات مذهب كي روشني مين. (المعجزات في ضوء الدين).

٥- إسلام كا أصول. (أصول الإسلام)

٦- إنساني مسائل كا حَل. (معالجة القضايا الإنسانية).

٧- كميونزم كا تور. (بطلان الاشتراكية).

٨- إسلام اور اشتراكيت. (الإسلام والاشتراكية).

٩- صوت الحقّ.

ثالثاً: مؤلّفاته بالإنجليزيّة:

تكلّمنا فيما مضى أنّ شيخنا الدّاعية كان يُجيد عدّة لغات عالمية، منها على وجه الأخصّ اللّغة الإنجليزية التي غدت اليوم لغة التعامل في العالم كلّه، ولأهميتها البالغة كان من الضروري أن يُسيطر عليها شخص يقوم بالدّعوة إلى الله، على المستوى العالمي ليتمكّن من إبلاغ الرسالات الإسلامية في اللغة العَالمية، ولهذا كان الشيخ يُتقِنها نطقا وكتابةً، فكان يتكلم بها، ويلقي فيها محاضرات، وكان يكتب فيها مؤلفات دون تكلّف أو تلكؤ، وآثاره في هذه اللغة كثيرة، لم نعثر إلا على قليل منها، نقدّمها هنا حسب ترتيب الحروف الهجائية في اللغة الإنجليزية، وهي:

١- A shavian and Theologian:

أي: (مكالمة بين برنـاذشا والرجل الدّيني الإسلامي) وهو الحوار العلمي الهادي، الذي جرى بين الشيخ محمّد عبد العليم الصديقي الميرتـي والمفكّر الغربي الشهير جورج برناذشا في "ممباسة" كينيا، عام ١٩٣٥م، وقد قامت "المنظّمة الإسلامية العالمية" بطبعتها الثالثة عام ٢٠٠٦.

٢- Cultivation of science by the muslims:

أي: (مسـاهمةُ المسلمين فـي إيجـادات العلـوم والتكنولوجيـا) وهـي محاضرتُه التي ألقاها في عاصمة اليابان "طوكيو" عام ١٩٣٦م، وطبعت في صورة كتاب مرات كثيرة، ونشرت في العالم واستفاد بـه خلق لا يُعَدّ ولا يُحصـى، والطبعـة الثالثـة منهـا كانـت عـام ٢٠٠٦م، مـن "المنظّمـة الإسلامية العالمية" كراتشي، الباكستان.

ذكـر الشيخ فـي مستهل كتابـه هذا موقف القرآن الكـريم مـن العلم الحديث، وأثبت في ضوء آياته أن القرآن يدعو إلـى التفكير فـي آيـات الله، وقد جاء النّبي صلى الله عليه وسلم، ليُعلّم النّاس الكتابَ والحكمة، والحكمة كلمة جامعة تشمل جميع العلوم والفنون التي تفيد البشرية على السواء.

من هنـا يتضح أن مساهمة الإسلام فـي العلم الحديث تسبق جميع المساهمات في العالم، وهي التي بدأت قبل أربعة عشر قرنـا فـأكثر، ولمـا كـان النّبـي صـلى الله عليـه وسـلم معلّـم الحكمـة، ينبغـي أن يتحلّـى بهـا المسلمون عبر القرون؛ لأنّهم ليسوا إلا أتباعه صلى الله عليه وسلم.

وإلـى جانـب هـذا الاسـتدلال أتـى الشيخ بكثير مـن الآيـات القرآنية

وأثبت خلالها أنّ القرآن الكريم أوّل كتاب على وجه الأرض يضمّ مباحث علمية دقيقة.

بعد هذا العرض الاستدلالي في تضاريس القرآن الكريم لفت انتباه القرّاء إلى الحقائق التاريخية الثابتة التي تصرخ قائلة إن المسلمين لم يكونوا أقلّ شأنا في العلم الحديث من غيرهم.

وبالتالي يعدّ هذا الكتاب من أهمّ الكتب في بابه، وهو من أولى المحاولات التي تردّ على المزاعم التي تفرض بأنّه كلّ ما كان في العلم الحديث هو من أوربّا فقط.

وعلاوةً على هذا يُعدّ الكتاب دعوةً صريحة إلى الإسلام الذي يعنى بالعلم، وبالأخص في جوّ اليابان العلمي، الذي ينظر إلى كلّ شيء بمنظار العلم والتكنولوجيا، فكان الشيخ مصيبا في هدفه، فقد اهتدى به كثير من خلق الله.

٣- Elementary Teachings of Islam:

أي: (تعاليم الإسلام الأساسية): يعرض هذا الكتابُ الإسلامَ وأصوله الأساسية بأسلوبٍ تعليمي بسيطٍ واضحٍ باللغة الإنجليزية، حتى يَتمكّن المسلمُون الجُدد خاصّةً أن يستفيدوا به، ويتعلّموا أركان الإسلام من الصّلاة والزّكاة والصوم والحجّ والأحكام الضرُوريّة بسهولةٍ.

توالت طبعات الكتاب منذ تأليفه إلى يومنا هذا، فقد قامت "المنظّمة الإسلامية العالمية" كراتشي الباكستان، بطبعته السابعة والثلاثين، عام ٢٠٠٦م.

ولا شكّ أنّ كثرة الطبعات تدلّ على أهمية الكتاب وضرورته، فقد استفاد به خلق لا يُعَدّ ولا يُحصى.

كتب الشيخ مقدّمة على هذا الكتاب للطبعة الرابعة في المدينة المنوّرة ١٤ رجب المرجب عام ١٣٧٣هـ/١٩٥٤م، وذكر فيها قائلاً: إنّني وعدت في مقدّمة الطبعة الثالثة أنه سيأتي الجزء الثاني من هذا الكتاب، إلاّ أنّ كثرة الأسفار الدّعوية والتدهور المستمر في الصحة يقفان في سَبيل ذلك، مع ذلك أرجو أن أقدّمَ الجزء الثاني من هذا الكتاب إلى المكتبات الإسلامية في المستقبل القريب بأسرع ما يمكن من الوقت[١].

يبدو من هذه الأسطر أنه كان يريد تأليف الجزء الثاني من هذا الكتاب، إلّا أنني لم أقف عليه، ولعلّه لم يجد وقتا كافيا له، وارتحل إلى رحمة ربّه قبل إيفائه، وربما كتب ولكنّه ضاع، كما ضاعت كتبُه الأخرى.

٤- How to face communism ?:

أي: (كيف نواجه مخاطر الشيوعية) وهي محاضراته التي ألقاها من إذاعة زنجبار الإفريقية عام ١٩٥٢م.

وكان لمحاضراته هذه أثر عميق وواضح في إقامة السدّ المنيع أمام السيل الجارف للشيوعية الإلحادية، وإذاقتها شرّ هزيمة على المستوى العالمي.

والكتاب مطبوعٌ ومتداول ومشهور بين أهل العلم من أصحاب الرأي والشأن، إلا أننا نأسف أنه لم تكتحل عيناي بطلعته البهيّة حين كتابة هذه الأسطر المتواضعة، وأرجو أن أسعدَ برؤيته المباركة في المستقبل.

---

(١) ينظر: Elimentary Teachings Of Islam, Published by: World Islamic Mission , Pakistan, Preface to the 1954 Edition.

٥- How to preach Islam:

أي: (كيف نقوم بالدّعوة الإسلامية) يبحث هذا الكتاب في أصول الدعوة وأهميتها، كما يلقي ضوءا على أحقية الإسلام واحتياج الناس إليه، ويتحدّث عن القرآن الكريم الذي هو المصدر الوحيد للأديان السماوية؛ إذ إنه تولى الله تعالى حفظه من التحريف والتصحيف.

كما يلجأ إلى أسلوب الإنذار والتبشير بعرض النار والجنّة وتصوير الآخرة في ضوء نصوص من الكتاب والسنّة.

قامَت "المنظّمة الإسلامية العالمية" كراتشي الباكستان، بطبعته الثالثة عام ٢٠٠٦م.

٦- Islam answer to the chellenge of communism:

أي: (الإسلام يردّ على تحديات الشيوعية) هذا الكتاب أيضا ضمن الكتب التي تردّ على الشيوعية، وتقيم سدّا منيعا أمام سيولها الجارفة.

وحالي مع هذا الكتاب كحالي مع سابقه، لم تصل يداي إليه إلى اليوم، وللأسف.

٧- Pilgramage to Mecca:

أي: (الحجّ والزيارة) يعرض الكتاب مسائل الحجّ والزيارة، في صورة السؤال والجواب، وبأسلوب سهل وبسيط، ليتمكّن المبتدي من ضبط المسائل، ويستفيد به أكثر فأكثر.

قامت "المنظّمة الإسلامية العالمية" كراتشي الباكستان، بطبعته الثانية عام ٢٠٠٦م.

٨- Quest For True Happiness:

أي: (البحثُ عن السّعَادة الحقيقية) في هذا الكتاب يحصر الشيخ سبل السعادة في اتباع الدّين فقط، والدّين الوحيد الذي يضمن سعادة البشر هو الدّين الإسلامي؛ وذلك لأنه هو الدّين السماوي المحفوظ والممتاز بأصوله وقوانينه.

قامت "المنظمة الإسلامية العالمية" كراتشي الباكستان، بطبعتها الثالثة عام ٢٠٠٦م.

٩- Religious and scientific progress of the world:

(التطوّر الديني والعلمي على المستوى العالمي) يبدو من عنوان الكتاب أنه يبحث في المقارنة بين الدّين والعلم، وينتقد جانب التطوّر المادي الذي يهوي بالإنسان إلى هاوية الانحلال الخلقي والفساد الاجتماعي والسياسي، ولو كان هذا التطوّر في مجال الدّين الإسلامي لكان خيراً وسعادةً.

١٠- Spiritual Culture In Islam:

أي: (الثقافة الرّوحانية في الإسلام) هذا الكتاب عبارة عن المباحث في التصوف العملي الذي يحثّ عليه الشيخُ العامّة من الناس؛ إذ إنّ الإنسان لا يستطيع أن يبني مجتمعا بدون العمل الصالح، والعمل الصالح هو الذي يجلب الخير والسعادة الحقيقية للإنسان، وهو الذي يمنحه الطمأنية في الدنيا والآخرة.

والعمل الصالح المستنبط من الكتاب والسنّة هو التصوف، ولا علاقة له بالسلوك الذي يتبعه أرباب الأديان الأخرى من البُوذية واليهودية

والمسيحية وغيرها، كما أوضح الشيخ كل ذلك بأسلوبه الحلوّ البديع الجذّاب داعيا إلى الإسلام الذي يمنح الإنسان السعادة الحقيقية.

طُبع الكتاب ضمن مجموعة من الكتب الإسلامية للشيخ، وقد سمّيت المجموعة بـ Dimensions of Islam أي: أبعاد الإسلام، ونشرها مجمع الإمام أحمد رضا، دَربَن، جنوب إفريقيا، عام ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م.

١١- The Forgotten path of knowledge:

أي: (طريق من العلم قد أنساه الناس) يُلقي هذا الكتاب ضوءاً على جانب مهمّ في مجال العلم الحديث، وذلك بأنّ الإنسان ينظر في الظواهر الكّونية ويخلص إلى نتائج حتمية في كثير من الأحيان، ولكنه لا ينظر في خالقها، وإن كان يتحتّم عليه أن يُمعن النظر في صانع الأكوان؛ إذ إنّ العلم الحديث يُدرك تماما أنه لا يمكن أن تظهر للوجود إبرة دون صانع، فكيف يمكن أن تكون السماوات والأرضون والجبال الشامخة والبحار الواسعة والفيافي والقفار، وما إلى ذلك من ظواهر الكون دون صانع؟!.

والحقّ أن العلم الحديث يتناسى هذا الجانب من العلم، فإنْ نظر الإنسان وأمعنَ وتفكّر لاهتدى إلى الإيمان بالله الخالق الذي صنع جميع الموجودات فأحسن صناعتها.

على هذا النحو العلمي المعقول خاطب العقول المثقّفة من العلماء، ودعاهم إلى الإيمان بالله، ضارباً على وترٍ حسّاسٍ من العلم والمعرفة.

والكتاب مطبوع ومتداول، قامت "المنظمة الإسلامية العالمية" كراتشي، الباكستان، بطبعته الثالثة عام ٢٠٠٦م.

١٢- The History Of the Codification of Islamic Law:

أي: (تـاريخ تـدوين القـانون الإسـلامي) والكتـاب عبـارة عـن محاضـرات الشـيخ الأربعـة التـي ألقاهـا عـام ١٩٥٠م، فـي "ترينيـداد" (Trinidad)(١)، وهـي التـي تسلط الضـوء علـى قضـايا المسلمين السّاخنة على المستوى العالمي، وتبحث في الحلول المعقولة، وتكشف عن غيوم الشكوك والأوهام، عن الإسلام وقوانينه الفقهية عبر التاريخ.

ويمكن أن يُعَدّ الكتاب نوعا من الردّ الهادئ على القاديانية والفرق الضالة التي تسخر من القوانين الإسلامية، وتشكّك في الشريعة الإسلامية الغرّاء المعروفة على مدى أربعة عشر قرنا، فقد بدأ الشيخ بإثبات أنّ الشريعة الإسلامية كاملة لا تنقصها الدقّة والشمول، وهي التي تليق بجميع العصور، وإنما يحتاج الإنسان إلى الشرح والبسط والتطبيق فقط.

كما أوضح أن الشريعة الإسلامية سماوية وليست بشرية، وأن النّبي صلى الله عليه وسلم، لم يتكلّم إلا ما أوحى الله تعالى إليه وحيا متلوّا كان أو غير متلوّ، ولفهم ما جاء به النّبي صلى الله عليه وسلم على مدى العصور خلق الله تعالى العلماء الراسخين، الذين يقومون بفهم النصوص والاستنباط، ولعامّة من الناس ليس إلا المراجعة إليهم إن جهلوا شيئا عن الدين، ولا يحقّ لهم أن يخلطوا الحق بالباطل.

وأوضح أهمية الفقه الإسلامي، ودور الفقهاء، وسرد تاريخا موجزا

---

(١) ينظر: Preface of the book "The History Of The Codification of Islamic Law", Published by: World Islamic Mission, Pakistan, 2th Edition 2008.

للفقه الإسلامي، واضعا نصب عينَيه في الدعوة إلى الله من خلال الالتزام بالشريعة الغرّاء، كما اعتنى بتصحيح الفكر، وكشف الشكوك والأوهام، يقول الأستاذ محمّد إبراهيم (رئيس منظمة أهل السّنة والجماعة لـ "ترينداد") في مقدّمته على هذا الكتاب، التي كتبها في ١٠ أيار/ مايو عام ١٩٥٠م: "أنا واثق من أنه لو قرأ هذا الكتابَ أيّ مسلم بشرح صدره لتجلت الشكّوك والأوهام التي جعلت مجتمعنا مظنة الضحك للناس"(١).

والكتاب مطبوع ومتدوال، قامت المنظمة الإسلامية العالمية بطبعته الثانية، عام ٢٠٠٨م.

١٣- The message of peace:

(رسالة السلام) يبدو من عنوان الكتاب أنه يتناول الأمن والسلام، ولا شكّ أن الإسلام رسالة واضحة للأمن والسلام، فإنه لا يحرّض على الحروب والدمار، بل يلقن دروس الصبر، والتحلي بالحلم، ولا يسمح برفع السيف، إلا في الحالات الاضطرارية، وذلك لإيقاف إراقة الدماء فحسب.

ولما أننا لم نستطع الحصول على هذا الكتاب، ولهذا نتوقف عن الكلام على محتوياته وأسلوبه.

١٤- THE MIRROR:

كتابٌ يكشف القناع عن الصّور الحقيقية الحيّة التي تثبت العلاقات القوية بين المرزا غلام أحمد القادياني والمملكة البريطانية، التي تتولى

---

(١) ينظر: المرجع السابق.

فرقة القاديانية الضالة تكميلاً لنظرية "فرّق تسد"؛ لأنها لا تستطيع أن تحكم الناس إلا بهذه النظرية الفاسِدة.

يبتدئ الكتابُ بتسليط الضوء على الخلفيّة السياسية للحركة القاديانية، ثمّ يسرد أفكارهم ونظرياتهم مستمدًا من مؤلفات المرزا غلام أحمد القادياني، ومؤلفات أذنابه من المرزائيين الذين باحوا بأسرارهم في حال من الأحوال.

ويبدو من عبارة Edited Under The Guidence Of His" Exalted Maulana Shah Mohammad Abdul Aleem Sddiqui Al "Qadri على وجه الكتاب أنه ليس تأليفا مستقلا للشيخ، وإنما حُرّرَ الكتاب تحت إشرافه، أو ربّما أملاه على غيره لاشتغاله بشؤون الدعوة الكثيرة، إلا أن كثيرا من المترجمين يعدّون هذا الكتاب ضمن مؤلفاته بدون الإشارة إلى هذا الجانب.

والكتاب قامت بطبعته الثانية "المنظمة الإسلامية العالمية" كراتشي الباكستان، عام ٢٠٠٨م.

١٥- The principal of Islam.:

أي: (مبادئ إسلامية) وهو كتاب صغير الحجم، إلّا أنه يقدّم تعريف الإسلام في صورة بسيطةٍ وواضحةٍ، حاولَ الشيخ فيه توضيحَ علاقة الإنسان بالأكوان المحيطة به، ثمّ وضّح بعثة الأنبياء -عليهم السلام- وأسباب تخليقهم، والإيمان برسالاتهم، وبالله العظيم، والإيمان بالملائكة، ويوم الآخرة، ثمّ ذكر ما يترتب بالإيمان بالله ورُسله، من الابتعاد عن

المعاصي والذنوب، والامتثال بالأوامر من الصّلاة والزّكاة والصوم والحجّ وغير ذلك من أعمال.

ثمّ قارن بين الفكر الإسلامي، والأفكار الأخرى، وأثبت أصدقية الفكر الإسلامي في ضوء الحقائق المسلمة الثابتة، كما تكلّم عن الكتاب الحكيم، وصدقه، كلّ ذلك بأسلوب علمي معقول، وفي ضوء نصوص من القرآن والسنّة.

تُرجم الكتاب بالأوردية، وتوالت طبعاته، وكانت طبعتُها الثالثة من "المنظّمة الإسلامية العالمية" كراتشي الباكستان، عام ٢٠٠٦م.

١٦- The Unicevsal Religion:

أي: (الدّين العالمي) يسلّط هذا الكتاب ضوءًا ساطعا على أنّ الإسلام دين عالميٌّ، ويبتدأ من توضيح ضرورة الإنسان إلى الدّين، ومكانة الإنسان فيه، كما يوضّح أرضية الواقع الحالي وطبيعة العمل في عصر التقنية، ويشرح علاقة الإنسان بخالقه، ومهمّة الرسول -عليه الصلاة والسلام-، ويثبت أن الرّسالة الإلهية التي جاء بها النبي صلى الله عليه وسلم، تواكب جميع العصور والأزمان، مهما تغيّرت طبيعتها، ومهما تطوّرت تقنيتها، فلا يفلت شيء من حظيرة الإسلام الفسيحة، ويتناول غير ذلك من أمور بأسلوب علميٍّ شائق، وبعرضٍ جميلٍ، يستقطب قلوب المثقفين من العالم إلى الإسلام بالرحب والسّعة.

والكتاب بديع في موضوعه ومحتواه، يستحقّ القراءة، كما يدلُّ على عبقرية الشيخ المؤلف ونظرته الواسعة تجاه دقائق الأمور في هذا العصر المتقدّم، عصر التكنولوجيا والعلوم.

وقد طبع الكتاب من "المنظمة الإسلامية العالمية" كراتشي الباكستان، طبعة ثانية عام ٢٠٠٨م.

١٧- Women and their status in Islam:

أي: (المرأة ومكانتُها في الإسلام) وهو من أهمّ الكتب التي تردُّ على المغرضين الذين يريدون النيل من شخصية المرأة بادّعاءات كاذبة من الحرية والمساواة.

بَدأ الشيخ كتابه هذا بمقارنة مكانة المرأة في الإسلام وغيره من الأديان، وأوضح أن الإسلام هو الذي سَما بمكانتها في جميع مراحل عمرها، فتاةً، وشابةً، وشيخةً، كما رفع بها في جميع محطّات وظائفها بنتا وزوجةً، وأمّاً، وفي جميع هذه المراحل يعطيها الإسلام ما لا يُعطيها غيرُه.

ثمّ تكلّم عن مساواة المرأة بالرجل في كثير من المجالات غير المجالات النفسية والعضوية التي تفرض التفرقة بين الصنفين تلقائيا، ويؤكّد أنّ المرأة في المجتمع الإسلامي قد تجهل حقوقها التي يمنحها لها الإسلام لقلّة علومها الدينية، وإلى الحقيقة التي لا يمكن رفضها وهي أن الإسلام يمنحها مكانةً اجتماعيةً، واحتراماً لذاتها وشخصيتها.

أمّا الحجاب الذي يفرضه الإسلام على المرأة فهو ليس سلبا لحريّتها، وإنما هو حفاظ على شخصيّتها النسوية، وضمان لعفافها الذي هو أثمَن شيء لها على وجه هذه الأرض.

يتناول الكتاب جميع هذه الجوانب بأسلوب علميٍّ رشيق، وفي ضوء نصوص من الكتاب الكريم.

والكتاب عبارة عن محاضرة الشيخ التي ألقاها في "طوكيو" ٢٧ تموز/ يوليو عام ١٩٣٦م, وقامت "المنظمة الإسلامية العالمية" كراتشي الباكستان، بطبعته الرابعة عام ٢٠٠٦م.

*   *   *

المبْحَثُ التاسع

خدماته في مجال التنظيم والتعمير

- تأسيس الجمعيّات والمنظمات
- إنشاءُ المسَاجِد
- إنشاءُ المدارس والمعاهد والجامعات
- إصدار الصُّحف والمجلات

لم تقتصر جهودُ الشّيخ الدّاعية على جوانب محدودةٍ في خدمة الإسلام، وإنّما له لمساتٌ إيمانية على جميع الأطراف المهمّة ذات التأثيرات البالغة في المجتمع الإنساني، ولهذا نراه يوظّف لسانَه في دعوة النّاس إلى الإسلام، وينظّم لهم الأمور، ويؤسّس لهم المنظمات والهيئات، ويضع لهم حجر الأسس للمساجد والمدارس، لتكونَ مراكز للمسلمين، ويُقيم المعاهد والكليات والجامعات لتكونَ منارةً للدّعوة والإرشادة، ومصنعاً للعلماء والأفاضل، وليتمكّن أبناءُ المسلمين من تثقيفِ أنفسِهم وتحليهم بالعلوم والمعارف؛ لكَيلا يجهلوا معبودَهم، ولا يغفلوا عمَّن خلقهم، وليواكبوا العصرَ الرّاهن بمقتضاياتِه المستحدثة.

وينشيء الجرائد والمجلات لينشرَ منها كلمة الإسلام, ويدافعَ عن الإسلام وحقوق الضعفاء والملهوفين.

وما إلى ذلك من أمور، بل الحقيقة أنه كان مُلِمّ الأطراف والشمائل

وسيع النظر وعميق الفكر في القضايا الدينية والشؤون الدولية والمحلية، محلّلا دقيقا، وجامعا بين الدين والدنيا.

تأسيسُ الجمعيّات والمنظّمات:

أسّس في "بُورْمَا" اتّحاداً للطلبة المسلمين باسم BORMA MUSLIM EDUCATIONAL CONFRENCE (المؤتمر التعليمي لمسلمِي بُورْما) عام ١٩١٤م[١].

في جزيرة "مُوريشِس" جاهَد ضدَّ القاديانيّة وقضى عليها، فأسّس جمعيةً إسلامية باسم "حِزب الله" عام ١٩٢٩م[٢].

في "سِيلان" قام بتأسيس جمعية التبشير الإسلامي[٣]؛ لينشرَ منها الإسلامَ في أنحاء الدّولة، ويدافِع عن الدّين[٤].

في عاصمة جنوب إفريقيا "دَرْبَن" قام بتأسيس المركز العالمي لخدمة الإسلام (INTERNATIONAL ISLAMIC SERVICE CENTER) عام ١٩٣٥م[٥].

وعام ١٩٣٦م أسّس "الجمعيّة التبشيريّة" لعموم مَلايا، وعيّن تلميذه الرّشيد السيّد إبراهيم الشّغوف رئيساً لها[٦].

في "سِنْغَافُورَة" أسّس منظّمة باسم "تنظيم بين الأديان"، عام

(١) ينظر: مجلة "المنار" (The Manaret) باللغة الإنجليزية، الصادرة من كراتشي، عام ١٩٧٣م، ص: ٢٤. نقلا عن كتاب "مبلغ إسلام"، ص: ٢٢. وينظر أيضا: "حياة عليم الرضا"، ص: ٢٦.

(٢) ينظر: "حياة عليم الرضا"، ص: ٢٦. و"مبلغ إسلام"، ص: ٢٩.

(٣) ينظر: "مبلغ إسلام"، ص: ٢٩.

(٤) ينظر: "مبلغ إسلام..."، تاليف خليل رانا، ص: ٢٩.

(٥) ينظر: المرجَع نفسُه، ص: ٣٩.

(٦) ينظر: المرجع السابق، ص: ٣٩.

١٩٤٩م، وجمع على محطتِها قادةَ الأديان من بقاع العالم، من اليهود والنّصارى والبوذِيين وغيرهم، ودَعاهم إلى رفع كلمةٍ واحدةٍ ضدَّ العِلمانية، ليقلعوا اللادينيّة من جذورها(١).

وكذلك أسّسَ منظّمةً في "جمهوريّة مصر العربيّة" باسم "تنظيم بين المذاهب الإسلاميّة"، وذلك ليستطيعَ أن يلمَّ شمل المسلمين، ويوحِّد كلمتَهم(٢).

ولا شكَّ أنّ خطواتِه هذه عظيمة، تُنبئ عن عواطفه الصّادقة التي كان ينبض بها قلبُه، الذي كان يريد أن يسودَ العالَم العدل والإنصاف، ويخرج الإنسان من الخُسران إلى النَّجاح والسّعادة، وذلك لا يمكن إلاّ بالأيدي العادلة، والأفكار الصّافية، التي لا يُلهمها إلاّ الإسلامُ برسالتِه السّماوية الخالدة.

إنشاء المساجد:

لا يخفى على العاقل ما للمساجد من أدوار في ترسيخ الفكر الإسلامي وتقوية دعائمه، فإنّ المساجد تكون مراكز مهمّة ينطلق منها الإسلام لينتشر في ربوع الأرض، ولهذه الأهمية البالغة نرى الداعية الشيخ الصديقي يُنشِئ المساجد للأهداف الدّعوية، يقول البروفيسر محمد أحمد الصديقي "إنّ الشيخ أشرَفَ على تعمير المساجد في كلّ دولةٍ قام فيها بالدعوة والإرشاد، يُقدّرُ عددُها ١٢٠ مسجداً"(٣).

---

(١) ينظر: "تذكرة أكابر أهل السنة"، ص: ٢٣٩.

(٢) ينظر: المرجَع نفسُه، ص: ٢٣٩.

(٣) ينظر: مقال البروفيسر محمد أحمد الصديقي المنشور في المجلة الخاصة "عظيم مبلغ إسلام"، ص: ٢٧.

ويقول المرزا إرشاد أحمد العَليمي: "إن الشيخ سافر إلى جزيرة "سيلان" عام ١٩٢٣م، وألقى في محافظاتها محاضرات عديدة، وحاول توحيد صفوف المسلمين، كما أنشأ المسجد المَيمني الحنفي في "كولومبو" وهو من أجمل مساجدِها"[١].

ومن أشهر تلك المساجد التي أشرف الشيخ على تعميرها، ما يأتي:

١- الجامع المَيمني الحنفي في "كولومْبُو".

٢- مسجد "السلطان" في "سِنْغَافُورَة".

٣- مسجد ناغريا في "اليابان"[٢].

٤- أوّل مسجد وضع حجر أساسه في "كندا" عام ١٩٢٩م.

٥- جامع "سنغائي" في "الصين"[٣].

إنشاء المدارس والجامعات:

المؤسَّسات الدِّينيّة التعليميّة التي قام بتأسيسها في مختلف بلاد العالَم كثيرة، منها:

١- المدرسة الوطنية المتوسّطة (NATIONAL HIGH SCHOOL)، التي أسّسها في إحدى مُدن الهند "بُونَه" أثناءَ قيامِه في مَمبَئ، وهي مدرسة

---

(١) ينظر: "حياة عليم رضا"، ص: ٢٢.

(٢) ينظر: مقال البروفيسر محمد أحمد الصديقي المنشور في "عظيم مبلغ إسلام"، ص: ٢٧. و"مبلّغ إسلام" للأستاذ خليل أحمد رانا، ص: ٢٠ – ٢١. و"تذكرة أكابر أهل السنة"، ص: ٢٣٩. و"حياة عليم رضا"، ص: ١٩.

(٣) ينظر: مقال البروفيسر محمد أحمد الصديقي المنشور في "عظيم مبلغ إسلام"، ص: ٢٧.

عصريّة، ألحقها بـ"جامعةِ مسلم" عَلِيكَرْهْ، أَتَرْبَرْدِيْشْ، الهند[1].

٢- "المدرسة الغفوريّة العربية" أسّسها عام ١٩٣٣م في مضافات "كولومبُو" عاصمة "سِيلان"[2].

٣- جامعة عربيّة في "ماليزيا"، أسّسها بمعونةٍ من السيّد محمّد إبراهيم إساغوف[3].

إصدار الصُّحف والجرائد والمجلّات:

لا تخفى على العاقل أهميةُ الصّحافة في الحياة الإنسانيّة، وبالأخصّ في هذا العصر الذي غدا عصر الصحافة والإعلام، ونفّذت سلطانَها حتّى على السياسة، فلا شكَّ أنّ الصّحافة تلعب دوراً مهمّاً في تغيير الأنظِمة السياسيّة والاجتماعيّة، حتّى تستطيعَ أن تجعلَ الظالمَ مظلوماً، والمظلومَ ظالماً.

نظراً إلى هذه الأهميّة البالغة نرى الدّاعية الإسلامي والمفكّر العبقري, يُنشِئ الجرائدَ والمجلّات لأهدافٍ دعويّةٍ واجتماعيّة، فمنها:

أصدرَ جريدة "كوكب إسلام" باللغة الإنجليزية مِن "سِيلان" عام ١٩٢٨م، وهي التي كان يُديرها السيّدُ موش، وكانت تُقرَأ هذه الجريدة في العالم الإسلامي برغبةٍ[4].

وفي "سنغافورة" عَام ١٩٣٢م أصدَرَ مجلّة شهريّة باللُّغة الإنجليزيّة،

---

(١) ينظر: "مبلغ إسلام"، تاليف خليل رانا، ص: ٢٣.

(٢) ينظر: المرجع نفسه، ص: ٣٨.

(٣) ينظر: "حياة عليم رضا"، ص: ١٩.

(٤) ينظر: "امام أحمد رضا ارباب علم ودانش ..."، ص: ٦٧.

وسمّاها "رئيل إسْلام" (REAL ISLAM MAGAZINE) (حقيقة الإسلام)[1].

وأثنـاء مكوثِـه فـي "سِـنْغَافُورَة" عـام ١٩٣٦م أصـدَر مجلـة باللُغـة الإنـجليزيّة، وسمّاها: "THE GENUIN ISLSM", وفوّض إدارتَها إلى تلميذِه الرّشيد الدّكتور إيتشْ إيسْ مُنشِي[2].

كانـت هـذه المجلـة شـهرية، وهـي أول صـحافة إسـلامية فـي تـاريخ "سـنغافورة" يعلّق عليهـا الشـيخ نسـيم أشـرف الحبيبـي قـائلاً: "هـذه مجلـة بالإنكليزيـة، كانـت تصـدر شـهرياً، ومسـتواها العلمـي والثقـافي علـى قمّـة الارتفاع حتى غدت سفيرةً للإسلام ، تأثر بها الناس، وبدأوا يهبون من نـوم الغلفة ويتوبون شيئا فشيئا، حتى استناروا بنور الإسلام"[3].

أنشـأ مجلـة إسـلامية "دي مسـلم دائجسـت" THE MUSLIM DIJEST باللّغـة الإنجليزيـة من "دَربَن" وفوّض إدارتها إلى أحد تلامذته الكاتب الإنكليـزي السيّد محمّد المكّي -رحمه الله- الذي وقف لها حياتَـه كلّهـا، حيـث أصـبحت المجلة رهينة لحياته، فتواصلت مسيرتَها نحو سبعين سنة، مـادام مـديرها السيّد المكّي على قيد الحياة، إلاّ أنّها توقفت فيمـا بعـد بوفـاة مـديرها رحمـه الله رحمة واسعة[4].

وكانت المجلة قد أحرزت قبـولا واسـعا فـي أوربّـا وأمريكـا وإفريقيـا، وكانت تقوم بنشر الرسالة الإسلامية التـي حمـل إليهـا الشـيخ الداعيـة وتمثـل

---

(١) ينظر: المرجع نفسه، ص: ٣٤.

(٢) ينظر: "مبلغ إسلام"، تاليف خليل رانا، ص: ٣٩.

(٣) ينظر: "سلطنت مصطفى كا سفير"، ص: ٤٦.

(٤) ينظر: المرجَع نفسُه، ص: ٥٩.

الحركة التي أنشطها في قلب جنوب إفريقيا، وكانت تصدر عددا خاصا بمناسبة شهر رمضان المبارك، وكان اسم الدّاعية الشيخ عبد العليم الصديقي مكتوبا على جبين المجلّة دائما[1].

وفي أمريكا أسلم طالبٌ في "جامعة مشيغان" الأمريكيّة[2]، السيد عبد الباسط نعيم، الذي أصدَر مجلّة إسلاميّة تحت إشرافِه باسم: "العالم الإسلامي وأمريكا" (THE ISLAMIC WORLD AND U. S. A) والتي واصلتْ مسيرتها الصحافية إلى مدةٍ من الزمن[3].

* * *

---

(١) ينظر: المرجَع السّابق، ص: ٥٩.

(٢) (UNIVERSITY OF MICHIGAN) جامعة أمريكية تأسّست عام ١٨١٧م.

(٣) ينظر: "حياة عليم رضا"، ص: ٢٨ ـ ٢٩. وكتاب مام أحمد رضا ارباب علم ودانش... ، ص: ٦٩.

المبحث العاشِر

من ذكرياته العلمية في الهند: دار العلوم العلِيميّة

- قصّة تأسِيسها
- أهدافها
- امتيازاتها
- مركز الدّعوة والإرشاد
- دار الإفتاء
- المكتبة العلِيميّة العامّة
- مجانية التعليم
- القسم الداخلي
- المطعم الخيري

قصّةُ تاسيسِها:

"جَمْدَا شَاهِي" قريةٌ من قُرى الهند، الشهيرة، تقع على بُعد ١٥ كلو مِترا في الشمال من مدينة "بَسْتِيْ"، وهي في الشمال الشرقي على بُعد ٢٥٠ كيلو متراً من "الكنَو" عاصمة "أتَرْبَرَدِيش" الهند.

أغلب سكّان القرية من المسلمين السّنة، وثلّة من الطائفة الوهابية، قد شرّفَ الشيخُ الدّاعيةُ محمّد عبد العَليم الصّديقي الميرتي القادري هذه القريةَ السّعيدةَ بقدومِه الميمون مرّتَين، كان أخراهما سنة ١٩٤٥م[1]

---

(١) ينظر: مقال الشيخ محمد أيوب بعنوان: "مبلّغُ الإسلام العلامة، عبد العليم الميرتي، نبذة من أحواله، وأعماله الدينية والعلمية والسياسية"، المنشور في مجلة "بيام حرم" (رسالة الحرم) بالأردية الصادرة من دار العلوم العليمية، جمدا شاهي، أيار سنة ٢٠١١م، ص: ٢٦.

حينما بايَعَ كثيرٌ من أهل السّنة على يدَيه المباركَيْن على التمسّك بحبل الدّين المتين والاستقامةِ على الإسلام، والمواظبةِ على الأعمال الصّالِحة، ودخلوا في الطريقة العليّة القادرية.

اعتادَ الشيخُ الدّاعية على فتح المدارس وتنظيم الهيئات في ربوع العالم كلّه، بأنّه لم يسافر إلى قطعةٍ من هذه الأرض إلاّ وترك عليها أثرا إسلاميا خالِدا من المساجد، والمدارس، والهيئات، والمنظمات، وغيرها طِبقاً لضرورة الإنسان والبيئة والمجتمع.

وحسب عادته الميمونة هذه نراه يشير على مريدِيه في هذه القرية بفتح مدرسةٍ عربيةٍ إسلاميةٍ لتعليم الناشئين من المسلمين، فلبّوا دعوةَ شيخِهم، وعزموا على ما أمرَهم به، ولكن الظّروف قد وقفتْ دون ذلك، فلم يتمكّنوا من تعبير رؤياه إلاّ في شهر يناير عام ١٩٥٢م[١].

افتتحت هذه المدرسة في العام المذكور بتعليم الابتدائي، وفي ظروف قاسية جدّا، ولكنّ الديابنة من الطائفة الوهابية وقفوا في طريقها، ولجأوا إلى المحكمة المحلية مُصِرّين على عرقلة عجلاتها، إلّا أنّ أولي العزم من المسلمين السّنة تصدّوا لهم باسلين، فأيّدَهم الله بالنصر المبين، ولم ينجح الوهابية فيما أرادوا، بل خابوا وخسروا وتذللت العقبات، وتمهّدت السُّبل واستطاع أصحاب الهمَم العالية من المسلمين السّنة أن يضعوا حجر الأساس لبناية أولى في ٥ جُمادى الأولى سنة ١٣٧٢هـ/ ٢١ يناير عام ١٩٥٣م، باسم "المدرسة العليميّة العربية"[٢]، ثمّ أخذت هذه

(١) ينظر: المصدر نفسه، ص: ٢٦.

(٢) ينظر: المصدر نفسه، ص: ٢٧.

المدرسة تتطوّر شيئا فشيئا لتصبح اليوم كلية إسلامية -دار العلوم- فيها مبانٍ شامخة، وخرّيجوها ذَوُو كفاءاتٍ عاليةٍ، ولها سمعةٌ طيّبة بين أوساط الخاصّة والعامّة، ومَا زَالتْ هذه المدرسةُ تخطو خطواتٍ حثيثةٍ نحو المستقبل الزّاهر.

والسبب الرّوحاني في تطوير هذه المدرسة إلى كلية إسلاميةٍ كبيرةٍ ذلك الدّعاءُ المستجابُ الذي دعا به الشيخ الصديقي في ظلال الحضرة النبوية الشريفة، يذكر أحدُ علماء هذه القرية الشيخ محمّد أيوب القادري أن الحاج شمس الحقّ العليمي أرسل رسالةً إلى شيخه الداعية محمد عبد العليم الصديقي وهو في المدينة المنوّرة وأخبره عن تأسيس المدرسة وبعضا من المشكلات، فبعث الشيخُ برسالةٍ جوابيةٍ عبّرَ فيها عن غاية سروره، وطمّنه مواسيا، وأخبره بأنه يدعو لها في حضرة النّبي الأكرم صلى الله عليه وسلم، حيث لا يُردّ دعاء، ولا يرجع أحد خائبا، وبدعواته المستجابة ما زالت تتخطّى هذه المدرسة خطوات التقدّم والازدهار(١).

وعلى منواله تلقت هذه المدرسة عنايات كريمة من لدُن نجله الشيخ أحمد نوراني، الذي زار القرية أربع مرّات، وجعل المدرسة موضع اهتمامه، ولدعمه المادّي والمعنوي فضل كبير في ترقيتها نحو الأمام.

وإلى جانب دعاء الشيخ الصديقي في الحضرة النّبوية الشريفة، والدّعم المعنوي والمادّي لنجله الكريم الشيخ نُوراني هناك عوامل أُخرى أدّت دَوراً مهمّاً في تطوير هذه المدرسة، منها تلك التضحيات المثالية التي قدّمَها أصحابُ الجدّ والعزم من أهالي هذه القرية، بأنّهم تحمّلوا الأذى

---

(١) ينظر: المصدر السابق، ص: ٢٧.

والمشاق من ضربٍ وشتمٍ ومكرٍ وخداعٍ من قِبل الوهابية الذين وقفوا في وجه هذه المدرسة الدينية واختلقوا لهم أنواعا من المشاكل، وزرعوا لهم الفساد، مما اضطرّ أهلُ السنّة إلى مطاردتهم من القرية إلى المحكمة، ومن البيت إلى الشّارع، وضَحّوا لذلك أنفسَهم وأموالهم، وعلى رأسِهم المخيّر الكريم الحاج شمس الحقّ العليمي، والرّجل الثّريّ نديّ اليدَين الحاج غلام مصطفى الرّضوي الذي جاد بماله، حتّى وصلَ بها إلى أوج الازدهار، برّدَ الله ثراهما.

أهدافها:

استهدفت دار العلوم العليميّة منذ حجر أساسها الأوّل إلى ما يأتي:

١- خلق الوعي الإسلامي الأصيل في نفوس الناشئين والمواطنين الهنود بصفةٍ خاصّةٍ.

٢- نشر العقيدة الإسلامية الصحيحة المتصفة بالوسطية المستنبطة من القرآن والسنّة.

٣- توجيه النّاس إلى التطبيق الشّرعي في حياتهم اليوميّة.

٤- إعداد نخبة قيّمة من العلماء والمفكرين الذين يتهيأون لقيادة الأمّة في مختلف مجالات الحياة في الدين والمجتمع والسياسة والاقتصاد.

٥- الجمع بين الجديد النافع والقديم الصالح لخلق التفاعل الحضاري الإسلامي.

٦- الجمع بين العلوم الإسلامية والعلوم العصرية تماشيا مع روح العصر ومقتضياته.

٧- خلق روح التكافل الاجتماعي والتحمّس في نفوس المسلمين.

٨- الاهتمام بأمور الأيتام والمساكين التربوية والتعليمية.

٩- السعي الحثيث لإيجاد حل مشكلة البطالة.

الإمتيازات التي تمتاز بها:

هناك عدة امتيازات وخصائص تجعل دار العلوم ذات أهمية بالغة وقيمة كبيرة، وهذه الخصائص هي:

١- تمتاز دار العلوم عن غيرها بنظامها التعليمي المنفرد الجذاب الذي يجعل الطلبة ينجذبون إليها زرافات ووحدانا من مناطق بعيدة ساحقة.

٢- ينعقد الامتحان الفصلي بعد ثلاثة أشهُر من أجل تنشيط الطلبة وتحريضهم على الدراسة ومتابعة الدروس.

٣- تحتضن دار العلوم العليميّة كلّية خاصة لتعليم البَنات المسلمات وتثقيفهن ثقافة دينية.

٤- تهتم دار العلوم بتدريس اللغة العربية وآدابها بصفة خاصة, فضلاً عن الإنجليزية، والطلبة ملزمون بمادّة المحادثة باللغة العربية، بهدف تحسين مستواهم في النطق بلغة الضاد.

٥- التركيز على جوانب تربوية وتثقيفية في مجالاتٍ شتّى من الكتابة والخطابة والصحافة وغيرها مما يجعل الطلبة يتصدون لتحدّيات العصر وينشرون الإسلام على وجه مطلوب.

٦- التوجيه السديد إلى التحلّي بآداب إسلامية والتمسّك بمبادئ حنفية.

والجدير بالذكر أنّ دار العلوم العليمية لا تبخل حسب إمكانياتها المادّية في توفير المجلّات والدوريات للطلبة من مختلف أنحاء العالم لتنويع الثقافة وتعميم الإفادة.

مركز الدّعوة والإرشاد :

يهتمّ طلبة دار العلوم العليمية بالدعوة والإرشاد لتوصيل نداء الإسلام في المناطق القريبة منها والبعيدة في الهند وخارجها، هادفاً نشر المعتقدات الإسلامية السمحة المتصفة بالوسطية والاعتدال، واضعا التطرّف والمغالاة في الفكر والسلوك والعمل عرض الحائط، ويشترك في تفاعل هذا المركز أساتذة دار العلوم وطلبتها من خلال الوفود المنتظمة إلى أحياء المدن والأرياف، وبالأخص في يوم العطلة الأسبوعية.

هكذا يضرب المركز عصفورَين في وقت واحد وبحجرة واحدة، الأوّل خدمة الإسلام من خلال الدّعوة والإرشاد، وتمرَين الطلاب على الخطابة وأساليب التوجيه الدعوي المتفاعل المؤثر، والثاني: ترويح النفوس الثقلة بأعباء الدراسة والمطالعة.

دارُ الإفتاء:

إنّ الدّولة الهندية ديمقراطية، لا تؤمن بدينٍ وترفض آخر، بل تعترف بجميع الأديان وتعطي كلّ دِين حقّها في التطبيق حسب نطاق مشروعيتها، وهكذا يبقى كثير من أحوال مسلمي الهند الشخصية لا تحلّها الدّولة، ولا علاقة لهَا برجالها، وبهذا الصدد يرفع المسلمون مسائلهم وشئونهم على مراكزهم الدينية حسب التوزيع الجغرافي والمسلكي،

ونظرا إلى هذا الواقع تحتضن دار العلوم العليمية مركزا خاصا بالإفتاء، ترفع إليه قضايا المسلمين الشرعية، وتجاب عليها بأجوبة مقنعة في ضوء الكتاب والسنة، وينخرط بهذا القسم المشايخ ورجال الدين الإخصّائيون.

المكتبة العليمية العامّة:

إن المدرّس بدون كتاب كالمقاتل بدون أسلحة في ساحة القتال، أو كالسابح بلا أيد وأنفاس على الماء، لا يستطيع أن يتنفسَ، ولا يقدر على الهجوم والمدافعة عن نفسه، فضلاً عن غيره، وطبقاً لهذه الحاجة الطبيعية الملحة لا بد لكلّ مؤسّسة علمية من مكتبة زاخرة بالكتب في ساحتها، ليأخذ منها نهال المعرفة أقواتهم العلمية، ويتسلحوا بها للذود عن معتقداتهم ونزعاتهم، ولبناء الشخصية المستقلة أيضا.

وانطلاقا من هذا المبدأ تأسّست في رحاب دار العلوم العليمية "المكتبة العليمية" وقد حظيت بعنايات كريمة من قبل المخيّرين، فتقدمت بخطوات ملحوظة، وتحتضن في طياتها كتبا قيمة في مختلف ميادين العلوم والمعارف من كتب التفاسير، وعلوم القرآن والحديث، واللغة والأدب، وما إلى ذلك من فنون، وفي عديد من اللغات، كالأوردية, والعربية، والإنجليزية، والفارسية، والهندية وغيرها.

مجانية التعليم:

دعماً لمسيرة الطلاب التعليمية تضمّ دار العلوم "مجانية التعليم" التي توفّر لطلبتها جميع الكتب الدراسية المقرّرة وللمراحل كافة، وتوزع الكتب بينهم في بداية كلّ فصلٍ دراسي، ويجبر الطالب صيانتها وإرجاعها في نهاية الفصول الدراسية.

القسم الدّاخلي:

تهتمّ دار العلوم بتوفير مناخ ملائم لطلابها وحوافز مادّية لقضاء على أيةٍ معوقاتٍ ماليةٍ أو معنويةٍ تعرقل مسيرتهم العلمية، ولما كانت دار العلوم تستقبل كلّ عامٍ أعدادا كبيرة من أبناء الوطن من المحافظات المجاورة والبعيدة، فقد قامت بإنشاء أقسام داخلية خاصّة بهم في حرمها، وهي مزوّدة بالتسهيلات اللازمة الأخرى.

المطعم الخيري:

إنّ دار العلوم العليمية منذ نُعومة أظفارها قد دابت لخدمة أبناء الأمّة المسلمة، الذين تكاد ترهقهم أعباء الدراسة المكلفة، والتي لأجلها يفضل النّاس الجهالة والأمية على التعليم المكلف الباهظ الثمين، ومن هذا المنظور قد اعتزمت دار العلوم على نشر الإسلام وتعميم ثقافته من خلال التعليم المجاني، ووفقا لهذا المبدأ توفّر دار العلوم لطلبتها سكنا مريحا ووجبات من الطعام، وكلّ هذا وذاك بفضل تبرّعات المسلمين ودعمهم المالي، فجزاهم الله خيراً الجزاء.

* * *

المبحث الحادي عشر

ثناءات العلماء والمفكّرين عليه

- رئيس وزراء موريشِس رام غلام
- الشيخ حَسن البَنّا
- مبعوث فلبائن الدكتور أحمد
- الدكتور اشتياق حسين القريشي
- الدكتور فضل الرّحمن الأنصاري
- الكاتب القدير عبد الماجد الدّرْيا آبادي
- سيّد سليمان النَّدوي
- الصحافي مقبول جَهَانْغِير
- الأستاذ محمّد صلاح الدّين
- العلاّمة عبد الله خانْ العزيزي
- الصُّحف والهيئات تُثني على جهوده

إنَّ الشيخ الميرتي كان يمتلك صفاتٍ ومؤهلات وخصائص تميّزه عن غيره من علماء عصره، بل تجعلُه شخصيةً مثاليّةً في التاريخ الإسلامي الطويل، شخصيةً دعويةً قويّةً في عصر شحّت فيه الرجال، ولهذا نرى العلماء والمفكّرين يتأثرون به ويغدقون عليه ثناءاتٍ عَطِرة، ومن أشهرهم: قائد الثورة الباكستانية محمّد علي جَناح، والغَازي عبد الكريم من المغرب، ومفتي فلسطين سيّد أمين الحسيني، ومؤسّس إخوان المسلمين حسن البنا من جمهورية مصر العربية، والقاضي المبجّل ايم مرواني، والقاضي ايم تي أكبر من سريلانكا، والكاتب الإنجليزي جورج

برنادشا من أوربا[١]، وغيرهم كثيرون على المستوى العالمي.

ولا شكّ أنّ الاحتكاك الاجتماعي بهؤلاء المشاهير على المستوى العالمي، وترك الأثر القوي فيهم يدلّ على عبقرية الشيخ الميرتي وعظمته التي أخضعت القلوب.

وفيما يأتي نقدّم عِدّة نماذج للعلماء والمفكّرين، الذين تأثّروا بالشّيخ وأعماله، فأثنَوا عليه بكلماتٍ تفوح بالإعجاب والتقدير، والمتأثّرون به ليسوا من العامّة فقط، بل هُم أساطين الوقت وزعماء العصر، والصحفيون والإعلاميون، وغيرهم.

رئيس وزراء موريشِس رامْ غُلام:

أثنى رئيس الوزراء لجزيرة "موريشِس" السيّد رامْ غلام على جهود الشيخ الميرتي، التي بذَلها في بلاده، حيث اعترفَ في إحدى خطاباته بمناسبة حفلة المولد النّبوي الشّريف قائلاً: "هذه منطقة آمنة وهادئة ويرجع فضل أمنها وهدوئها إلى الشيخ عبد العَليم الصديقي الذي لقّن مواطنِي هذه المنطقة دروسَ الصبر والأمن والسّلام بمساعيه الدّعوية وتعليماته الأمنية"[٢].

مؤسّس إخوان المسلمين الشيخ حَسن البَنّا:

أثنى الشيخ حَسن البَنّا على جهود العلامة الداعية التي بذلها في خدمة الأمّة الإسلامية، وبالأخصّ جهوده في إلغاء ضريبة الحجّ التي فرضَتْها

(١) ينظر: "تذكرة أكابر أهل السّنة"، ص: ٢٣٨ ـ ٢٣٩.

(٢) ينظر: الجريدة اليومية "جنك" الصّادرة من كراتشي، في ٢٧ شباط، عام ١٩٧٨م، نقلا عن كتاب "مبلّغ الإسلام العلّامة عبد العليم"، ص: ٦٦.

الحكومة السعودية على الحجّاج الكِرام، حيث قال: "كما كان من فضل الله أن التقينا منذ عامَين في الأرض المقدّسة وعند البيت العتيق بصاحب الفضيلة والداعية الإسلامي الشيخ عبد العليم الصديقي ...ونحن نسأل اللهَ تبارك وتعالى أن يجزي الأستاذَ المفضال الشيخ محمد عبد العليم الصّديقي عن المسلمين عامّة خير جزاء"[1].

مبعوثُ "فلبائن" الدكتور أحمد:

يسردُ الدكتور أحمد مبعوث "فلبائن" في حفلة نزول القرآن معترفا بخدمات الشيخ، قائلاً: "علينا أن ننشرَ الإسلام اليوم، كما قام به داعيةُ شبهِ القارّة من الهند والباكستان الشهير، الشيخ عبد العليم الصديقي، فإنّ الشيخ أسّس في جزر "فلبائن" المدارس الإسلامية، والمكتبات، والمساجد، وأصدرَ المجلّات الشهرية، والجرائد الأسبوعية، وإنّنا لم نسعد بنور الإسلام إلا به، وبمساعيه أسلمْنا"[2].

الدّكتور اشتياق حسَين القريشي:

يعدُّ الدكتور القريشي من المهرة البارعين في مجال التعليم والتربية، وقد أثني على جهود الشيخ الدّاعية في مجال الدّعوة ثناء عطرا، حيث قال: "إنّني كنت احترمه كثيرا، فإنّه كان يحمل في طياته محاسن كثيرة، التقيتُ به مرّتين، مرةً كان يشتكي من داءٍ في عينه، مع ذلك رأيتُه لا تنقطع جهوده الدعوية، بل كان متواصلا بها ومشغولا فيها، واللقاء الآخر كان عقب

(١) ينظر: "البيان"، ص: ٤ و٦.
(٢) ينظر: الجريدة اليومية "جنك"، الصادرة من "راولبندي"، الباكستان، في ٣ تشرين الأول/أكتوبر، عام ١٩٦٩م، نقلا عن كتاب "مبلغ الإسلام، العلّامة عبد العليم الصديقي"، ص: ٢١.

صلاة الأضحى في ممبئي، حيث أمّ الصلاة وقام بدعاء مخلص رقتْ له قلوبُ الناس"[1].

الدّكتور فضل الرّحمن الأنصاري:

الدّكتور الأنصاري من المقرّبين إلى الشيخ، فقد صحبه في أسفاره الدّعوية حول العالم أكثر من ٢١ سنة، رآه عن كثب ولاحظ أعماله على مهل، واستوعبَ أعماله الدعوية بدِقةٍ، فهو يقول: (إنّ مواعظه الحسنة قد نضّرَ إيمان مئات الآلاف من البشر، وآلاف منهم تابوا، ومئات من الكفّار أسلموا، فيهم عالم أمريكي الدكتور جورجْ إينتونوف، وقد اقتبست الهيئات الدينية المتعددة في عديد من الدول نورا من إرشاداته وتوجيهاته، لتتمكّن من التقدّم بأعماله الدّعوية، وكاتب هذه الحروف قد تشرّف بصحبته أثناء أسفاره العالميّة، كما سعدتُ بتولّي المسئوليات السكرتيرية في أيّامه الأخيرة نحو ٢١ سنة، ولهذا يمكن لي أن أقولَ على وجه البصيرة: إنّ أعماله الدّعوية المترامية على أربعين سنة لهو عمل عظيم)[2].

الأديب الشهير عبد الماجد الدّرْيَا آبادي:

يقول الأديب الشهير عبد الماجد الدَّرْيا آبادي: "من الخطأ أن نحكم على البريلويين على سواء؛ فإنّ الشيخ عبد العَليم الصّدّيقي منهم قدّم خدماتٍ جليلة في مجال الدّعوة والإرشاد"[3].

---

(١) ينظر: الجريدة الأسبوعية "الأفق" الصّادرة من كراتشي، في ١٩ ـ ٢٥ آذار، عام ١٩٧٨م، نقلا عن كتاب "مبلّغ الإسلام العلّامة عبد العليم"، ص: ٦٦.

(٢) ينظر: مقدّمته على كتاب الشيخ "ذكر الحبيب"، مطبوعة المركز الإسلامي، كراتشي، ص: ٧.

(٣) ينظر: الجريدة الأسبوعية "الصدق الجديد"، الصادرة من "لكنو"، في ٢٥ نيسان، ١٩٥٦م، نقلا عن كتاب "مبلّغ الإسلام العلّامة الشاه عبد العليم"، ص: ٦٧.

سيّد سليمان النّدوي:

سيّد سليمان النّدوي يقول: "الشيخ عبد العليم الصديقي القادري عالمٌ وداعيةٌ متحمّسٌ... رغب في الدعوة إلى الله فانتخب لنفسه جزر الهند الصينية والمُدن الساحلية... ولا يزال يسافر إلى "سنغافورة" و"جاوا" و"الصّين" و"اليابان" وإلى إفريقيا على مدار السنة... كنتُ أقرأ عن أعماله الدّعوية في الجرائد، ولكنّه صادف لي أن التقيتُ مسلمين أوربّيين أسلموا على يده، فتحيّرتُ كثيرا، وقلتُ: إنه الله الذي يعطي مَن يشاء من فضله، وإن مساعيه الدعوية تدعو العلماءَ إلى الاحتذاء، والمسلمين العَامّة إلى الشّكر والاعتراف بها"[1].

الصحفي الشهير مقبول جَهَانْغِير:

ويقول الصحفي الباكستاني الشّهير، والأديب المعروف، السيّد مقبول جهانغير، الذي زار "إندونيسيا" مع الرئيس السّابق محمد ضياء الحقّ في تشرين الثاني/ نوفمبر عام ١٩٨٢م، فرأى ما رأى فيها من خدمات وأعمال قدّمها الشيخ الداعية في هذه الدولة، فكتب تقريراً عن سفره ذكر فيه خدماته، وقال: "... إن الدّاعية عبد العَليم الصدّيقي أسّس فيها مجلسا دعويا، وجمعية لعلماء إندونيسيا باسم "نهضة العلماء"... وإنه بذل في هذه الأرض لتبليغ الإسلام وإشاعته كلّ ما كان في وسعه من قوّة جسمية وروحية، تعلّم لغتَهم، ثمّ دعاهم إلى الحقّ في لغتهم، ممّا استطاع أن يُخرجَ الآلاف من الإندونيسيين من ظلمات الكفر إلى نور الإسلام"[2].

---

(١) ينظر: مجلة "المعارف" الصادرة عن "أعظم جراه"، في آذار، ١٩٣٨م، ص: ١٦٢، نقلاً عن كتاب "مبلّغ الإسلام العلّامة عبد العليم"، ص: ٧٤.

(٢) ينظر: الجريدة اليومية "إمروز" الصادرة من "ملتان" الباكستانية في ٨ ديسمبر عام ١٩٨٢م، نقلا عن كتاب "مبلغ الإسلام العلامة الشاه عبد العليم.."، ص: ٧١.

الأستاذ محمد صلاح الدّين:

يقول الصحافي الشهير مدير الجريدة اليومية "جَسَارَتْ" الصّادرة من كراتشي: "كنتُ أسمع عن خدماته الدّعوية، والآن أشاهدها أثناء أسفاري العالمية، فقد صادف لي أن زرتُ حالياً المركز الإسلامي والمدرسة في "سنغافورة" التي كان قد أسّسها الشيخ، ولهذا أشهد أن عمله الوحيد هذا يكفيه لمغفرته, وإنّ الأعمال التي قدّمها في سبيل الدّعوة والتبليغ تقوم دليلاً واضحا على محبته تجاه الدّين والنّبي صلى الله عليه وسلم، رزقه الله تعالى أجراً جزيلا لخدماته، ووَفّق محبّيه لذلك، آمين!"[١].

العلامة عبد الله خانْ العزيزي[٢]: ويقول العلاّمة عبد الله خانْ العزيزي: "ولكنّني لا أتردّد في كشفِ القناع عن هذه الحقيقة أن شخصية "مبلّغ الإسلام" الفذّة قد يندر مَثيلها في النصف الأوّل من القرن الحالي"[٣].

---

(١) ينظر: مجلة "مينارة نور"، الصادرة من كراتشي في ذي الحجة عام ١٤٠٠هـ/تشرين الثاني ١٩٨٠م، نقلا عن كتاب "مبلغ إسلام، العلامة الشاه عبد العليم..."، ص: ٧٢.

(٢) هو العلامة الشيخ عبد الله خانْ العزيزي المعروف في الهند بـ"شيخ القرآن"، درَس في الجامعة الأشرفية بمباركفور، الهند، ثمّ اشتغل بالتدريس فيها، انتقل إلى دار العلوم العَليميّة، ببلدة جمدا شاهي، مديرية بَستي، يوبي الهند، عميداً ومدرّسا، واشتغل فيها حتّى وفاته في ١٣ شعبان المعظّم ١٤٣٣هـ، أغسطس عام ٢٠١١م -رَحمه الله-, من كتبه: "مسائل الرِّبا" وترجمة جزء من تفسير النَّسفي بالأوردية، المعروف بـ"تفسير العزيزي"، و"رحلة إلى الحجاز"، ومقالات باللغة الأوردية.

(٣) ينظر: مقال الشيخ عبد الله خان العزيزي، عن الداعية المنشور في مجلة "العَليم" الصادرة من "مجلس الثقافة والمعارف" لطلبة دار العلوم العليمية، جمدا شاهي، بَستي يوبي، الهند.

وذلك لأنّ الشيخ الميرتي قامَ بأعمال الدّعوة على المستوى العالمي، والقيام بالدّعوة أهمّ الأعمال وأعظمها، كما يقول العلامة العزيزي معللاً ذلك: "وممّا لا غبارَ عليه أنّ القيام بأعمال الدّعوة والإصلاح وتطبيقها تطبيقا ميدانيا يعتبر سلاحا ناجحا في بثّ الرّوح الإسلامية أكثر من إنشاء مراكز العلم والفنّ وإعداد المكاتب والمعاهد للدراسة والتوعية الإسلامية؛ وذلك لأنّ نشر تعاليم الإسلام القيّمة وتبليغ أفكاره العالية الرائعة, كان في ازدهار وانتشار في الوقت الذي لم تكن فيه هذه المعاهِد والكليات والدّفاتر في حيّز الوجود"(١).

ثمّ يستطرد قائلاً: "إنّه كان آيةً من آيات الله، ومعجزةٌ من معجزات الرّسول صلى الله عليه وسلم، وبرهان الشّريعة والطريقة، وأنّ شخصيته قد أدركت هذه الحقيقة أنّ الأمرَ بالمعروف والنهيَ عن المنكر في أمَسّ حاجةٍ للدعوة إلى الإسلام من جديد"(٢).

الصّحف والهيئات تُثني على جهوده:

كما أثنى العلماء والمفكّرون على الشيخ، كذلك قامت الهيئات والمنظّمات والجرائد والصحف بتقديم الشكر والامتنان والتهاني والتبريكات، وبتحسين الجهود والخدمات، وبعرض المفاخر والثناءات عليه لجهوده المضنية المثالية في سبيل الدعوة والإرشاد، كما قدّمت "جمعية العلماء" فرع ممبئي، و"جمعية تبليغ إسلام" ممبئي، بالتهاني والتبريكات، وتحسين الجهود التي كان يبذلها الشيخ في مجال الدعوة(٣).

---

(١) ينظر: مجلة "العَليم" الصادرة من "مجلس الثقافة والمعارف" لطلبة دار العلوم العليمية، جمدا شاهي، بستي، يوبي، الهند.

(٢) ينظر:المرجع نفسُه.

(٣) ينظر: مجموع المقالات، "عظيم مبلّغ إسلام"، ص: ١٦٢ – ١٦٣.

إليكم نصّ رسالةٍ بعثتْها "جمعية العلماء" فرع ممبئي، و"جمعية تبليغ إسلام" ممبئي: "إلى جنابكم العالي، مُبشّر الإسلام، مقبول الأنام، الفاضل في العلوم الشرقية والغربية، الكامل في الفنون العقلية والنقلية، فضيلة الشيخ، مولانا الشاه محمد عبد العليم الصديقي القادري، رئيس "ميرت" أدام الله فيوضه وبركاته, حضرة الشيخ المحترم، ذو المجد والكرم، الحمد لله والمنّة، لقد أتيحت لنا فرصة ثانية أن نهنّئكم لمساعيكم في مجال الدعوة الإسلامية بأعماق قلوبنا, أخونا الأعزّ والمحترم! إنه لا شكّ فيه أنّ ما قمتم به في هذا الميدان مقبول عند الله ورسوله صلى الله عليه وسلم، ومحبوب ومرغوب عند الناس، جزاكم المنعِم الحقيقي أجراً جزيلا!...

ونظراً إلى هذا كلّه يتحتّم على "جمعية العلماء" فرع ممبئي، و"جمعية تبليغ الإسلام" ممبئي، أن تقدّمَ التهاني والتبريكات بأعماق القلوب إلى حضرتكم على ما أنجزتم من نجاح في الدعوة..."[1].

وكذلك أثنت جريدة "الفقيه" الصادرة من "أمْرَتْسَرْ" في ١٤ آذار سنة ١٩٣٢م، قائلةً: "يرجى من جميع قرّاء "الفقيه" أن يدعوا للشيخ الحافظ عبد العليم أن يمنحه الله الصحة والعافية؛ فإنّ وجوده لنا دُرٌّ يندر نظيره، وهو جوهرٌ لا يمكن العثورُ على مثله في المذهب الحنفي"[2].

هذه أمثلة كقطرةٍ من البحر، والحقيقة أن أغلب الجرائد والصحف في

(١) نصُّ الرسالة طويلٌ، نقلنا منه على سبيل الاستشهاد لما ملأت به قلوب الناس من حب عميق تجاه الشيخ. ينظر: "عظيم مبلغ إسلام"، ص: ١٦٢.

(٢) ينظر: جريدة "الفقيه" الصادرة من "أمرتسر" في ١٤ آذار، عام ١٩٣٢م، ونسخة منها في "عظيم مبلغ إسلام"، ص: ١٧٧.

عصره كانت تقوم بنشر أعماله الدعوية حول العالم، وكانت تثني على جهوده التي قام بها في مجال الدعوة.

وكذلك لم تجد عالما يمتلك ثقافة واسعة، وشعورا بالغا، وإحساسا مرهفاً، وعقلا منصفا، وقلبا سليما غيرَ حاسدٍ، إلا وأنه رطب اللسان بذكره ونديّ بالثناء على أعماله.

* * *

خلاصة البحث

وفيما يأتي نوجز أعماله وخدماته التي تميّزه عن غيره من العلماء، وتكشف القناعَ عن عبقريّته، وهي:

أوّلاً: نهضَ بأعباء الدّعوة الإسلامية في بقاع العالم مؤمناً مجاهداً مخلصاً، متحلياً بالعمل والأخلاق، ومتسلّحا بالعلوم الدينية والعصرية، واللغات المحلّية والعالمية، ومثابراً على تحمّل المشاق والأذى، ملتمساً أجرَه عند الله في الآخرة.

ثانياً: سَافرَ إلى أكثر من ٣٥ دولة من دول العالم داعيا إلى الله، فأسلمَ ما يقارب سبعين ألفاً من الكفار، منهم خمسة وعشرون ألفا من الأوربيين المسيحيين وغيرهم.

ثالثاً: قدَّمَ الإسلامَ إلى كلِّ طبقةٍ من الناس، وبالأخص خاطبَ طبقة من المثقفين والعلماء، والقادة، والزعماء، وأرباب السلطة والنفوذ.

رَابعاً: حَاوَرَ المفكّر الغربي الأيرلندي الشهير جورجْ برنادْشا في عام ١٩٣٥م، وأرغمه على تسليم الحقائق عن الإسلام والاعتراف بأحقيته، وترك فيه أثرا قويا إلى حد أنه تمنّى أن يسعد بصحبته سنوات.

خَامِساً: سافرَ إلى الجامعات العالمية، وألقى فيها محاضرات قيمة، وترك أثرا قويا في جمهوره، مما قرّبَهم إلى الإسلام.

سَادِساً: أسّس كثيرا من المساجد والمدارس والكليات في العالم، وأصدر الجرائد والمجلات وأشرف عليها.

سَابعاً: أسس المنظمات والهيئات على المستوى العالمي، وأشرف عليها طول حياته.

ثامِناً: تعرّض دائما للقضايا الساخنة في العالم، فدافع عن نظرية الإسلام في المرأة، ورفع علمَ الجهاد ضد القاديانية والعلمانية اللادينية والاشتراكية المادّية، ودَعا الناسَ إلى الله الخالق.

تَاسِعاً: سعَى سعياً حثيثاً لحلّ قضايا المسلمين في مختلف البلاد، وزرع في قلوبهم نواة الحب والإخلاص، وألقى فيها بذور الاتحاد والاتفاق، كما فعل مع الإرشاديين والعلويين في سِيلان، ولحلّ قضاياهم قاد الوفود إلى الرؤساء والحكّام، بالأخصّ في الهند، وموريشِس، وجنوب إفريقيا وغيرها.

عَاشِراً: قاد وفدا لعلماء أهل السّنة والجماعة عام ١٩٤٧م إلى بلاد الحجاز، وفاوض السلطان ابن سعود حول الضرائب التي فرضتها الحكومةُ السّعودية على الحجّاج، ممّا أرغمه على التراجع عن قراره، وقد أثنى على عمله هذا مؤسِّسُ جماعة إخوان المسلمين، حَسن البَنّا وغيره من الشيوخ الأجلة من العرب والعجم.

حادي عشر: ساهمَ في حركةِ التأسيس لدولة "الباكستان"، الإسلامية في ترسيخ جذورها، وتدعيم وجودها في العالم، مما تأثّر بمساعيه قائدُ الثورة الباكستانية محمد علي جِناح، ولقّبَه بـ"سفير الإسلام".

ثاني عشرَ: حينما تعرّض مسلمُو الهند للقتل والنهب من قبل الهندوس المتطرّفين، عند التقسيم وقبله وبعده، تقدّمَ إلى رئيس جمهورية الهند الأسبق، جواهر لعلْ نِهْرُو، وفاوضَه داعِيا إلى إيقاف إراقة الدماء فورا.

المصادر والمراجع

المراجع العَربية:

١- "أساليبُ الدعوة والتربية في السنة النبوية"، تأليف: الدّكتور زياد محمود العاني، شركة الرشد للطباعة والنشر، بغداد، العراق، ٢٠٠١م.

٢- "أصول الدّعوة"، تأليف: الدكتور عَبدُ الكريم زيدان، الطبعة التاسعة: ١٤٢١هـ/ ٢٠٠١م، مؤسّسةُ الرسالة، بيروت.

٣- الأعلام لخير الدّين الزركلي، طبعة دار العِلم للملايين، بيروت، لبنان، الطبعة السادسة عشرة، كانون الثاني ٢٠٠٥م.

٤- "البيان"، للدّاعي إلى الله محمّد عبد العليم الصديقي، طبع دار الطباعة والنشر الإسلامية، بيت العلم محلة المشائخ ميرت، الهند.

٥- "الدولة المكية بالمادة الغيبية" مؤسّسة رضا، الجامعة الرضوية النظامية، لاهو، الباكستان، الطبعة الأولى: ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١ م.

٦- سنن أبي داوُد، تأليف: سليمان بن الأشعث أبو داود السجستاني الأزدي، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، طبعة دار الفكر، بيروت، لبنان.

٧- صحيح البخاري، للإمام أبي عبد محمد بن إسماعيل البخاري المتوفى سنة ٢٥٦هـ، طبع مجلس البركات، الجامعة الأشرفية، بمباركفور، الهند.

٨- الصحيح لمسلم، للإمام مسلم بن الحجاج المتوفى سنة ٢٦١هـ، طبع مجلس البركات، الجامعة الأشرفية، بمباركفور، الهند.

٩- "علماءُ العرب في شبه القارة الهندية"، تأليف: يونس الشيخ إبراهيم السّامرائي، طبعة بغداد.

١٠- جامع الترمذيُّ، للإمام أبي عيسى محمّد بن عيسى بن سورة الترمذي، المتوفى سنة ٢٧٩هـ، طبع "مجلس البركات"، الجامعة الأشرفية، بمباركفور، الهند.

١١- "نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر"، لمؤرّخ الهند عبد الحي بن فخر الدّين اللكنوي، (ت:١٣٤١هـ)، طبعة دار ابن حزم، بيروت، الطبعة الأولى: ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.

المراجع الأوردية:

١- "أحكام رمضان المبارك"، تأليف: الشيخ محمد عبد العَليم الصدّيقي القادري الميرتي، الطبع الثاني: ٢٠٠٧م، ناشر: "المنظمة الإسلامية العالمية"، (World Islamic Mission)، كراتشي، الباكستان.

٢- "الاستمداد على أجيال الارتداد"، (مجموعة من الأبيات الشّعْريّة) للإمام أحمد رضا خانْ القادري، شرحه نجله الأصغر مفتي الهند الأعظم الشيخ مخمد مصطفى رضا خانْ، باسم "كشف ضلال ديوبند"، ناشر: المدرسة القادرية، ممبئي، سنة النشر: ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م.

٣- امام احمد رضا ارباب علم ودانش كى نظر ميں (الإمام أحمد رضا عند أرباب العلم والنظر). تأليف: الشيخ ياسين أختر المصباحي، مطبوعة رضوى كتاب گهر ، دلهي، الطبعة الثامنة عام ٢٠٠٢م.

٤- بهار شباب، تأليف: الشيخ عبد العليم الصديقي الميرتي، ناشر: المكتبة النورية الرضوية، فيصل آباد، الباكستان.

٥- تذكرة أكابر أهل السنّة، تأليف: الشيخ عبد الحكيم شرف القادري، طبعة لاهور، ١٩٧٦م.

٦- "تذكرة خلفاء أعلى حضرة"، رتّبه: الشيخ محمد صادق القصوري، والبروفيسر مجيد الله القادري، ناشر: إدارة تحقيقات إمام أحمد رضا، كراتشي، الباكستان، سنة النشر: ١٤١٣هـ/١٩٩٢م.

٧- تذكرة علماء أهل السنّة، تأليف: محمود أحمد القادري، الطبعة الثانية: ١٩٩٢م، سنّي دار الإشاعة، فيصل آباد، الباكستان.

٨- "جهان مفتي أعظم"، مجموع المقالات عن الشيخ محمد مصطفى رضا خان، المعروف في الهند بـ"مفتي الهند الأعظم"، مطبوعة رضا أكاديمي، ممبئي، ٢٠٠٨م.

٩- "حياة أعلى حضرة"، للشيخ ظفر الدين البهاري، مطبوعة الإمام أحمد رضا أكاديمي، بريلي، عام ١٤٣٥هـ/ ٢٠١٤م.

١٠- "حياة عليم الرضا"، تأليف: مرزا إرشاد أحمد العليمي، ناشر: "انجمن حزب الفريد"، ساهيوال، الباكستان.

١١- "ذكر الحبيب صلى الله عليه وسلم" (بالأوردية) تأليف: الشيخ محمد عبد العليم الصديقي الميرتي، الطبعة الثانية، ناشر: "المنظمة الإسلامية العالمية"، (World Islamic Mission) كراتشي، الباكستان، عام ٢٠٠٧م.

١٢- "سلطنتِ مصطفى كا سفير" (سفير سلطنة المصطفى صلى الله عليه وسلم) تأليف: الشيخ نسيم أشرف الحبيبي، ناشر: المجمع النّوراني، دار العلوم العليمية، سنة النشر: ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م.

١٣- "سوانح أعلى حضرة، الإمام أحمد رضا"، للشيخ بدر الدين المصباحي، ناشر: المكتبة النورية، براؤن شريف، مديرية بستي، الهند، الطبعة الثانية عام ١٣٨٧هـ/ ١٩٦٨م.

١٤- "عظيم مُبلّغ إسلام"، مجموع المقالات عن حياة الشيخ محمد عبد العليم الصديقي، وأعماله الصّادرة عن كراتشي، الباكستان، تحت إدارة الأستاذة الدّكتورة فريدة أحمد الصدّيقي، ١٩ رجب المرجب ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م.

١٥- "عهدِ رَوَاں كى ايك عبقرى شخصيت" (شخصية عبقرية في العصر الراهن) للشيخ محمّد أمين النّوراني، ناشر: بزم أنوار القرآن، كراتشي، الباكستان، عام ٢٠٠٤م.

١٦- كتاب التصوّف المسمّى بـ"لطائف المعارف"، تأليف: الشيخ محمد عبد العليم الصديقي القادري الميرتي، طبعة "المنظمة الإسلامية العالمية" (World Islamic Mission) كراتشي، الباكستان.

١٧- "مبلّغ الإسلام العلامة محمّد عبد العليم"، تأليف: خليل أحمد رانا، تعليق: محمد صديق فاني، سنة النشر: ١٤١٤هـ/١٩٩٤م.

١٨- "مرزائى حقيقت كا اظهار"، طبعت من "المنظمة الإسلامية العالمية" (World Islamic Mission) كراتشي، الباكستان.

١٩- "مولانا محمد على كى ياد ميں"، تأليف: سيد صباح الدين عبد الرحمن، مطبعة معارف أعظم جراه، يوفي، الهند، الطبعة الثانية عام ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م.

المراجع الإنجليزية:

1- *A Shavian and a Theologian,* Interviewed by: His Eminence Mohammad Abdul Aleem Siddiqui, Al qadri, Published by: World Islamic Mission , Pakistan, Edition 3th year: 2006.

2- *Cultivation of science by the muslims*, by: His Eminence Mohammad Abdul Aleem Siddiqui, Al qadri, Published by: World Islamic Mission , Pakistan, Edition 3th year: 2006.

3- *Elimentary Teachings Of Islam*, By: His Eminence Abdul Aleem Sddiqui Al Qadri, Published by: World Islamic Mission , Pakistan, Edition 37th year: 2006.

4- *How to preach Islam,* by: His Eminence Mohammad Abdul Aleem Siddiqui, Al qadri, Published by: World Islamic Mission , Pakistan, Edition 3th year: 2006.

5- Islam answer to the chellenge of communism

6- *Pilgramage to Mecca*, by: His Eminence Mohammad Abdul Aleem Siddiqui, Al qadri, Published by: World Islamic Mission , Pakistan, Edition 2th year: 2006.

7- *Quest For True Happines*, by: His Eminence Mohammad Abdul Aleem Siddiqui, Al qadri, Published by: World Islamic Mission , Pakistan, Edition 3th year: 2006.

8- Religious and scientific progress of the world

9- *Spiritual Culture In Islam*, printed with some books of His Eminence Abdul Aleem Sddiqui Al Qadri, by the name: "Dimensions of Islam" by: Barkaatur Raza Pblications, Durban, South Africa, October 2005>

10- *The Forgotten path of knowledge*, by: His Eminence Mohammad Abdul Aleem Siddiqui, Al qadri, Published by: World Islamic Mission , Pakistan, Edition 3th year: 2006.

11- *The History Of the Codification of Islamic Law*, by: His Eminence Mohammad Abdul Aleem Siddiqui, Al qadri, Published by: World Islamic Mission , Pakistan, Edition 2th year: 2008.

12- *The Mirror*, Edited Under The Guidence Of His" Exalted Maulana Shah Mohammad Abdul Aleem Sddiqui Al "Qadri, Printed by: World Islamic Mission , Pakistan, Edition 2th year: 2008.

13- *The principal of Islam*, by: His Eminence Mohammad Abdul Aleem Siddiqui, Al qadri, Published by: World Islamic Mission , Pakistan, Edition 3th year: 2006.

14- *The Unicevsal Religion*, by: His Eminence Mohammad Abdul Aleem Siddiqui, Al qadri, Published by: World Islamic Mission , Pakistan, Edition 2th year: 2008.

15- *Women and their status in Islam*, by: His Eminence Mohammad Abdul Aleem Siddiqui, Al qadri, Published by: World Islamic Mission , Pakistan, Edition 4th year: 2006.

المجلّات والدوريات:

١-مجلة "بيامِ حرم" (رسالة الحرم) بالأوردية الصّادرة من دار العلوم العليمية، جمدا شاهي، أيار، سنة ٢٠١١م.

٢-مجلة "العَليم" الصّادرة من دار العُلوم العليمية، جمدا شاهي، مديرية بَستِي، الهند، السنة الأولى، العدد الثالث، آذار ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م.

٣-جَريدة "الفقيه" الصّادرة من "أمْرِتسَر"، ولاية "بنجاب"، الهند، في ١٤ ماريس ١٩٣٣م.

٤-مجلة "معارف رضا"، الصادرة من "إدارة تحقيقات إمام أحمد رضا"، كراتشي، الباكستان، العدد الثالث، المجلد الخامس والعشرون، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م.

٥-مجلة "نداء أهل السنة"، لاهور، المجلد الرابع ٢٠٠٤م.